تفسیر بیضاوی

این نسخهٔ شریفه را در ۱۸
رمضان المبارک سنه ۱۳۳۴
در دار الخلافه طهران از
[illegible] آقا میرزا
میرزا حبیب الله [illegible]
اصفهانی ولد مرحوم [illegible]
[illegible] شیخ محمد حسن [illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء
قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا
اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد
لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس و
يطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد
ومن لم يرفع اليه راسه واطفى نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض
الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا
وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا
وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم
الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من
برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية
بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من

عظماء

عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة
ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن
وجوه القراات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء
المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام
حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته
ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه
اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سول **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القران لانها
مفتتحه ومبداه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على
ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة
معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة
الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها
فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وآله هي شفاء كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات
بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او
الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها
مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص **بسم الله الرحمن الرحيم** من
الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء وظن انها ليست من السورة
عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى
ابو هريرة انه قال فاتحة الكتاب سبع ايات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله
صلى الله عليه وآله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف
في انها اية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في
المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين والباء متعلق بمحذوف تقديره بسم الله
اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى
من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المفعول
ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل
في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث

ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد
ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة
ان يفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من
دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي و
سميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال شعر والله اسماك سمى مباركا ؞ آثرك الله به ايثاركا ؞ والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله
وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على
ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال شعر بسم الذي في كل سورة سمه ؞ والاسم ان اريد به
ذات اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات غير مقطعة قارة ويختلف باختلاف الامم و
الاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو
المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه
كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث و
سوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر شعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ؞ وان اريد به
الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما
هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة
بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال
وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوضت عنها الالف واللام ولذلك
قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود
بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل
من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب
تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره
اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه
اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان
اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه

فقيل

فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها و
لاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر شعر كحلفة من ابي رباح ؞ يسمعها لاهه الكبار ؞ وقيل علم لذاته
المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما
يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن
لانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار
له كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم
تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر
في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
شعر الا لا بارك الله في سهيل ؞ الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب
والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال
دون المبادئ التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم
الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو
مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال
عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية
عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه
لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما

دون اولهة

اذا ما الله بارك في رجال

خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الاي والاظهر انه غير منصرف وان
حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه
الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو
مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس و
يتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو
الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول
حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال شعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل
على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه
فقال صلى الله عليه وآله الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض
الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل به الى الرفع ليدل
على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او
قيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط
كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا
يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما
من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت
من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه و
يربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به
كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها
لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته
من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم
وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به
الناس هاهنا فان كل احد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير
من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر

فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او
النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث
حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله
تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف
شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم
الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار و
معناه مالك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او له الملك في
هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم او
لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين
ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها عاجلها اجلها مالكا لامورهم يوم الثواب و
العقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احق احد به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان
ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار بطريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك
الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث على انه متفضل بذلك
مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال
حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد
للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب
بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي
من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر

والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم
قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه
شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب
التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من
الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم
وقوله تعالى وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ وقول امرئ القيس شعر
تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر
الأرمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود وإيا ضمير منصوب منفصل وما
يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها
من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وقال الخليل إيا مضاف إليها واحتج بما
حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هي الضمائر وإيا عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل
به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ أياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى
غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غير ضرورية
والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها
فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل
ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر
الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها
ويجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك
قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن
العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة
صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف إنما يحق
وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها
إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة إليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا على ما حكاه عن كليمه حيث قال إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ وكرر الضمير للتنصيص على
أنه المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه أن تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحا
واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ليدل على أن العبادة أيضا مما
لا يتم ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك
وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما
بعدها اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا
أو إفراد لما هو المقصود الأعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى
فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى
وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ
وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول إفاضة القوى التي
بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة
والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ أي طريقي الخير والشر وقال وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ والثالث
الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وقوله إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء
كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه
عنى بقوله أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ وقوله وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه
فإذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي
أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك
سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق وقد يشم الصاد
صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالأصل
وحمزة بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو
كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه

المتصف بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
آكد وجه وابلغه لانه جعله كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم
ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة
التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما
قال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفكر والفهم والنطق
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي
تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه
في اعلى عليين مع الملئكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله
من القسم الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**
بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له
مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة
من غضب الله تعالى والضلالة وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم
يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل
مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت
او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة
الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه
نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا
المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب
ولا تمتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا
او خطاء وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود
لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من
قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين
الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقا

لمن اخل باحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم للفعل الذي
هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معناه فقال
افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال
امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبرئيل
امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي عليه السلام امين خاتم
رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه صلوات
الرحمن عليه وآله كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله و
المشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله صلعم اذا قال الامام ولا
الضالين فقولوا امين فان الملئكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملئكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية ولا في
الانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس رض بينا رسول الله صلعم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن
اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب

سورة البقرة مدنية وآيها اربعين سنة مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد
الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل
وابو علي وما روى ابن مسعود رض انه صلعم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف لكن الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان
تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا
وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديته بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة
مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه
ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما

بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء فران معنيا بها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي
تركب منها افتتحت السور بطايفة منها ايقاظا لمن تُحدِّى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو
عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم
مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا
بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذي لم يخالط
الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما
يعجز عنه الاديب الاريب الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما
هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم تعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعدد ها
اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد
على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن
البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي
الصاد والطاء والظاء والضاد نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف
تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد
والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف
البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة
الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد
والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في
با اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما
يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم
والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاء والواو والفاء نصفها الاقل ومما يدغم
فيها وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون
لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها
وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان
وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي

جمعها

تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف
المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف
واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن و
به كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو
وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها
في الاقسام في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر منها للاسماء
وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل واحد منهما اصلا
كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن
لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى به
مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت
بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون
معارضتها واستدل على كون هذه الكلمات اسماء للسور بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان
كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني
باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل
لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز
ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روى ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله تعالى واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها
الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله
واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه
عليه وآله او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما
اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا وهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل

على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها
بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس وداله على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث
انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في
لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي
تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة
للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا
يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب
وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص لهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ولا معنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه
لجواز انه صلعم تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار
اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة
بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو
متقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود
بالنقض على ما هو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن
وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا عليه السلام كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله
اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها
والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء بان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه و
آخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره
اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من
الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او
غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او
موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز

الرفع بالابتداء

الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على
اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او
اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأ بها والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها
آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم
وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب**
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به
وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب
فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انه نحو
قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو
ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم
ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير
المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك
الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان
لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى ومعناه
الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى او
في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به
والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى
هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل والآيات
النظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما
لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا
يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان

تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري
عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي
المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة وللآية
يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها
وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف
الكامل في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان
يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهور
مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة
للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثم او صفته وللمتقين
خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه
خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ و
الكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره
والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة يقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة
ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم [illegible] لنفي الريب فيه لانه لا كمال
اعلى مما للحق واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين ويستتبع كل واحد
منها ما يليها استتباع الدليل المدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من
جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك
ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة
هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع
التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار
الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول

بالمتقين

بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التصقيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة لانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة
بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر
ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة
عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه
ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما
علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحققين من المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل
بالاعتقاد فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي
فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل
وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى
ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله
وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا

على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كا
لمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او
عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة
ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود
اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت
غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه
واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم
قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه
اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها
الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه الى الله تعالى
لا المصلون الذين هم على صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي
معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على
لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في
الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد
ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله
ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه اسند
الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله تعالى قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما
لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال بالقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه
وآله في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك

لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من
انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به و
المحافظة على رؤوس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد
به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله صلوات الله عليه
وسلامه ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة
يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين وهو قول
ابن عباس او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل
ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم
الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم
مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة
تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني
بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله
تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقيه على الرسل والمراد بما انزل اليك
القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك الكتب
السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل واحد يوجب الحرج وفساد المعاش **وبالآخرة هم
يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او
نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم
الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم
من اهل الكتاب وان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان

العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم البارى ولا العلوم
الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا
وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها
اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاء
الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا
عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون الى اخر الايات والا فاستيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة
او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته
المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان
ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل
وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج
والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا
يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد
تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة واولئك هم المفلحون
كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين و
كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين
ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة
والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل
يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى ما
يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز
وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية

في خلود

في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه
عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده
وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف
في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر
الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي
شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة
في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه
فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها و
لذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال يا فرعون اني رسول من رب
العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب
وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم
غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع
والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وآله لا يجترئ
عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه او
بانه خبر لما بعده سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق
واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من

ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه
لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء
عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به
التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس
من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى و
قرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة
لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون**
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان
بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تع عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم
يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي
الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه
والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه
اخر فعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم
ولا تغشية على الحقيقة التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها
الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة
في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين
الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تع اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في
قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تع وجعلنا قلوبهم قاسية

وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث
انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة
فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار
كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم
التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك و
طارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما
كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما
رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم
ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تماديهم في الغي
وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه
وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تع ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما
السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملئكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا
المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في
الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات و
ادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة
وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل
وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذلك السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب
ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تع ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وامالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف
على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار

وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح
النصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة
ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب
عن الشيء ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن
المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير و
معنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى
التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهي التعامي عن الايات ولهم من
الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر** لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة
راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا
واستهزاء ولذلك طول سبحانه في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل
على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس و
اناسي فحذف الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في
ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن
الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه
ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم و
اختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما
تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان
بالله وباليوم الاخر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من
جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف

يقصدون بالنفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعيف خبثهم وافراطهم في
كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ايمانا كيف
وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة و
الاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس
المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين**
انكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان
الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين
ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون الله
والذين امنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده
او توقعه فيه من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه
ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق
والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم
لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم
باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا
لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة
لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول
او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومباراة استصحب ذلك ويعضده قراءة
من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل

بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم و
ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم يخادعون
قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك
خدعوا انفسهم حيث غروها بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون
وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويُخدَعون من خدع ويخدّعون بمعنى
يختدعون ويُخدَعون ويُخادَعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات
الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان
قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او تشبه
ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما
يشعرون لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور
كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله
الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه
عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل او
مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما
فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وآله واستعلاء شأنه
يوما فيوما فزادهم الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء
الاعتقاد ومعاداة النبي صلوات الرحمن عليه وآله ونحوها فزادهم الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف
وتكرير الوحي وتضاعيف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله و
اسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في
قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب أليم
اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب
وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى
بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا
يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل
بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق

متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في
صورته سمي به وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد
من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من
الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها
مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين وقرأ
الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب لإذا ورد للناصح على
سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا
متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد
منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان همزة الاستفهام التي هي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من
طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون
من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان
كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدرية وما مصدرية او كافة مثلها في ربما
واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما
يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب
عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله
اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وآله ومن معه او من آمن من
اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق
مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد

قالوا انؤمن كما امن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روى ان ابن ابى واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اى فى الدين والاعتقاد وخاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشىء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين

شيطن

ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين

قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعم على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله تعالى بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى ولم يقيده بالاضافة وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشىء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان

ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم

فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين
تصورته بصورة الثمن فباذله مشتري وآخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير
للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني والاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا
ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم
بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها
على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
كلمه تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة
طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب للربح والخسران **وما
كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات
بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا
خاسرين ايسين من الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك
المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء
والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل
حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى
ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في
قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها
ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منها فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته ويستوي فيه الواحد و
الجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على
اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف فلذلك بولغ
فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقد
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع

لهبها واشتقاق

لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي
النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان
ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله
ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما او
الضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استيناف واجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او
بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله
تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا
مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى
كيف قرر ذلك واكد بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح
وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول
الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد
او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير
متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا
متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما
نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على
الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة
فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود اليهم بحقن الدماء و
سلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب
اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم
عمي فهم لا يرجعون** لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم

ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا
ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريده
وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن
حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد
أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام ويصعد
حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به
ونظيره أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا إذا جعلت الضمير للمنافقين على
أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة لا يبصرون أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت
قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الأجزاء
ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة وسمي به فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون
باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم
البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **لا يرجعون** لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه
أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أو يتأخرون وإلى حيث
ابتدؤوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم
أو كصيب من السماء عطف على الذي استوقد أي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون أصابعهم
وأو في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن
أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب
العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما
سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيتهما شئت والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما
وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق
السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد أرض بيننا وسماء أمد به ما في
صيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية
فيه ظلمات ورعد وبرق إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب
فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على موصوف

الرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح
من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون أصابعهم في آذانهم الضمير لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه
لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق
بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة
والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة **من
الصواعق** متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل
معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد
يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب
من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة
وهي في الأصل إما صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض
يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة **والله
محيط بالكافرين** استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال
المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع
وعسى موضوعة للرجاء فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون
فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه
حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة والخطف الأخذ
بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء
ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وإتباع الياء لها ويتخطف **كلما أضاء لهم مشوا فيه و
إذا أظلم عليهم قاموا** استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فأجيب بذلك
وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول
وقول أبي تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وإنما قال مع الإظلام إذا لأنهم حراص
على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت
السوق إذا ركدت وقام الماء جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم** أي ولو شاء الله أن يذهب

لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل
والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف أبصارهم** صح

الإضاءة كلما ومع

بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه
ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير
الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله
ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر
شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على
كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد
وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في
الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته او على مقدار ما تقتضيه
مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد
مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور له والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان
تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى
مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما
معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين
من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل
المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان
باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار
ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار

الدائم

الدائم والعقاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم والثاني في انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم
المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه
لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من
سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله
تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما
صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي
وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه القرآن والايمان وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي
هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلين واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيهما من الوعد والوعيد بالرعد وما فيهما من الآيات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه
لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين
تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لانفسهم فانه على ما يشاء قدير
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل
عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما
لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب
تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة
لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين
حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم
رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما
كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة
الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها

شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه م
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة
والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة
عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع
فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا
يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم
عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم و
التعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين ويراد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من
قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات والزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات و
الارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين
الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين
الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون
ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون رحمته ويخافون عذابه او
من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى
لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق في معرفة الله والعلم
بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته
عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر
قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا
وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد
جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول

واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم
الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل
بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة
عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء
جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل و
خروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة
لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة
فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا
اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع
وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى
للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى
السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات و
اكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق
ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على
التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها
لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به
المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي
منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا
لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي

ان لا تشركوا به والند المثل المناوى قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديد من ند ندودا
اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر و
تسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته ولا انها تخالفه فى
افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على ان يدفع عنهم باس الله ويمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف
رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون**
حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح والمعنى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراى
فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن
مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى [مضمون]
والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة
الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه
فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من
الماكول والمشروب ثم لما كان هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب تعالى
عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه
الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة
التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية
المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج
القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل
حد مطلعا **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من** لما قرر وحدانيته وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو القران المعجز
بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء
مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه و
يتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه
اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان

الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره و
تنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وآله وامته والسورة الطائفة
من القران المترجمة التى اقلها ثلث ايات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها
محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة فى المجد ليس غرابها بمطار
لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف و
ثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية القطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع
القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ والترغيب
فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها
اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج
الى غيرها من الفوائد **من مثله** صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او
للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتدا
اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولسائر الايات التحدى ولان الكلام
فيه لا فى المنزل عليه فحقه لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل
ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا اخر مثله
ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بمحضره
الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر
ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض
من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى
فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى اخر قال تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة
بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله

فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله
ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم
من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة والذين يشهدون لكم بين يدي الله
على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا
بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان
يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه
محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد
بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته
على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن
محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لا بان لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها
لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل و
لذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في
احد الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح
ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت
النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ
والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم
عبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما

كنزوه

كنزوه او بنقيضه كما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها و
يفتخرون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهيبها بحيث تتقد
بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد
ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريفها لنار ووقوع الجملة صلة
فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها
وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي
والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما
يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة
لم يتصدوا لمعارضته والتجؤوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على
ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه
في كل عصر والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الان
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال
من امن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان
يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما
يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب
وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلوات الرحمن عليه واله وعالم كل
عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما
لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت
فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم
ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى

الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني ومن
الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا الحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا
اعتداد باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل
ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال
كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من
الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا
ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين و
جمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات
متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من
الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما
يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك
ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما
تريها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري من غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل
والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري
اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كأنه لما قيل لهم
جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف و
رزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين
رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه

وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن

من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان تكون
من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا
الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب
جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة من جنس ثمار الدنيا
لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته
وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها
متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف ولما روي انه صلى الله عليه وآله قال والذي
نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها
مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل
على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من
التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير
على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في
الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة واللون دون المقدار و
الطعم وهو كاف في اطلاق اسم التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في
مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل
ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهها تماثلهما في الشرف والمزية وعلو
الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج
مطهرة** مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور
فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي

المستمر

ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة و
مناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فائدتها **وهم فيها خالدون** دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او
لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما
دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا
واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف
ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن
فان قلت الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك و
الانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها
مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما
نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود
ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت
الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه
وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في
صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما
يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما
يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر
بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين

بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت و
جعلها اقل من الذباب وجعلها اقل من الذباب وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به
وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه
فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها و
الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار
يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه
وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله لا يستحيي من ذي الشيبة المسلم
ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك
اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما
عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما
وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر وان بصلتها
مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما
ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي
كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله
هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة
وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا
حال تقدمت عليها لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على
الذي احسن وتفسيرا وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل
بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض
فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها**
عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه
قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى
الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا

ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول
صلى الله عليه وآله قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة
فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقولها ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم**
اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه
اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان
الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ
عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين
على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة
والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج
واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية
ليكون كالبرهان عليه **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل
على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب
السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ
النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك
اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى
هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر
الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب
هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا
نصب على التمييز او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا**
جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث
والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان
الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال
وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين

باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين عن حد الايمان
كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت
واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا
اياها الثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو
في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين المنزلتين
المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة
الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم
عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت
به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب
واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق
ووضعه لما من شأنه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده
الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله صلوات الله عليه وآله وعليه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته
وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا
الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام

من حيث ان العهد

به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى
المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل**
يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين
الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او
تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو
القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم
وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس
من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله**
استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره
لا ينفك عن صفة وحال فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده
فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا
لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم
امواتا** اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ
عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي اجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب
فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب عليهم من الدلايل منزل
منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما فانه تعالى لما قدر ان احياهم
اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلتين فانه سبحانه
لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم

النعم

النعم يوجب عظم النعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت
من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع
حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان
يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم
الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم
الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية
لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعلم والعقل والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازايها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى **قل الله يحييكم ثم
يميتكم** وقال **اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها** وقال **او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس** واذا وصف به الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة
فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم
احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل
به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما
يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من
الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال
لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استولى
وملك قال [illegible]
قد استوى بشر على العراق ۞ من غير سيف ودم مهراق ۞ والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى **ثم كان من الذين
امنوا** لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى **والارض بعد ذلك دحيها** فانه يدل على

تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحيها لنصب الارض
فعلا اخر دل عليه أأنتم أشد خلقا مثل تعرف الارض وتدويرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او هي في معنى
الجمع والا فمبهم تفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس
ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع
انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه
الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا
النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم
اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة
واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع
والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بالذات وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية و
الثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما
خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي
الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً** تعداد لنعمة ثالثة يعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما ان
اذا وضع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا
تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف
الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ
كان فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على تاويل المذكور لانه جاء
معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك

على الاصل كالشمائل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط
بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس
الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة
الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء
الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول له
الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن
فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض وخليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم ع لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف
عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان
الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل
اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي
ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا
وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم
او على تاويل من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما
فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**
تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها ويسفك الدماء او يستخلف

كان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفا
والغيها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس
باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله
تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح
او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك
والسفح والشن انواع من الصب فالسفك في الدم والدمع والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول
فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا
الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم
علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مداره شهوية وغضبية تؤديان الى الفساد وسفك
الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه
وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة
العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة
من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى
والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط
الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر
الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اى متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء
الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم
ادم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم
اعجمي كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما
روي عنه عم انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك ياتي بنوه

باخبار من الله

اخيافا

اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من
العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه
الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء
كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على المعنى في نفسه غير مقترن
باحد الازمنة الثلثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعنى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراكات انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية الاتها
ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف
المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال
عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات
الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على
عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب
الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء
بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا
به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما
يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما
علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف
لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد
يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ
في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال
ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عم سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا
ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت

اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل
مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب
الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا
تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك
الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما
كنتم تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير و
اعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل
العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف
به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها
على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان
قبل ادم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم
الحكيم وان علوم الملئكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا
عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملئكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل
لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا
للملئكة اسجدوا لادم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا
بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة
بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال
الشاعر: ترى الاكم فيه سجدا للحوافر : وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا : يعني البعير اذا طأطأ راسه وفي
الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل
ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه وسببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها
بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملئكة الى استيفاء ما قدر لهم
في الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم

قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان: اليس اول
من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن : او في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس واما
المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد
بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملئكة كلهم او
طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء
امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع و
كان من الكافرين في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل
منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
والاية تدل على ان ادم افضل من الملئكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملئكة
والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله الا ابليس كان من الجن لجواز ان
يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملئكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملئكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملئكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر
الملئكة مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملئكة لكنه استغنى بذكر
الملئكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر كانوا مامورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر
ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا
ابليس وان من الملئكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين و
الغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملئكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض
والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس
فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن
ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملئكة خلقت من نور والجن خلق من مارج من نار لما روت
عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملئكة من نور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل
لما ذكرنا الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره
وان الامر فالمراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان
محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض
نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف

وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوايد الاية استقباح العجب
وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم
الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح
العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة
دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض
فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه
الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر
محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في
التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في
تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوم
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية
سواء جعلت للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها
احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ
بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الزلة يقتضي عثرة
مع الزوال عنها وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام
عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله عز وجل فاخرجهما مما

كانا

كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوا لقوله قال اهبطا منها جميعا
وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان
يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها
عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر
موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى ادم
من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم و
رفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله فقالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم
وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه
بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي
ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم
على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف
بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين
الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف
المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط
المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف المقترن
بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه
قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا
جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت بها ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون
وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز

وانما جئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى
ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه
مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه
وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا
بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فتكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور و
الآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى لانها تبين ايا
من اى او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كرمكة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية
كرمكة فاعلت او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها
والمعقول وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلم من وجوه الاول
ان آدم ع كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين
والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال
وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع من الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرته تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون
ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه
بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه وانما امر بالتوبة
تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قال للملئكة قبل خلقه
والثالث انه فعله ناسيا لقوله فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان
ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال صلى الله عليه وآله اشد الناس بلاء
الانبياء عليهم السلم ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق
السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهيكما
ربكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قال ابليس فلعل مقاله
اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال
المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلم اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه

او للاشارة

او للاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع
كما روى انه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى
عليهما ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة و
انها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم
والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر
دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث هي
حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار
بها على ما هو المثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز
تدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل
على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه
وآله وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اى يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان
الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط
وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم الله على آبائهم
من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله
عليه وآله وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب
من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه
تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم
وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم
والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله
تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روى عن ابن عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلوات الله عليه وآله
اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة
والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط

وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعات اوف
بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى
قوله ولادخلنكم الجنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة **واياى فارهبون** فيما تاتون
وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا
فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد
وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم** افراد للايمان
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم
من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد و
الدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما
يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها
حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتاخر لنزل
المتقدم فى ايامه على وفقه ولذلك قال صلعم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على
ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب
ان تكونوا اول من امن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركو العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل اول من
كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير
قياسى او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما
يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا
منهم فخافوا عليها لو اتبعوا الرسول صلى الله عليه وآله فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى
فيحرفون الحق ويكتمونه **واياى فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية
السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الاية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى
ولان الخطاب بها عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك والخطاب بالثانية

لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى التى هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه جعل الشىء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه
وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه
فى خلاله او تذكرونه فى تاويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان و
ترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار
ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود و
تكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وانتم**
تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة**
يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما لا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب
بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها يطهر المال من الخبث والنفس
من البخل **واركعوا مع الراكعين** اى فى جماعاتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة
لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر
قد رفعه **أتأمرون الناس بالبر** تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء
الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى
معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت
فى احبار اليهود المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وآله ولا يتبعونه
وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت كقوله وانتم
تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة العمل **افلا تعقلون**
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل
الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها
النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث
نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه
شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع
الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر **واستعينوا**
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة

او الاعراض عن المال عوضوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله
او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوات وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق تعالى وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس
عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير
اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة
شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع
بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى
يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان فى
مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس
بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها
على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها و
يستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على
نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده
قبل ان تغيروا بما منحهم من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل
به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزى نفس عن نفس شيئا اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا
مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزى فيه
ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما
حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل

فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان
يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا و
الشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتاء
ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق
النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للايات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا
لما كانت اليهود تزعم من ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى
قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ
انجيتكم ونجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل ويخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك و
فرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره
والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم
او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون
راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله عز وجل
شيئا وفى ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفى الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من
خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه

قومه واقتصر على ذكرهم للعلم فانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل
على محمد اى شخصه استغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر
عليهم او انفلاق البحر على طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى ان يسرى بنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فضربه فظهرت فيه اثنى عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق
بعضنا ولا نعلم ففتح الله سبحانه فيها كوا فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه
فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه
الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم
وتصديق موسى عليه السلم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان
ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره صلوات الله عليه والسلم من جملة
معجزاته على ما مر تقريره وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى
لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده
الوحى ووعده موسى المجئ للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده
من بعد موسى او مضيه وأنتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو
محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ لعلكم تشكرون لكى تشكروا عفوه
وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اى التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق
والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحق والمبطل فى الدعوى بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب
والتفكر فى الايات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا الى التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت
ومميزا بعضكم على بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما
على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من
الطين او فتوبوا فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم

يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه ولم يقدر المضى لامر الله فارسل الله
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى
وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب و
الثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى
الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلم
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى
على الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار
بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى
الغباوة ولم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب إنه هو
التواب الرحيم الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم وإذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهى
فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من
الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كا
الكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف
من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك نبى فأخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية
الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهو محال بل الممكن ان يرى سبحانه رؤية منزهة
عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الاخرة ولافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل
جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين
يوما وليلة وأنتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى لعلكم تشكرون
نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم
السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين
والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى
وينزل فى الليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكان ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره وإذ

قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا نصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
سجدا اى باب القرية او القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى
عليه السلام متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة
اى مسئلتنا او امرك حطة وهو فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه
القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على
البناء للمفعول وخطايا اصلها خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة
لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين
فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسنين واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد
ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذى قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى
الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه
مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا
فى التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا
حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف و
سعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او
الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرئيل بحمله او
للجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى
ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم
يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة
وله شعبتان تتقدان فى الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان

ضربت

ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر فى قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان فيها قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا واشربوا
على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء
وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا فى الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم
وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله
ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه
يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره فى عجائب
صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو
ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى
وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير
الوانه ولذلك اجتووا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد
وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازى واقامة
القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير و
بيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه
التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال اى الله او موسى اتستبدلون الذى هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو
القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
وقرئ ادنأ من الدناءة بالذى هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعى اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه
لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة واحيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود على
غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب
من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به

اصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من
جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر
او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران واية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وآله من التورية
وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون
جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار بقوله ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان
صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وآله
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما
لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل
الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول روبة فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها
ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم في سلك الكفرة والذين
هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب ع والنصارى
جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح ولانهم
كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها اي من اسمها والصابئين قوم بين النصارى
والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح ع وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان
كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع بالياء اما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر
الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينهم قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدء والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن
من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعدلهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار
من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة
خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه
دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تع ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات

ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا
فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من
التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على
ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين
ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم
للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وآله يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
الاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الحذف عليه وسد الجواب مسده
وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه
للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود ع واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون
قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه
فاذا مضى تفرق فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين الصورة القردية
والخسوء هو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة
التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها
وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في
الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية
وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
متق سمعها وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة
قوله وإذ قتلتم نفسا فادارأتم وانما فك عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم
وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان
فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون

بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا
اى مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به
وقرئ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء فى اثناء تبليغ امر الله جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريق
البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
هى اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اى بقرة هى او كيف هى لان ما يسئل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة عوان نصف وقال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اى بين ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان
المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل
فان التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراى الثانى ظاهر اللفظ والمروى
عنه صلعم لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم
بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به
من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع خلوص الصفرة و
لذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء
لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها
كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة
بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول
نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء
وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه

بمعنى يتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشبهة ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون
الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الابد واحتج بها اصحابنا
على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر
معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه
يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث
ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب واهلها من العمل او اخلص
لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة
وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا
صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر فشبت
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى
قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم و
انقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل
فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح
قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل
باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض و
الضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على ما
حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الاية ويريكم آياته دلائله على كمال
قدرته لعلكم تعقلون لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء

الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعل تقديم الرجعية ابتداء وشرط فيها ما شرط لما فيها من التقرب
واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة
دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى
عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال
عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حياة طيبة وتعرب
عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما
توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف و
اقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من
المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان
من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق وينبع منه الماء وتتفجر منه
الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا او خشية لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا
تنفعل عن امره سبحانه والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها
المخففة من المثقلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما
تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل
دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية
ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وآله واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل
هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى
يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما
عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون ومبطلون ومعنى الآية

ان اخبار هؤلاء ومتقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان
كفروا وحرفوا فلهم سابقة على ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا
بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا
منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من
نعت محمد صلى الله عليه وآله او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء
ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي
ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد انه في كتابه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي
ربكم يوم القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون
انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين واللائمين او كليهما او اياهم
والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا
قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها
تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله
تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا
يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير
قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن
قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون
الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا
من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما
كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشا وقالوا لن تمسنا النار

المس بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا
أجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين
يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما قل أتخذتم
عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص بإظهار الذال والباقون بإدغامها
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر أي إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
وفيه دليل على أن الخلف في خبره تعالى محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة لهمزة
الاستفهام بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل أتقولون
على التقرير والتقريع بلى إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه
أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها
وبين الخطيئة أنها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم وأحاطت به خطيئته
أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا
إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة
به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة
مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه
مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن
ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته
وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما فأولئك أصحاب النار ملازموها في
الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون أو لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده
ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا
ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله ولا يضار كاتب ولا
شهيد وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده
قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف
أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق
أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع

وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب
وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو وأحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن
الفقر أسكنه وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حُسُنا بضمتين
وهو لغة أهل الحجاز وقرأ حمزة والكسائي حَسَنا بفتحتين وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه
تخلق وإرشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة
الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ومن قبلهم على التغليب
أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
أسلم منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن
المواجهة إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم
من دياركم على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضكم بعضا بالقتل والإجلاء عن الوطن وإنما جعل
قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا
ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الأبدية بالميثاق
واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها
الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا ثم أنتم هؤلاء استبعاد
لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء على معنى أنتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم
باعتبارها أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم و
تخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة
وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون
على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما
والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى التاءين وقرئ بإظهارهما
وتظهّرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن قريظة كانوا حلفاء
الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء
أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي
الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى أتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه

وابن عامر

كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
المصدر واخراجهم تاكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض
يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا
كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه
ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد
وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرى
عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب بنقض الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد
آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله تعالى
ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا
عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات والانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو بالعربية من النساء كالزير من
الرجال الغال دونه قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه
وقرى آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل او
روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه
او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيى به الموتى
وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى
والفاء للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم
بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له
الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه

مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية
العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى
فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما
يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل
اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرى
بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف من عند الله وجواب لما محذوف دل عليه جواب الثانية
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم
انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق
كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم
لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام
فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا
صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العذاب بما فعلوا
ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف
من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على
غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى او
بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة
لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني
بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد
من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن
رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبئاء الله

مميزا في جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل أي إلها من بعده بعد مجيء موسى أو
ذهابه إلى الطور وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أو بالإخلال بآيات الله
تعالى أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لإبطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه
على أن طريقتهم مع الرسول صلعم طريقة أسلافهم مع موسى عم لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها
وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
أي قلنا لهم خذوا ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا
أمرك وأشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل
الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في
قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف
نحو هذا الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاما عليهم إن كنتم
مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لما أمركم بهذه القبائح
ورخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما أمركم به إيمانكم بها لأن المؤمن ينبغي أن
لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذا لستم بمؤمنين قل إن كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا على
الدار من دون الناس سائرهم أو المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين
لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال أمير
المؤمنين علي عليه السلام لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي
الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني سيما
إذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من موجبات النار
كالكفر بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان
آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار
بالغيب وكان كما أخبر لأنهم لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب فيخفى بل هو أن يقول
ليت كذا وإن كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وآله لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون
في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة من وجد يعقله

الجاري مجرى علم مفعولا ثم ولحرص وتنكير حياة لأنه أريد بها فرد من أفرادها وهي الحياة المتطاولة
وقرئ باللام ومن الذين أشركوا محمول على معنى وكأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم
بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنهم لما
زاد حرصهم المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا
فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود أحدهم على أنه أريد بالذين
أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأولين بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستيناف لو يعمر ألف سنة ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب أن
يعمر الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما
أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره أو لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه
وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا
أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا
لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عمن ينزل عليه فقال جبرئيل
فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت
نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرئيل فقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبرئيل فقالوا ذلك عدونا
يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلم فقال
ما منزلتهما من الله فقالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما
تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبرئيل
قد سبقه بالوحي فقال صلى الله عليه وآله لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرئيل كسلسبيل قرأ حمزة
والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر وجبرئيل
كقنديل قراءة الباقين وأربع في الشواذ وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله
فإنه نزله البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه
وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره على قلبك فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان
حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به بإذن الله بأمره أو تيسيره حال من
فاعل نزله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب
الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته
إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم عليه مقامه من

عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا
عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر
الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فقد عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل
عليهم السلام كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال وقرئ ميكئل
وميكائل ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون
من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال للرسول صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك
اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف وتقديره اكفروا بالايات
وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا
وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان
بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا
فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد
عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول
المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل
ما مع الرسول وهو القران وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء
الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون
عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني
اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمن اي عهده وتتلوا حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة

يدونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمن حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمن
تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمن تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن
السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا معصوما منه ولكن الشياطين كفروا باستعماله
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان
وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبه
هذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية
او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز ولما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع
اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتميزا بينه وبين المعجزة وما
روي انهما مثلا بشرين وركبت فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك
ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي
البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما
انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او
الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافيا ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر معناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما
نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من
اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما
الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل
بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف
ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ
مجرد العلم غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتريه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل

ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم يحتمل المعنيين على ما مر
لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي والعلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بعلمه فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا
بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء
ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل
بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان
المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه
سمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن وسبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى
انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا
على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم
راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع
قبول لا كسماع اليهود واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم
يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة للمؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع
تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم
وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة
وينصره ولا يجب عليه تعالى شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من
الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ
من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وآله يأمر اصحابه بامر
ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل الشمس

والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ
الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
عن القلوب وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير
وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت و
تنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية
نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرئ
ابو عمرو بقلب الهمزة الفا ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل
المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
المحتملة وتأخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم
فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع
في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ
هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ
قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على
حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم
بالذات القديم ألم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد هو وامته كقوله وما لكم وانما
افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين
الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون
ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في ألم تعلم اي ألم تعلموا انه
مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في
اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن
ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في
الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن
المقصد بتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم

عليهما

لو يردونكم ان يردوكم فان لو ينوب عن ان فى المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا
مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود
اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى
حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
فى التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتى الله بامره
الذى هو الاذن فى القتال وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله
عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شىء قدير فيقدر على
الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء
الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم
تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون
وعيدا للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى لف بين قول الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة
بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى تلك
امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الاية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة
اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه بلى اثبات لما نفوه من
دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن
فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت
شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت
النصارى ليست اليهود على شىء اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله
صلى الله عليه وآله واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشىء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد

كل فريق

كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل
به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق
بما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت
المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها بالهدم والتعطيل اولئك
اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية
وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان
يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة و
استخلاص المساجد منهم وقد انجز سبحانه وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد
واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم فى
الدنيا خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية ولهم فى الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق
والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان
تصلوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففى اى مكان فعلتم
التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او
مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته
يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت فى
صلوة المسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود تعالى شانه ان يكون فى حيز او جهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت
اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه
يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له
ما فى السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما فى السموات
والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على
مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد

ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على
تغليب اولي العلم تحقيراً لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد
كل من جعلوه لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة
على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى
نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في
قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على
الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا
الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا
وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اى اراد شيئا واصل
القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته
بلا مهلة بطاعة المامور المطيع وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء على حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون
باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب في
هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول
حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال
الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار
والثاني جحود لان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد
بينا الايات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا
عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا
وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا
تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسئل على انه

نهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا
يقدر ان يخبر عنها والسامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم في قناط الرسول صلى الله عليه وسلم
عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله عنهم ولذلك قال تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم ارائهم الزائفة والملة ما شرعه الله لعباده
على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذي جاءك
من العلم اى الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه
وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من
القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد المتقدمين والكلمات قد
تطلق على المعاني فلذلك فسرها بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون
وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها
في قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عاملهما معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الايات التي
بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا
ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى
وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير في فاتمهن لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قال اني
جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن

فاجيب بذلك وبيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له
مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا
باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق
او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال
عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة
لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى
واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة
للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات
لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤخذ الجاني الملتجئ حتى يخرج وهو
مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه
وآله وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه
ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وروي انه صلى الله عليه وآله اخذ بيد عمر
فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه صلعم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل
مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تع وقرأ نافع
وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون ان
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية
او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر

ابدل

ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق
من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة حيث قال امن فنبه تعالى على ان الرزق رحمة دنيوية تعم
المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه
قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ
بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه
ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف
لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة
وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله
ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات
البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان
له مدخل عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان
ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجرة او
ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا
الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في
ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه
يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله
ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف
والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة و
شاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في
فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو
بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما

وارشاد الذريتهما إنك أنت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة
المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وآله فهو المجاب به دعوتهما
كما قال صلوات الرحمن عليه انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة
ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي إنك أنت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد و
انكار لان يكون احد يرغب عن ملة الواضحة الغراء اى لا يرغب عن ملته إلا من سفه نفسه
اى استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له
ما جاء في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمض الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو
غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه
في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي
ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان
صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه
الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت
لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايل المؤدية الى معرفته الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما
دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها
ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال
وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى
ووصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين
متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو
يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخن وزبولون ودونا ونفتولي
وكودى واوشير وبنيامين ويوسف إن الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو
صفوة الاديان لقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام

والمقصود

والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحالة اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا
تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان
من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم
شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر
يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غايبين
ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ
حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اى اى شيء تعبدونه اراد
به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم
يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه فاذا سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب
قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عم الرجل صنو ابيه كما قال
في العباس هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين اصواتنا بكين
وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان إلها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى
بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر
العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله
او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك أمة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في
الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلى الله
عليه وآله لقريش لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون
ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى الضمير الغايب لاهل
الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل تكون ملة ابرهيم اى اهل ملته او بل
نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اى ملته ملتنا او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته
حنيفا مايلا عن الباطل الى الحق حال المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا القرآن وقدم

ذكر لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق و
يعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو
الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى
وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير
لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا
عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق
النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل
ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل
لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان
بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله
تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرا بما امنتم به او بالذي امنتم به
وان تولوا فانما هم في شقاق اي اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق
وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الاخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم [illegible]
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة
او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا
الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او
هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور
الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا
يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها
على انها مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من
الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم
وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء
او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا بالله بدل اتبعوا حتى لا يلزم
فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا

من العرب

من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
وهو ربنا وربكم لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على
المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها
فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة
للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج سبحانه عليه بقوله وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله تعالى لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية
والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله
براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما
استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا
تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن
النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين
النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل
لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه و
انما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة
الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل
جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي

بما

الجزء الثاني

يستوي فيه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود
بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما
اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم**
شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى
ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء
على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم
وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم ببينة التبليغ وهو اعلم
بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى
الله عليه وآله فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول
كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدم الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول صلوات الله عليه
شهيدا عليهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه صلى الله عليه وآله
كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في
الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان
لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل
عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه استند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل
كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة
ليعلم على البناء للمفعول والعلم بمعنى المعرفة او معلق لما في معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب
اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب **وان كانت لكبيرة** ان هي المخففة من المثقلة
واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها هي الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان

زائدة **الا على الذين هدى الله** الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع **وما كان الله**
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي
انه صلى الله عليه وآله لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت **ان الله بالناس لرؤف رحيم** فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف
وهو ابلغ محافظة على الفواصل **قد نرى** ربما نرى **تقلب وجهك في السماء** تردد وجهك في جهة
السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان لمخالفة اليهود وذلك يدل
على كمال ادبه صلى الله عليه وآله حيث انتظر ولم يسال **فلنولينك قبلة ترضيها** فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها **ترضيها**
تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته **فول وجهك** اصرف وجهك
شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور
اي منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه صلى الله عليه وآله كان في المدينة
والبعيد مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه صلعم قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم**
شطره خص الرسول صلى الله عليه وآله بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة **وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون**
انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم
انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وما الله بغافل عما يعملون** وعد ووعيد
للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية** برهان
وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم **ما تبعوا قبلتك** جواب القسم المضمر ساد مسد
جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا **وما انت**
بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة
الحق **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا

يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك ولتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان
لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه
تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا من متابعة الهوى واستفظاعا لصدور
الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله
عليه وآله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول اى يعرفونه معرفة واضحة كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر انه سال عبد الله
بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك
فى محمد صلى الله عليه وآله انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق و
هم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما
مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اى
هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا
تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول
صلى الله عليه وآله عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه
بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة
اى ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو
موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله
موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرئ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك
الجهة اى قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا فى اى موضع تكونون من موافق
ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل
الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلات يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم
كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شىء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اى مكان خرجت الى السفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

كرهذا

كر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة
الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة
لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى لئلا يكون
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا صلى الله عليه وآله يجحد ديننا ويتبعنا فى
قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس
اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين
قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى
حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة فى نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان
الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوا
فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل
واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن
امير المؤمنين على عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يحملكم
على ما يصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى
وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت
عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى
وحظوظ النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله
مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل
احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله
تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا و
عشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين

رضوان الله عليهم وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من
الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على
البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما
اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف
على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات
والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى
ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله او لمن يتاتى منه البشارة
والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وآله كل شيء يؤذي المؤمن فهو له
مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه
ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به
محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله
تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن
النبي صلى الله عليه وآله من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله
تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي
العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة
وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه
سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله تعالى فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن
مالك والشافعي انه ركن لقوله صلى الله عليه وآله اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع
خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي

ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه
او بتعدية الفعل اليه لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون
كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وآله والهدى
وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب
في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة
والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم
ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول
التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى
مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد
بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون
عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو و
يلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او
اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له
يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن
لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدأ
محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك ف
نزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل
والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به
الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك
قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من
ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا

الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول
المطر وتكوّن النبات وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب و
يعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي
على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما
حتى ياتي امر الله وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا
لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وآله ويل
لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض و
ان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض
اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر
عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث
على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤسا
الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله
عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه
وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه
الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه
ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا
لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله تعالى في الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة
واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم

لاتنفع

لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره تعالى وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى
على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس
اي تبرأ الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف
على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل
يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل
به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في
الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة
مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه
الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا
به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر حيث وقع بتسكين
الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وقلب الواو همزة جعلت
ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله
اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته
واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره
العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء
باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول
ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل
المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن
مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم كأنه

التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما ألفينا
عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج و
الآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية
لانها ايضا تدعو الى الاسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او
العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين
ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع
الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل
اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف
مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي
ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون
فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء
ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع
الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم
وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من
باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى
ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما
رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه
مولى النعم فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر لا تمامه وهو عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم
الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك
والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها
مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه
معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند
ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع
الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ

بالاستيثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا
حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكانهم اكلوا النار كقوله: اكلت دما ان لم ارعك بضرة : بعيدة مهوى القرط طيبة
النشر يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل
في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه
تعالى عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم
عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في
الآخرة بسبب كتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم في الالتباس
بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب
او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل
الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان
وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او
للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف
ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير
الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت
وادعى كل طايفة ان البر التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم
الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم
به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد
بالكتاب الجنس او القران وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب
المال كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل الغناء
وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى

يريد المهاجر منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال صلى الله عليه وآله صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال وقال صلى الله عليه وآله للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة لكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات وحقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا لكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى اعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار صلعم بقوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي بن ابي طالب عليه السلم ان رجلا قتل عبده فجلده النبي صلى الله عليه وآله ونفاه سنة ولم يقتله به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية

على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص على النصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفا بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك لم اذنت وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله صلى الله عليه وآله لا اعافي احدا بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ما دام للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلم ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك

فقال ثلثة الاف فقال كم عيالك فقال اربعة قال انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا
الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها
للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمها عليه وقيل مبتدأ وخبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه
نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا و
الحديث من الاحاد وتلقي الامة بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى
به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله
عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي
حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده
فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانهم الذين
حافوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي
توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب موص جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للجنف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق
بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
يعني الانبياء والامم من لدن ادم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في
اللغة الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم
يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فان له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته
وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا
والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه
والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر او بكما
كتب على الظرفية او على انها مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد
الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين
كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم

يعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر
اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم واشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة الى الطعام
وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه و
يتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه القراآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه
الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء ان
كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه
وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ
خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي
كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث
وقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما
نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة
القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ
او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان

من القرآن اى نزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه
وبين الباطل **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه
والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف و
حذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به
كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر**
مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر
للسفر والمرض **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء
ومراعاة عدة ما افطر والترخيص لتكملوا العدة على الطريق على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة
الامر بمراعاة العدد ولتكبروا علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص و
التيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون و
لتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل
المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد **واذا سألك عبادى عنى**
فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداع اذا دعان** تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة
فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم **وليؤمنوا بى** امر
بالثبات والمداومة عليه **لعلهم يرشدون** راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح
الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير
والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على
اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال **احل لكم ليلة الصيام الرفث**
الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او
يرقدوا ثم ان عمر باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وآله واعتذر اليه فقام رجال و
اعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى

الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث **هن لباس لكم**
وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه
شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما
يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور **علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم** تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم** ومحا عنكم اثره **فالآن باشروهن** لما نسخ عنكم
التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع **وابتغوا**
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان
يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل و
قيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم**
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط
الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان
ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان
الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما بذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى
تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا **ثم اتموا**
الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفى صوم الوصال **ولا تباشروهن**
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه
ويفسده لان النهى في العبادات يوجب الفساد **تلك حدود الله** اى الاحكام التى ذكرت
فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال
صلى الله عليه وآله ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو
ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه **كذلك** مثل ذلك
التبيين **يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** مخالفة الاوامر والنواهى **ولا تأكلوا**

اموالكم بينكم بالباطل اى لا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذى لم يبحه الله وبين
نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهى او نصب باضمار
ان والادلاء الالقاء اى لا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من
اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم و
انتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى
على امرء القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وآله بان يحلف
امرء القيس فهم به فقرا رسول الله صلوات الله عليه وآله ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا
ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون
الحن بحجته من بعض فاقضى له على ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما
اقضى له قطعة من نار يسئلونك عن الاهلة سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصارى
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل
هى مواقيت للناس والحج انهم سالوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله
ان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع
ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما
البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت
الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم
النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة اعقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على
ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال
بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر بان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من
اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من
وجوهها واتقوا الله فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكى تظفروا بالهدى
والبر وقاتلوا فى سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك

قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال
ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم
فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وآله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة
القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا
تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله
ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم
فى حل او حرم واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان او عملا وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك
استعمل فيها قال فاما تثقفونى فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى مكة وقد فعل
ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج
من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من
قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك
حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته
وقرا حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد
كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان
الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا وليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم و
سمى جزاء الظلم باسم المشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم
ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام
قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه
اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله فى الانتصار فلا تعتدوا الى
ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا فى سبيل الله
ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف

عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطه على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب
الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد
بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة
لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وعلى هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا
الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما
فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب
الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وان تفرد لكل منهما سفرا وان
تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي وان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو
واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي
لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه صلى الله عليه وآله من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله صلى الله عليه وآله لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر والمعنى ان احصر
المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر
لانه صلى الله عليه وآله ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل
للمبعوث بيده امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما
واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق
للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان
منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية

فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه
صلى الله عليه وآله قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم
الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم
جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة
في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله
وهو القول الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة
فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم
العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة
فانه يطلق بهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول
عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تقيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن
فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على
مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات
عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه
خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم عن العصيان الحج
اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة
بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان وقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا
اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه
بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي
ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن

حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج
في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي والدلالة للمبالغة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها
مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن
مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت
تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما
تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في
اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان
يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية
اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء
سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه
يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم
منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في
دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان
تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسر تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم
الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه
نعت لابرهيم عليه السلم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او
لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي
من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب
والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند
المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد

الاول ما روى جابر انه صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى
المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي
محسر واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان
والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن
الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا
يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها
والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع
قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد
ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او
كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا
في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق من نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف و
توفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول امير
المؤمنين علي عليه السلم الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء و
قول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وعذاب النار معناه احفظنا من الشهوات
والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب
مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم
ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم و
كثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات و

والكتاب الحساب واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوة وعند ذبح القرابين
ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده
اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه
باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال
ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل
الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير ومن
الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما
واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء
واصل الحشر الجمع والضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك و
التعجب حيرة تعرض الانسان بجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما
يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان
او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة
والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة
ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وآله ويدعي الاسلام وقيل في
المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه واحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا
حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم اسم لدار العقاب وهو في الاصل
مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت
عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث

ارشدهم

ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين
آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في
الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها يكف الاجزاء
من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد
اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها لا تخلوا بشيء والخطاب للمؤمنين
ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان
زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق
فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي
ولذلك جاء بعده الا الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او بأسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءها
باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة
وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه وقرئ
بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاككم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل
لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن كثير و
نافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير
يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء الفاعل سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه
وآله او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية
في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن
للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة
وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوه بعد ما عقلوه ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان
الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا

حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على
الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زَيَّن على البناء للفاعل وكل
من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله تعالى فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين
بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم
ويستهزءون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية
والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة
وهم في مذلة ولانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا
بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم بالتقوى والله يرزق من يشاء
في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان
الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين
على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا
فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه عليه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء
مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية و
عشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان
اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا
بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق
الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي
الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا
فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف
الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت
مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء
بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر

وقرانافع

وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له
لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا
لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده
برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال صلى الله عليه وآله حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح
الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال
عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا
من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه و
ليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا
وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضُّعف والضَّعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط
صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس
تحبه وتهواه وهو يفضي بهم الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها
والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة
وان لم تعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه صلعم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته
على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة
معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم
يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله العير والاسارى وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلوات الرحمن عليه وآله الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام
والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر
على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام
وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت

فلا يهتم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات
وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل
امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر
على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان
العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اي ما ترتكبون من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن
دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها
في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة
فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت
لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما
فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي
انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم
ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر فانها مذهبة للعقل
فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا منها فسكروا
فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن
مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشكا الى رسول الله صلوات الله عليه وآله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره
اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه

وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه
اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى قل فيهما اي في
تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي
كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر
تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ
منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله عمرو بن
الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه
يقال للارض السهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي
وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني
صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي
مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع
لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح
والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى
لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من
مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ
ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالط
لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم
اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر
على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان
اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله
سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه

صلى الله عليه وآله بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي
فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلوات الرحمن عليه وآله فاستامره فنزلت ولأمة مؤمنة
خير من مشركة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل
للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين و
المشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي واولياؤه
يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة
اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او
بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى
منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفته ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية
كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في
نفر من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر
يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذي من
يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله صلى الله عليه وآله انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه
اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان
لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية
ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن بعد الانقطاع والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن
فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل
الغسل من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير
المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله

انى شئتم اي من اي جهة شئتم روي ان اليهود يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها
احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت تكذيبا لهم وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم
الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم
ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم
امر الرسول صلى الله عليه وآله ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف لا ينفق على
مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين
اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول
لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها لقوله
صلى الله عليه وآله لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر
عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز
ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به
وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله تعالى
ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس
فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين
والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول
العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة
ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها
قلوبكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه
من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم
يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون ان لا
يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة
اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك
قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله
غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ وان صمموا قصده فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لطلاقهم عَلِيمٌ بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة
الايلاء في اربعة اشهر في الحرة وما دونها في الامة وحكمه ان مولى ان فاء في المدة بالوطي ان قدر
والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد
الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم وَالْمُطَلَّقَاتُ يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما
دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يَتَرَبَّصْنَ خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة
للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر
عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيد فضل تاكيد بِأَنْفُسِهِنَّ تهييج وبعث
لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثَلَاثَةَ
قُرُوءٍ نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله
صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين لقول الاعشى لما ضاع فيها
من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض
كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض
واما قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان
في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء
طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة
القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم
لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ
اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان
قولها مقبول في ذلك إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل
التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وَبُعُولَتُهُنَّ اي ازواج
المطلقات أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ الى النكاح والرجعة اليهن للاية التي يتلوها ولكن اذا كان الطلاق رجعيا
فالضمير اخص من المرجوع ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء
لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا بالرجعة
لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار وَ
لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب و
استحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم

فانفسهن

في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس
يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق وَاللَّهُ عَزِيزٌ يقدر على الانتقام
ممن خالفه الاحكام حَكِيمٌ يشرعها لحكم ومصالح الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ اي التطليق الرجعي اثنان لما
روي انه صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال صلعم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ بالرجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ بالطلقة الثالثة
او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق وَلَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله
ابن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا
اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون
بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
إِلَّا أَنْ يَخَافَا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ بترك اقامة
من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فَإِنْ خِفْتُمْ ايها الحكام أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في
في اعطائه تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ اشارة الى ما حد من الاحكام فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا تتعدوها بالمخالفة
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم
ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد
ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة
الجنة وما روي انه صلوات الرحمن عليه قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها
فقال عليه الصلوة والسلم اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل
على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هو
من جعله فسخا احتج بقوله تع فَإِنْ طَلَّقَهَا فان تعقيبه الخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة
رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله تعالى
فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعتراض بينهما ذكر الخلع دلالة

الطلقتين

على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما
كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما
روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
ابن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلوات الرحمن عليه اتريدين ان
ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه
ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان
يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن
بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان
الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون
يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق
للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى
اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن
من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض الصور للاهتمام
ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل
ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى
مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد
تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء
واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
صلى الله عليه وآله ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والرجعة والنكاح واذكروا نعمت الله
عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وآله بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل

عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم
وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما
يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
للجميع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول على طريقة قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد
يتصوره كل احد يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل
بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم
لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب
او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد من الاستئجار
والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد الرضاع
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى
الارضاع حولين ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد
فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة
ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما
لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي
لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب

لا يضارُّ بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح
على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان
بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرى لا يضارْ بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه و
تنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض
والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين
من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده
فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة
وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين
والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضره لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المرأة واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف
المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد
ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى
الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم
كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون
صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان
الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين

وزيد

وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس
اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وعن امير المؤمنين على عليه السلام وابن عباس رضى الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما
فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا
ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما
تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض
والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية
هى الدلالة على الشى بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر عن
الوطى لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى
السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه
محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا
وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة
المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة
النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا
عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة و
اعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان
الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم
لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم
يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقرأ حمزة والكسائى
تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا

او حتى تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء
لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها
فلها نصف المسمى فمنطوق الاية نفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي على الجملة في الاخير
ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من
الذي سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لانصاري
طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة وهي درع وملحفة وخمار
على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص
ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة
وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا
بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا على المحسنين الذين يحسنون على انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او
فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير
لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث
والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني
ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج
المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل
المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي
عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول الشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى ويؤيد
الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها
عفوا اما على المشاكلة واما لان الغالب عندهم ان يسوقوا المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل
المسيس حق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم
ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا

على الصلوات

على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلاة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا
وهي صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها
في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل الصلوات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي
النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد و
وتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه صلى الله عليه وسلم
كان يقرا والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها
بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت
الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه
دليل وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة
ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف فاذكروا الله صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن
كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما
مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير
والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين
يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا
الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية
او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت
والا بالوصية وبمتاع على قراءة من قرا لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك
هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان
يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن من منزل الازواج فلا
جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف كالتطيب وترك الحداد ما لم
ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة

ازواجهم

بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها **والله عزيز** ينتقم ممن خالفه منهم **حكيم** يراعي
مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة **كذلك**
اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة **يبين الله لكم آياته** وعد بانه سيبين لعباده
الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** لعلكم تفهمونها وتستعملون
العقل فيها **الم تر** تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من
لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب **الى الذين خرجوا من ديارهم** يريد اهل داوردان قرية
قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر
من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم ثمانية
ايام ثم احياهم **وهم الوف** اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متآلفون
جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال **حذر الموت** مفعول له **فقال لهم الله موتوا**
اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله و
مشيئته وقيل ناداهم ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا **ثم احياهم** قيل مر حزقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان
قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع
المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء **ان الله لذو فضل**
على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا **ولكن اكثر الناس**
لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار **وقاتلوا في**
سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم
ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب **واعلموا ان الله سميع** لما يقوله المتخلف والسابق **عليم** بما يضمرانه
وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره
والذي صفته او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه **قرضا حسنا** اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله **فيضاعفه له** فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع

والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب **اضعافا كثيرة** كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع **والله يقبض ويبسط** يقتر
على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم **و**
اليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملأ من بني اسرائيل** الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا
واحد له كالقوم ومن للتبعيض **من بعد موسى** اي من بعد وفاته ومن للابتداء **اذ قالوا لنبي لهم** هو
يوشع او شمعون او اشمويل عليهم السلام **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** اقم لنا اميرا ننهض معه
للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا **قال هل عسيتم ان كتب**
عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان
كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا **قالوا وما لنا**
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد
عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه
من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا**
قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم على ظلمهم في ترك
الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** طالوت علم عبري كداود وجعله
فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قالوا انى يكون له الملك علينا** من اين يكون له ذلك ويتأهل
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة
وانه فقير لا مال له يعتضد بملك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا
وكان فيهم من السبطين خلق **قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم
خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما

وكان الرجل القائم بتدبيره فينال رياسته وثالثها بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه
من يشاء ورابعها انه تعالى واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره
وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس و
الزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع
فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن
فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء
من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل
كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان
ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء كلام من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن
بلده للقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه
قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا
فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة
المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن
لم يطعمه فانه مني اى من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا
ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة
بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون
على الخبر في قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر
والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اى كرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه الا

ان يكون

ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا
على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى لم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة
آلاف وقيل الف روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله
وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا
معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به و
النهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر
والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته
او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت و
جنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك
الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم
باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان
ايشا في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى
نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلثة احجار وقد كلمته في الطريق
وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله
الملك اى ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد
وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو
فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المؤمنين على الكفار ويكف بهم
فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض ولفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك
آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة
وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب و
ارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة
الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى

ومحمد صلوات الله عليهما كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين
او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلّم الله وكالم بالنصب فان كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة
وهو محمد صلى الله عليه وآله فانه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم
المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم خصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل
معجزاته سبب تفضله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى
الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن
بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او
شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما وجب عليكم انفاقه من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك
ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا
خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى
تعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له حتى تتكلوا على شفعاء يشفع لكم في حط
ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار
كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة
لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان
يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام

بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور
يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم
حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه والقياس المبالغة على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مئوف الحيوة قاصرا في الحفظ
والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا
عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا
او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملئكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده
بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل
مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة
ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه
منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اى
حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد
لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعالي عما يدركه

نعم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها بعث
ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا آية الكرسي في دبر
كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لا اكراه**
في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن **قد تبين الرشد**
من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان
طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا
في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل
الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت**
بالشيطان والاصنام وكل ما عبد من دون الله وصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلبت
عينه ولامه **ويؤمن بالله** بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهو مستعار للمتمسك الحق من النظر الصحيح
والراي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق **الله ولي الذين آمنوا** محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من
اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل
واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر **الى النور** الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان و
غيرهما **يخرجونهم من النور الى الظلمات** من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا
عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيما
لشانهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** تعجيب من محاجة نمرود وحماقته **ان آتاه الله الملك**
لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقوله عاداني
لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة

اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان آتيه على الوجه الثاني **ربي الذي يحيي ويميت** بخلق
الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء **قال انا احيي واميت** بالعفو عن القتل
والقتل **قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب** اعرض ابراهيم عن
الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة
وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن
حجة الى حجة اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما
حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاج فيه **فبهت الذي كفر** فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي
فغلب ابراهيم الكافر **والله لا يهدي القوم الظالمين** الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية
وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة **او كالذي مر على قرية** تقديره
او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير
والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم
تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي
مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو
عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع **وهي**
خاوية على عروشها خالية ساقط حيطانها على سقوفها **قال انى يحيي هذه الله بعد موتها**
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف **فاماته الله مائة**
عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام **ثم بعثه** بالاحياء **قال كم لبثت**
القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او
نبي **قال لبثت يوما او بعض يوم** كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان و
اشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله
لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله

وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء
وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ
التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان
شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها
الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها بالراء المهملة من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله
اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به
على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا
وقيل لما قال نمروذ انا احيي واميت قال ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته
فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه
مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد
علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه
ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير
مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شانها
لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ
فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل
كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله

يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء
يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء
نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى
تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا
على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في
الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم
ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى
الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب لكل منها سنبلة
فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه
ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها و
عبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد
باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل
الفاء وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح
الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة
من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال
المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضاء الله تعالى ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء
فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر

اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما
في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه
تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم
على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل له
وروحه لوجه الله ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي
ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا
وقرا ابن عامر وعاصم ربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر
فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت
تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل
اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي
يصيبها طل اي فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها
من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص
ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما
ومنافعهما ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو
للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على
اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود
والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف
فاذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال

بروحه في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى
ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او
جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن
فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم
بآخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز
من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم
حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير
والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة
ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر
للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن
يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ
بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولو
الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من
نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه
ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم
بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل
لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفرض

علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر وعاصم
في رواية حفص اى والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر وقرا
نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث
ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم
وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم الا
ابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق
استجابة لقوله صلى الله عليه وآله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المؤمنين
كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا
في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا
فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلوات الله عليه وآله او لكل احد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا
وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى
انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل نفي الامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في
الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في امير المؤمنين عليه السلام لم يملك الا

اربعة فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون
والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية
الذين ياكلون الربوا اى الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع
في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع
احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو
الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطن الا قياما كقيام المصروع
وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو
متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك
واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى
سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه
فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم
اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت
شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن
قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه
وعنه صلى الله عليه وآله ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال
قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم
منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون من فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا

اربعة درهم

ما بقي من الربا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا **ان كنتم مؤمنين** بقلوبكم فان
دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا
فنزلت **فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله** اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به
وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق
العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي
ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله **وان تبتم** من الارتباء
واعتقاد حله **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون** باخذ الزيادة **ولا تظلمون** بالمطل والنقصان و
يفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله
فيء **وان كان ذو عسرة** وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة **فنظرة**
فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره
بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة **الى ميسرة** الى يسار و
قرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا **وان تصدقوا** بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد **خير لكم**
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله صلى الله عليه وآله لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة **ان كنتم تعلمون**
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله** يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا
لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم **ثم توفى كل نفس ما عملت** جزاء ما
عملت من خير او شر **وهم لا يظلمون** بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها
آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى
الله عليه وآله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات **يا ايها الذين آمنوا
اذا تداينتم بدين** اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة
ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة
ويكون مرجع ضمير فاكتبوه **الى اجل مسمى** معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج
فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربا اباح السلف السلم **وليكتب بينكم كاتب بالعدل** يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو
في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب **ان يكتب كما علمه الله** مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق

او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك
فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف
بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة **وليملل الذي عليه الحق** وليكن
المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد **وليتق الله ربه** اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص **منه شيئا** اي من الحق او مما املى عليه **فان كان الذي عليه الحق سفيها**
ناقص العقل مبذرا **او ضعيفا** صبيا او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان يمل هو** او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او جهل باللغة **فليملل وليه بالعدل** اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان
صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار و
لعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل **واستشهدوا شهيدين** واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة
تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض **فان لم يكونا رجلين** فان لم يكن الشاهدان رجلين **فرجل و
امرأتان** فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة **ممن ترضون من الشهداء** لعلمكم بعدالتهم **ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى** علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان
نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه
اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر من الاذكار **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة **ولا تسأموا ان تكتبوه** لا تملوا من كثرة مداينتكم
ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال
صلى الله عليه وآله لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا او كبيرا** صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان
الكتاب او مشبعا **الى اجله** الى وقت حلوله الذي اقر به المديون **ذلكم** اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا **واقوم للشهادة** واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده
وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك **الا
ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها**
استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او بعين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد

ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده من التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على
انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان يكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا
اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الاية للاستحباب عند
اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل
البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة
لمصالحكم والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر
اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان
او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه صلى الله
عليه وسلم رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتب فى السفر الذى هو مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين فاستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن
بقلب الهمزة ياء والذى تمن بادغام الياء فى التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى يأثم قلبه
او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية و
الاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم فى نفسه و
اخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم
تهديد لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه
يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء
تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف

وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او
الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء فى اللام لحن اذ
الراء لا تدغم الا فى مثلها والله على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى امره غير
شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف
المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل
مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول
بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائى
وكتابه يعنى القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك
قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرا يعقوب
لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد فى
معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين
والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك
ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث
يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل
على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها
غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس و
تنجذب اليه فكانت اجد فى تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة
بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطا فتعاطى الذنوب
لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو
الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطا
والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل
حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل
الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما

اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه صلى الله عليه وآله لما دعا بهذه الكلمات قيل له فعلت وعنه صلعم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلوات الرحمن عليه من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يق سورة البقرة وقال ينبغي ان يق السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال صلى الله عليه وآله السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة يا رسول الله ما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك في لام وقرئ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه صلعم قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا

بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها ولعله كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه ولعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ واما قوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولا يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر منه فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر

إلا أولوا الألباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الارواح
بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قوله لم الاب لم غيرالله فتعين ان يكون هو الاب بانه
مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صورة في الرحم والمصور لا يكون
اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال القلب بن آدم بين الاصبعين من اصابع الرحمن ان شاء
اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا الى الحق او
الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب
لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب
إنك أنت الوهاب لكل مسؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل
بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا إنك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب
فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة
فانها المقصد والمآل إن الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود
لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة
كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إن الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود
او مشركوا العرب لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته
على معنى البدلية او من عذابه وأولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب
آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او
استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا
كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا
فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من
قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون إلى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه صلى الله عليه وسلم لما
جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت
اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل
قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي

فيهما بالياء

فيهما بالياء على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او
استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او اليهود
وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم
مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا الفا او مثلي عدد المسلمين وكانوا
ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا
في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وقرأ نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين و
النصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد
بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر إن في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة
على الكثير شاكي السلاح وايا ما كان فانه يحتمل ان يكون وقوع الامرين اما اخبر به الرسول لعبرة لأولي
الأبصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات
سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير
والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة
الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان
الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث بيان للشهوات و
القنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملأ مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال
والمقنطرة ماخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام
الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر
والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية
الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من
مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات وأزواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني
في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب
ويعاقب المحسن او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه لهم بهذه الاية على نعمة الله

ما ذاها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واهمها الجنة ونعيمها الذين
يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد
او مدح منصوبا او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة
او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار
حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس و
هو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق
واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب
فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال
كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب
الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه و
انتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على
المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا
من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه
الموصوف بهما وقدم العزيز ليتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او
الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه صلى الله عليه وآله قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول
الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول
الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله تعالى عليه وآله وقرأ الكسائي
بالفتح على انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما تضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ
بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجرى شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى
لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب
المتقدمة في دين الله فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد

فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا
في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج
بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت
الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت
به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم
بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما
عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين
ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال
الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا و
الآخرة كقولك زيد فاعلم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من
ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وآله وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه صلوات الله عليه وآله دخل
مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا
لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل
نزلت في الرجم وقرئ على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية
حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم
معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من
ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده

الا عدله القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودات روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على
رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان
العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها
فاذن هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم
الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف و
قطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء
وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق و
الخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي
بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ
روي انه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه
صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول
منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على
ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان
قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال
احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم

لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او نهي عن الاستعانة بهم
في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في
موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء
من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب
اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلم
كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة
احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات و
ما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والاية بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة
بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه
اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي
تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد
مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون
شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن في ذلك اليوم واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم
وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها
على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم

ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبّر
ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته
اتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما
قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارع
بمعنى تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق والاولاد
وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن
لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعاذر بن ابي يود بن يابل بن شالتان
بن يوحنا بن اوشا بن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط
بن ايشا بن داود بن ايشي بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حزهم بن يهوذا
بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال
او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها
من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوالهم واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم
القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصب باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم
وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت
عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذا رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم
ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا
معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك
انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في

بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد
ذكرا ولذلك نذرته تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها
تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا والانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على انه خطاب الله لها وليس
الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس و
اني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا
اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه
دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك وذريتها اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما
من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل و
ملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير
مضاف اي بذي قبول حسن وان تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين
ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع الاحوال وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان
الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا
مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا
جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا

يدفع اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع
ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة إن الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلام الله روي ان فاطمة عليها السلام اهدت
لرسول الله صلى الله عليه وآله رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين عليهم السلام وجميع
اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او في
ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها
انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل فقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة
وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد
يركب الخيل فان المنادي كان جبرئيل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو
قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في
قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع
منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي
هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان
فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر
في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا
من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة
او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن
واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو
القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب
مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر و
العقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء
بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل
لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك

الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم
خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا
عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا
كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلتقي
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما
قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال
الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الظهر و
قرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت
معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى و
تفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها
وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود
بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
امرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك
في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من
ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب اي ما
ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي نوحيه اليك وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل كانوا اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة
تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع
وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم
وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى
وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه

وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع او اشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له من سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا ينسب الى الام الا اذا فقد الاب **وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة ولكنه موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة **وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا** اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية **وَمِنَ الصَّالِحِينَ** حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره **قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** القائل جبرئيل او الله تعالى وجبرئيل حكى لها قوله تعالى **إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ** كلام مبتدا مذكور ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرا نافع وعاصم ويعلمه بالياء **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ** منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ** نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير **فَأَنْفُخُ فِيهِ** الضمير للكاف اي في ذلك المماثل **فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** فيصير حيا طيارا باذن الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ** الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء **وَأُحْيِي**

الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية **وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين **وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ** عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا **وَلِأُحِلَّ لَكُمْ** مقدر باضماره اي مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك **بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** اي في شريعة موسى عليه السلم كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان **وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم قل امنت بالله ثم استقم **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس **قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ** ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ** حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلم لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها **نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** اي انصار دينه **آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس **وَمَكَرُوا** اي الذين احس منهم الكفر من اليهود

بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة
والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك
نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين
كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من
المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي
مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير الحكم وتفصيل له وقرئ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك
وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم
الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان
شانه الغريب كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا
اب كما خلق ادم من التراب بلا اب ولا ام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة
والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا لقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا
تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وآله على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن
حاجك من النصارى فيه اي في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم
فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ندع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها

وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار
فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما
تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد حسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت
فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا
تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلوات الله عليه وآله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا
من حديد فقال صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى
بهم من اهل بيته عليهم السلام ان هذا ان ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها
خبران او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم عليهما السلام حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام
دخلته لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة
للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه
في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين و
الاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا
ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم
والتحليل لان كلا منهم بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة
فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال
عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم

ويحاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وفق عليه عيسى والانجيل وسائر
الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك
فقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على
موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا
تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم
به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة
اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في
التورية والانجيل عنادا وتدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين
ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم
فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا
نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما
منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك في الالزام وما كان من المشركين تعريض
بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين بانهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم
ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا
لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر
عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان
وما يضلون الا انفسهم ولا يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم
او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وانتم تشهدون
انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ
تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله صلى الله عليه وآله كلابس ثوبي
زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلى الله عليه وآله ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت

ويقال عليه

طائفة

طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقرآن
اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم
رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وآله بالنعت الذي
ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب
الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان
الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم
ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل
من الهدى وقرأ ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع ويؤيد الوجه الاول اى الآن يؤتى احد وقرئ ان
بالكسر على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما
الا مدة دوامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل
اى علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم
في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند نزولها كذب اعداء الله

ومن اهل الكتاب

لما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات
لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من و
اشعر ان التقوى ملاك امور الدين وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات
وايمانهم بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة
او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره
يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت
في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك
رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع
كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا
يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون
وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد
لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا
من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب و
الحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل
ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان
نعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا
رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد
من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين
الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم

دارسين لان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون بمعنى التدريس وتدرسون بمعنى تدرسون كاكرم وكرم
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول
وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه
ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ
اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى ورفعه الباقون
على الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم
مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه اخذ الميثاق
من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد الانبياء على حذف المضاف
وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا
اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما
يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان
ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه
او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لاجل
لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال ءاقررتم
واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل
الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد
وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم
الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل
بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الا

كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت ومختارين كالملائك والمؤمنين ومسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ حفص بالياء على ان الضمير لمن قل
آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان
والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او
بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسول يعدى بعلى
لانه من فوق وانما قدم المنزل علينا على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام
دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين
في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة
التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول
كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما
وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد
وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو
على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه نفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة
راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه لكن لا يعرف
الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي بعد الارتداد واصلحوا ما
افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل التوبة رحيم
يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من
توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله
بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض

الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد صلى الله عليه وآله ريب المنون
او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على
الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لهم في صورة حال الآيسين من الرحمة
او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه
وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على
المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله لقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل
منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن
تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة
حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة
الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها
حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله اسامة فقال زيد
انما اردت ان تصدق به فقال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق
احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره و
من لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا
لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا
فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطبا
واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التورية من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم الله عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد
على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية بان قالوا لسنا اول من حرمت عليهم وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وآله موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها **قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين** امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه صلى الله عليه وآله قال لهم ذلك فبهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته **فمن افترى على الله الكذب** ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم **من بعد ذلك** من بعد ما لزمهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح **قل صدق الله** تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه **وما كان من المشركين** فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود **ان اول بيت وضع للناس** اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى يدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازم ولازب وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه صلى الله عليه وآله سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال الله تعالى **فيه آيات بينات** كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابرهيم** مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة

على التوحيد بسبب هذا الاثر لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان آمنا** جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله صلى الله عليه وآله حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما الذكرين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال صلى الله عليه وآله من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما التجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن يلجأ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وآله الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين** وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال صلى الله عليه وآله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد الابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى روي انه لما نزلت صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وآله فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون** والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن** كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق

بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالوا لصدهم عنه **تبغونها عوجا**
حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان يلبسوا على الناس ويوهموا ان فيه عوجا عن الحق
بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وآله ونحوهما او بان يحرشوا بين المؤمنين لتختلف
كلمتهم ويختل امر دينهم **وانتم شهداء** انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد
ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية
صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون **يا ايها الذين**
آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في
نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك
اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين
خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم و
اشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله**
وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن
الكفر **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره **فقد هدي الى صراط**
مستقيم فقد اهتدى لا محالة **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** حق تقواه وما يجب منها
وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن
مسعود رحمه الله هو ان يطاع ولا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها ومن توقع المجازات عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية قلبت
واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** اي ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل
تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي **واعتصموا بحبل الله** بدين الاسلام
او بكتابه لقوله صلى الله عليه وآله القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب

النجاة

النجاة عن الردى كما ان الحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام
ترشيحا للمجاز **جميعا** مجتمعين عليه **ولا تفرقوا** ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كاهل الكتاب ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة **واذكروا نعمة الله عليكم** التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى
التالف وزوال الغل **اذ كنتم اعداء** في الجاهلية متقاتلين **فالف بين قلوبكم** بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله با
لاسلام والف بينهم برسوله صلعم **وكنتم على شفا حفرة من النار** مشفين على الوقوع في نار
جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار **فانقذكم منها** بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه باعتبار ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها
طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث **كذلك** مثل
ذلك التبيين **يبين الله لكم آياته** دلائله **لعلكم تهتدون** ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للتصدي له شروط لا يشترك
فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون بالمعروف كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله **واولئك هم المفلحون**
المخصوصون بكمال الفلاح روي انه صلى الله عليه وآله سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر
واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه
تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا** كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعدهم **من بعد ما جاءهم**
البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق
في الاصول دون الفروع لقوله صلى الله عليه وآله اختلاف امتي رحمة ولقوله صلعم من اجتهد فاصاب فله اجران
ومن اخطا فله اجر واحد **واولئك لهم عذاب اليم** وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم **يوم**

تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق
البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم
المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وآله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فَذُوقُوا
الْعَذَابَ امر اهانة بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او جزاء لكفركم وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد
ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اخرجه مخرج الاستئناف
للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ الواردة في وعده ووعيده
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ اذ يستحيل الظلم
منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازى كلا بما وعد له واوعد كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ اظهرت لهم تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ يتضمن
الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به
وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله
تصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم امرين بكل معروف وناهين عن كل
منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ ايمانا كما ينبغي لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
كعبد الله بن سلام واصحابه وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها
واردتان على سبيل الاستطراد لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع
باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاتلوا كان الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم

النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة وبني
النضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل والجزية أَيْنَ مَا ثُقِفُوا وجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ استثناء من اعم عام الاحوال
اى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة
المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا به مستوجبين له
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر
فقراء مساكين ذَلِكَ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء ذَلِكَ
اى الكفر والقتل بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار
على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا
واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث
انهم مخاطبون بالفروع ايضا لَيْسُوا سَوَاءً في المساوى والضمير لاهل الكتاب مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا
منهم يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في
ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا
يصلونها لما روي انه صلى الله عليه وآله اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم
منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف
صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ اى الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ
يُكْفَرُوهُ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء
والباقون بالتاء وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز
عند الله هو اهل التقوى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ملازموها هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة او سمعة او المنافقون رياء وخوفا

في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو
في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد **اصابت حرث قوم ظلموا**
انفسهم بالكفر والمعاصي **فاهلكته** عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا
في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه
المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو
الحرث **وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم
ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان
لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة**
وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال صلى الله
عليه وآله الانصار شعار والناس دثار **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم **لا يألونكم خبالا** اي لا يقصرون لكم في الفساد والالو
التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع و
النقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية **قد بدت البغضاء**
من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم **وما تخفي صدورهم اكبر**
مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار **قد بينا لكم الآيات** الدالة على وجوب الاخلاص و
موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات
على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم**
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائكم في موالاتهم وهو خبر
ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه وصلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة
ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله**
بجنس الكتاب وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم
تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم **واذا لقوكم قالوا**
امنا نفاقا وتغريرا **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ** من اجله تأسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به **ان الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق
وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا

وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى
من ضمائرهم **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم
الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة
وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف **وتتقوا** موالاتهم او ما حرم الله عليكم **لا يضركم**
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء
والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره **ان الله بما يعملون** من الصبر والتقوى وغيرهما **محيط** اي
محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه **واذ غدوت** اي
واذكر اذ غدوت **من اهلك** من حجرة عائشة **تبوئ المؤمنين** تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة
باللام **مقاعد للقتال** مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله
تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله قبل ان تقوم من مقامك **والله سميع** لاقوالكم
عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم
يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال صلى الله عليه وآله
اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت
كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال
فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا
ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل
لا يأتونا من ورائنا **اذ همت** متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت **طائفتان منكم** بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر **ان تفشلا** اي تجبنا او تضعفا روي انه
صلى الله عليه وآله خرج في زهاء الف رجل الى احد ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن
ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيّان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع

وقيل بفتح الراء

رسوله والقائم فما كانت غريبة لقوله تعالى **والله وليهما** اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان
يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر **ولقد نصركم الله ببدر** تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر
ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به **وانتم اذلة** حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل
ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح **فاتقوا الله** فى الثبات **لعلكم**
تشكرون ما انعم عليكم بتقويكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سببه **اذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم
احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل
الملئكة **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين** انكار ان
لا يكفيهم ذلك وانما جئ بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو و
كثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملئكة ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن
عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج **بلى** ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة
على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم** اى المشركون **من**
فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم
اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال **يمددكم ربكم بخمسة الاف**
من الملئكة فى حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير **مسومين** معلمين من التسويم الذى هو اظهار
سيماء الشئ لقوله صلى الله عليه وسلم سوموا فان الملئكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو **وما جعله الله** وما جعل امدادكم بالملئكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن قلوبكم به** ولتسكن اليه من الخوف **وما**
النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما
امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث
على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم **العزيز** الذى لا يغالب فى اقضيته **الحكيم** الذى ينصر ويخذل بوسط
وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة **ليقطع طرفا من الذين كفروا** متعلق بنصركم او وما النصر ان
كان اللام للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من صناديدهم **او يكبتهم** او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع فى
القلب واو للتنويع دون الترديد **فينقلبوا خائبين** فينهزموا منقطعى الامال **ليس لك من الامر**
شئ اعتراض **او يتوب عليهم او يعذبهم** عطف على قوله او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او

يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون
معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
شئ وان يكون او بمعنى الا اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب عليهم فتسر به او يعذبهم فتشتفى منهم
وروى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن **فانهم ظالمون**
قد استحقوا التعذيب بظلمهم **ولله ما فى السموات وما فى الارض** خلقا وملكا فله الامر كله **يغفر**
لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى
له **والله غفور رحيم** لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا**
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل
ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه **لعلكم تفلحون** راجين الفلاح **واتقوا النار التى اعدت للكافرين**
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على ان النار معدة للكفار بالذات وبالعرض
للعصاة **واتقوا النار التى اعدت للكافرين** بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على
ان النار معدة للكفار بالذات وبالعرض للعصاة **واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل
خبرا له **وسارعوا** بادروا واقبلوا **الى مغفرة من ربكم** الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو **وجنة عرضها السموات والارض** اى
عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** هيئت لهم وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون** صفة مادحة للمتقين او مدح
منصوب او مرفوع **فى السراء والضراء** فى حالى الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو
من مسرة او مضرة لا يخلون فى حال بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير **والكاظمين الغيظ**
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت **والله يحب المحسنين** يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم **والذين اذا فعلوا فاحشة** عطف

بالغير في القبح كالزنا أو ظلموا أنفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا
على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر الذين ان ابتدأت به
وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد
الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء
لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون
مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل
اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم
سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل
امم قال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم : ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه
بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت
اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم
احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم
انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان و
قتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة
القلوب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة و
الكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو

بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان
المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل
لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة
يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد
بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت
وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لم يعلم او الفعل المعلل به
محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء
احد او يتخذ منكم شهداء معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب
الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين
على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم و
يصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء
قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه
توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ
لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة
الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه
بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار
ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن

بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب
بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وآله فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون و
قال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما
قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة الاسلام بالثبات عليه
كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت
عليه السلم في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل **كتابا** مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا** صفة له اي موقتا
لا يتقدم ولا يتاخر **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان
المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب
وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته
منها** اي من ثوابها **وسنجزي الشاكرين** الذين شكروا نعم الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد **وكاين**
اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرا
ابن كثير وكائن ووجهه انه قلبت قلب الكلمة الواحدة لقولهم رعملي في لعمري فصار كيان ثم
حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي **من نبي** بيان له
قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب
الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او
ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم
وهو من تغييرات النسب كالكسر **فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله** فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي او بعضهم **وما ضعفوا** عن العدو او في الدين **وما استكانوا** وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع
الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب لنفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم
عند الارجاف بقتله **والله يحب الصابرين** فينصرهم ويعظم قدرهم **وما كان قولهم الا ان قالوا**

فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه

ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة و
انما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث **فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين** فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا
بفضله وانه المعتد به عنده **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على
اعقابكم فتنقلبوا خاسرين** نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان
محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام
في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم **بل الله مولاكم** ناصركم وقرئ بالنصب على
تقدير بل اطيعوا الله مولاكم **وهو خير الناصرين** فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره **سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب** يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلم ان شاء الله وقيل
لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم
وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القران **بما اشركوا بالله** بسبب اشراكهم به
ما لم ينزل به سلطانا اي الهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان **ومأواهم
النار وبئس مثوى الظالمين** اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل **ولقد
صدقكم الله وعده** اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على
اثارهم **اذ تحسونهم باذنه** تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه **حتى اذا فشلتم** جبنتم وضعف رايكم
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل **وتنازعتم في الامر** يعني اختلاف الرماة حين انهزم
المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال اخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون
العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله **وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون** من الظفر و
الغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم **منكم من يريد الدنيا** وهم التاركون
المركز للغنيمة **ومنكم من يريد الاخرة** وهم الثابتون محافظة على امر الرسول **ثم صرفكم عنهم** ثم كفكم

الى كم

عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم **ليبتليكم** على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفا**
عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة **اذ تصعدون** متعلق بصرفكم
او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة
ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره **والرسول يدعوكم** كان يقول الي عباد الله الي
عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة **في اخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فاثابكم غما**
بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم
وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او
فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما
بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى
ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة **والله خبير بما تعملون** عليم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل**
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا
النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول
ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة
او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن **يغشى طائفة منكم**
اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا **وطائفة** هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها **يظنون**
بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق
نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي يحق بان يظن به وظن الجاهلية واهلها **يقولون**
اي لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو بدل من يظنون **هل لنا من الامر من شيء** هل لنا مما امر الله
ووعدنا من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من
الامر شيء **قل ان الامر كله لله** اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء
له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء **يخفون**
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبين

النصر مبطنين الانكار والتكذيب **يقولون** اي في انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من
يخفون او استئناف على وجه البيان **لو كان لنا من الامر شيء** كما وعد محمد صلوات الرحمن عليه وآله
وزعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره **ما قتلنا**
هاهنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة **قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب**
عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى
مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه
لا معقب لحكمه **وليبتلي الله ما في صدوركم** ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح
جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا **وليمحص ما في قلوبكم** وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن
الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين **ان الذين تولوا منكم يوم**
التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان
السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على
الغنيمة والحيوة بمخالفة النبي عليه الصلوة والسلام فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة **ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم و
اعتذارهم **ان الله غفور** للذنوب **حليم** لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب **يا ايها الذين**
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين **وقالوا لاخوانهم** لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم في النسب او المذهب **اذا ضربوا في الارض** اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان
حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية **او كانوا غزى** جمع غاز كعاف وعفى **لو**
كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين **ليجعل**
الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا
او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة
فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم **والله يحيي و**
يميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد **والله بما تعملون بصير** تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة و

الكسائي بالياء على أنه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم أي متم في سبيله وقرأ نافع
وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم و
هو ساد مسد الجزاء والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع في سبيل الله
فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء
ولئن متم أو قتلتم على أي وجه اتفق هلاككم لإلى الله تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه
وبذلتم مهجكم لوجهه لا إلى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان
إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت فظا
سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك
فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب إذ
الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيد القاعدة سنة المشاورة
للأمة فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك
على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه وقرئ فإذا عزمت على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك
فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح إن ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي
ينصركم من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا
تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي
أن يغل وما صح لنبي أن يخون في الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية والمراد منه إما براءة الرسول عما اتهم به إذ روي أن قطيفة
حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين
تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
وإما المبالغة في النهي للرسول على ما روي أنه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر و
الكسائي ويعقوب أن يُغَل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت
بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث أو بما احتمل من وباله وإثمه ثم توفى كل نفس

ما كسب

ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى
وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله
بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق
بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله
شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات والله بصير
بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين أنعم على من آمن
مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على أنه
خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم
ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أي من
أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته أي القرآن بعدما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والأعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى وإن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما أصابتكم مصيبة
قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف إلى أصابتكم أي حين أصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر
سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند أنفسكم أي مما اقترفته
أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فإن الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج
من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر إن الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر
ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم وما أصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع
المشركين يريد يوم أحد فبإذن الله فهو كائن بقضائه أو تخلية الكفار سماها إذنا لأنها من
لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء
وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة أو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله
أو ادفعوا تقسيم للأمر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم وإنما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ أقرب منهم

لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن
ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة
أو لو نحسن قتالا لاتبعناكم ع ح ح

للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم
لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم
السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق
وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين
قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او
قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من
جنسهم وقعدوا حال من مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما
قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بالتشديد في التاء قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك
والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله او لكل احد
وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف
لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل
احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو الزلفى منه يرزقون من
الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز
بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم
يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة
الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة
وحال الذين تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر
مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل
فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح
الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل
العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد

الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره
للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال
انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما
تكثيرها للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي
بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله
محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين
او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان
والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي
ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وآله فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلوات الله عليه وآله
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على
انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم
الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه
من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد
يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وآله ان شاء الله فلما كان القابل خرج في
اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة
للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله
ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير
المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا
اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده
وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال
نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة
الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا
الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا

في قولك هذا جل حسبك ونعم الوكيل الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل
ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة
رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس عليه اللعنة يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع
الرسول صلوات الرحمن عليه وآله او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير
للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن
الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا
اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر
وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه
فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون في الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب
في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه لم يرد بهم ان يكون لهم
حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من
المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب
للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان
التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير
مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين
كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة
في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي وعاصم ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل

وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة
العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم
ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة
وقرئ انما بالفتح وكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير لهم اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتهوا و
تداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر
بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر
الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على
الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب
من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له
ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه صلوات الله عليه وآله قال
عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن
يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا
يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه على
ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا
لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل
شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى
سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله
الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وما فيهما مما يتوارث
فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله

بما لكم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا وروي انه
صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة
اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول
جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب
بالياء وضمها وفتح التاء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات
والحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب
حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم
عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت
وسببية العذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين
قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في
التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي
فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم
لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد
جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة وبما اقترحوه فقتلوهم
فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا
بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا
بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور

للتصديق

ولو فرع سوال يرده

ع

وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في العرف القران مما يتضمن الشرائع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من
زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا
تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم من القبور ولفظة التوفية تشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح
عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد
فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر
او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الافات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن
في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها بغتة وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة
امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها
او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله
اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا
تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام
جواب القسم الذي ناب عنه قوله واخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا
من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وآله
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا

وعدم

عن النار

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله ومن ضم الباء جعل
الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر ولا يحسبن
بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل
عليهما مفعولا مؤكده وهو يحسبنهم الثاني وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا
يحسبن انفسهم بمفازة والمفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيدا للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وآله سأل اليهود عن شيء مما في التورية
فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم
تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين
فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم
ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي
الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة
عن شوائب الحس والوهم كما سبق في البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط
الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل
والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن
النبي صلى الله عليه وآله ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا و
على جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة
والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث
حسب طاقتهم لقوله صلى الله عليه وآله لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة الشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم
بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما
قال صلوات الرحمن عليه وآله لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة
والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا و
خالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما
خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه

من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا

اي بمنجاة

خلق

الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا
ضايعا من غير حكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام
بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى
الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي
النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير
المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى
بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة
ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه
تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله
لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة
او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك
لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت
وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس
مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام
اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان
عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد
او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان
ام سلمة قالت يا رسول الله صلى الله عليه وآله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت

بل خلقته لحكم

فالذين هاجروا الى آخره تفصيل الاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم
والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو
لا يوجب ترتيبا والثاني افضل اولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد
ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر
مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع
المكذبين او لكل احد والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة
والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم و
متاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان
اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين لقوله صلى الله عليه وآله ما الدنيا
في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا
اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل
فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار
مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام و
اصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين
ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن
وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك
لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين
ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا

اصبروا

اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر
على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته
ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال صلى الله عليه وآله
من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر
رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري
عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي
الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات
المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية
منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته
حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي خمس وسبعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم و
خلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من
اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج
المخلوقة منها بنين وبنات واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
يقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة
على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد
الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق
وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل
بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا
او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو
ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى
او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وآله
الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم
حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه

رقيبا

وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على
يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من ابواب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى و
اسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار ولكن العرف خصصه بمن لم يبلغ و
وروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم
اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا
او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله
ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام من
اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل
لا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل **ولا تأكلوا اموالهم
الى اموالكم** ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال
وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف **انه كان** الضمير للاكل **حوبا
كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا **وان خفتم الا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا
تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها
فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج
من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم
وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا
يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما
ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا **مثنى وثلاث و
رباع** معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرفة
للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها
معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح
يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة
درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع

تقسطوا

لو ذكرها والذهب بتجويز الاختلاف في العدد **فان خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضا
فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره
تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي التقليل منهن او اختيار
الواحدة او التسري **ادنى الا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا
جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة
قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا
النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون
الدال جمع صُدْقة كغُرْفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة
نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال
من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول
له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون
مهور موليّاتهم **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى
اسم الاشارة كقول رؤبة كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب
نفس للمبالغة وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز ومنه بعثا لهن على تقليل الموهوب **فكلوه
هنيئا مريئا** فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
اذا ساغ من غير غصص اقيما مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من
زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** نهي للاولياء عن ان يؤتوا
الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم
وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته
واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على

انفسهم وهو وفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول
بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى
عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان
تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها
نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه يدفع اليه ما ضبط
المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع
في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة
بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغ حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة
سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت
عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم
اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط
والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زاد على
سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة
دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
مشعر بان للولي حقا في مال الصبي وعنه صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها
يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه نفي للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل
على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد
كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا

مقطوعا

مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس
بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة
وعرفجة ميراثه على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن
نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني
العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب واذا حضر القسمة اولو القربى ممن لا
يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل
عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه
في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند
الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان
يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين
بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد
للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما
امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى
مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه
الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه صلى الله عليه
وآله قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا
واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى

اذ لا ينفع

غرّها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيه والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو
اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان
فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على
ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية كما في الجاهلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر
منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اي وان كانت المولودة واحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما لانه لما بين ان حظ الذكر
مثل حظ الانثيين اذا كان معه الانثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم
ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان
البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل
واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد مما ترك ان كان له الميت ولد ذكرا او انثى
غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم
يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا
وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث ما بقي فرضه كما قال الجمهور لا
ثلث المال كما قال ابن عباس رضه فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب
وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضه انهم ياخذون
السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضه لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة
ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها
من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء
للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما

متساويان

متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي مؤخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما
وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الاخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم
للثواب بامضاء وصيته ومن لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان
عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني
بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع
مما تركتم من بعد وصية ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث
منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم
يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل
الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل
الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث
مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت
للقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك
فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف
على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما
قدر هاهنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر
من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة
ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع

من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث ما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها

فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله صلى الله عليه وآله ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعدد فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه

والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن اى الزوجات جمع الضمير لانه اراد به
الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اى من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما
مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك
والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا
بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل
اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبى صلى الله عليه وآله بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم ولا تنكحوا التى نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية
على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من
المعنى اللازم للنهى وكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
فى التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
فانه لا مؤاخذة عليه فانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة
عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروءات ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة
ابيه المقتى وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم
الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت
وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاث
وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك
قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتى
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة
اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل الذى در عليه اللبن قال صلى الله عليه وآله

ما يحرم من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما
فى النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ذكر اولا
محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة
الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر
فعيل بمعنى المفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما من نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها
مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة
لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى
على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وآله فرق بينهما فقال فى رجل
تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة
العلماء غير انه روى عن على عليه السلام تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى للنسائين لان
عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن
فى احتضانكم او بصدده تقوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد
الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على عليه السلام جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فيها ليس بزنا كالوطى بشبهة
او ملك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح
عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين
الاختين فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات
المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال على عليه السلام وعثمان حرمتهما
آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول
على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله ما اجتمع الحلال والحرام الا وغلب الحرام
الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه ولكن ما قد سلف مغفور لقوله ان
الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج
وقرأ الكسائى فى جميع القرآن غير هذا الموضع بكسر الصاد وفتحها لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت
ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع
بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى

عليه والد نزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتنا رماحنا حلال
لمن يبنى بها لم تطلق وقال ابو حنيفه لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابى واطلاق
الاية والحديث حجة عليه **كتاب الله عليكم** مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء
كتابا وقرئ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطف على حرمت **ما وراء ذلكم**
وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على الفعل
المضمر الذى نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطف على
حرمت **ما وراء ذلكم** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين غير
مسافحين** مفعول له والمعنى واحل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء بالصرف فى مهورهن
واثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة
ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفيه على
ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه **فما استمتعتم به منهن** فمن تمتعتم به من المنكوحات
او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن **فآتوهن اجورهن** مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع
فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او
فيما تراضيا به من نفقه او من مقام او فراق وقيل نزلت الاية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روى انه صلى الله عليه وآله اباحها ثم اصبح يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح المؤقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه
مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح
حكيما فيما شرع من الاحكام **ومن لم يستطع منكم طولا** غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة **ان ينكح
المحصنات المؤمنات** فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى
نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله **فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات** يعنى الاماء المؤمنات
وظاهر الاية حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية
مطلقا واول ابو حنيفه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطى وحمل قوله من فتياتكم
المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد
وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى

النكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج **والله اعلم بايمانكم** فاكتفوا
بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم
ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه
بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن اهلهن**
يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف
المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان **محصنات** عفايف **غير مسافحات** غير مجاهرات بالسفاح
ولا متخذات اخدان اخلاء فى السر **فاذا احصن** فى التزويج **فان اتين بفاحشة** زنا **فعليهن
نصف ما على المحصنات** يعنى الحرائر **من العذاب** من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف **ذلك** اى نكاح
الاماء **لمن خشى العنت منكم** لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء
وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وآله الحرائر صلاح
البيت والاماء هلاكه **والله غفور** لمن لم يصبر **رحيم** بان رخص له **يريد الله ليبين لكم** ما
تعبدكم به من حلال وحرام او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد
واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس
انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الخلق لاجله **ويهديكم
سنن الذين من قبلكم** مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم **ويتوب عليكم** ويغفر
لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم **والله
عليم** بها **حكيم** فى وضعها **والله يريد ان يتوب عليكم** كرره للتاكيد والمقابلة **ويريد الذين
يتبعون الشهوات** يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت **ان تميلوا** عن الحق **ميلا** بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات **عظيما** بالاضافة
الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل لها **يريد الله ان يخفف عنكم** فلذلك شرع لكم الشرعة
الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة **وخلق الانسان ضعيفا** لا يصبر عن
الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانى آيات فى سورة هن خير لهذه الامة

ما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفران يشرك
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار إلا أن تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا
كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه
التي بها غالبا تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا
وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله والتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة
بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم
بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأوله في
التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها
ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة
جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم
ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما
اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل
الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما
افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم
النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح
النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب
الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنه وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر
لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد هنا
انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها
بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليه الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما

كفرعنه

كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال
الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطيئاته التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية
كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا
بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة
القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر بغير كسب ضائع ومحال للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء
فضل ونصيب بسبب ما اكتسبوا ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال صلى الله
عليه وسلم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل
ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله
اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد
ولا تمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم
ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو النساء وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ومما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث
وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم
كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا
موالي صفة لكل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت
ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم
واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء
شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب

ايمانكم فحذف العهود

تفضيل الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد و
الجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم
في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة
الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه صلوات الرحمن عليه خير النساء امرأة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق
له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله
بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله
وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت
اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا
تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان
لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم
منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو
عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما
خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما دل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف
اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج
والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر انهما لتنصيب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر
ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه

وهو المكان المرتفع

ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا
الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا
الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على من اصلح الله مبتغاه ان الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع بينهما الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
القرابة الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على
الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وآله الجيران
ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف
وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه و
جيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره
الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي ههنا بالبخل
بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا
لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه و
آله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في
الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم
كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا

احقاء بكل ملامة

مما رزقهم الله اى وما الذى عليهم واى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو
توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب
الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والفرائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر
لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره
فى الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم
جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة
المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها
وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى
مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح
اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع
قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة و
العصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى
يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان
تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء فى السين وحمزة والكسائى
تسوى على حذف التاء يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا و
تعلموا ما تقولون فى صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم

نقرا اعبد

فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران
عن قربان الصلوة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى
بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابته
الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر الا عابرى سبيل متعلق
بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولا تقربوا الصلوة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر و
ذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل
وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها
وجوز للجنب العبور فى المسجد وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء
او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الاية تنبيه على ان المصلى ينبغى ان
يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من
استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد
منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من
الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء
وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائى لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المرخص له بالتيمم اما محدث
او جنب والحال المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله
والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وبالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل
حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا الماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه و
قال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد
اسم العضو الى المنكب وما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء
دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص
الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء
نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها

على الهدى او يبدلونها به بعد تمكنهم منه او بحصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وقيل
باخذ الرشى ويحرفون التورية **ويريدون ان تضلوا** ايها المؤمنون **السبيل** سبيل الحق
والله اعلم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم **وكفى بالله**
وليا يلي امركم **وكفى بالله نصيرا** يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل
كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي **من الذين هادوا** بيان للذين اوتوا نصيبا
فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا
ويحفظكم منهم او خبر محذوف **يحرفون الكلم عن مواضعه** اي من الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه
على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف
كلمة **ويقولون سمعنا** قولك **وعصينا** امرك **واسمع غير مسمع** اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم
او موت واسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما
قالوه نفاقا **وراعنا** انظرنا نكلمك او نفهم كلامك **ليا بالسنتهم** فتلا بها وصرفا للكلام الى ما
يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا
وطعنا في الدين استهزاء وسخرية **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا** ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه **لكان خيرا لهم واقوم** لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف
الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه **ولكن لعنهم الله بكفرهم** ولكن
خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو
الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي او الا قليلا
منهم امنوا او سيؤمنون **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من**
قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة
ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة
وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت
منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من
قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع

الرشى

ونردها

ونردها عن الهداية الى الضلالة **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا
به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على
طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بهم الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس
مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد منتظر او كان وقوعه
مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة **وكان امر الله مفعولا** بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به
وقضاه **مفعولا** نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا **ان الله لا يغفر ان يشرك**
به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان الذنب لا يتمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره **ويغفر ما**
دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا **لمن يشاء** تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة حملوا
الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب
وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر
بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار **ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما**
ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما
يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** يعني اهل
الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما
عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها **بل الله يزكي من يشاء** تنبيه على
ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم
وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا **ولا يظلمون** بالذم
او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق **فتيلا** ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة
يضرب به المثل في الحقارة **انظر كيف يفترون على الله الكذب** في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء
عنده **وكفى به** بزعمهم هذا او بالافتراء **اثما مبينا** لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم **الم تر الى الذين**
اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان
عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد صلى الله عليه وآله وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن
الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلوات الرحمن عليه وآله
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد صلى الله عليه وآله منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا
حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس

وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين
كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد
سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى همزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم
فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم
اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا
لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون
الناس بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على
النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
كان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
او جعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة
النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به
بمحمد صلى الله عليه وآله او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم
من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك
بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب
اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة
ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض
لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل
اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات

وان نزلت في يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل
فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلوات الله عليه وآله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل
رسول الله عليه التحية والسلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فنزلت فامره الله ان يرده اليه فامر عليا عليه السلام ان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا
لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان
تحكموا بالانصاف والتسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل
الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول
وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها
على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو
يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في الحكم بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون
القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد
ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة واحسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وآله ودعاه المنافق الى كعب
بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسوله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي
لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم
فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا
احكم لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله صلى الله عليه وآله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل

ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير وقرئ ان
يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى
غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على
يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك
الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل
طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم
عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا
يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب
وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة
لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك
على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا
مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من
ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول
واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان
من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان جرم ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان
توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم

لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من
امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب
ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا
تنسوا الفضل بينكم وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان تسلموا
حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري
الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية
ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم
زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى
جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال
مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء و
لهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي
النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك

ان تفوق المنعم عليهم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في
مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونوا كمن يرى
الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما
ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان
يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون **وحسن اولئك رفيقا**
في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه
اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير
وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم
ومزيتهم **الفضل** صفته **من الله** خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة **وكفى
بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله **يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم**
تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح **فانفروا**
فاخرجوا الى الجهاد **ثبات** جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه
ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه **او انفروا جميعا** مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان
نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي
ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر
والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
ان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** اي المبطئ **قد انعم
الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا** حاضرا فيصيبني ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله**
كفتح وغنيمة **ليقولن** اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من **كأن
لم تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين الفعل والمفعول وهو **يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما** للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد
ان يكون معكم لمجرد المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه

من المنافقين

من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم
يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لم
يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشأن وهو
محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب يكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ
بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالاخرة** اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك
ما حكي عنهم **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما** وعد له الاجر
العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما
قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين
وما لكم مبتدأ وخبر **لا تقاتلون في سبيل الله** حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى
الفعل **والمستضعفين** عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر
وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها
واخصها **من الرجال والنساء والولدان** بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها
على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد
**الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا
واجعل لنا من لدنك نصيرا** فاستجاب لهم الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة
وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل
عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيرها
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على
ما عمل فيه **الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله** فيما يصلون به الى الله **والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت** فيما يبلغ بهم الى الشيطان **فقاتلوا اولياء الشيطان** لما ذكر مقصد

الفريقين اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا
اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم
على اضعف شئ واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية
الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق
مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او
الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف
على ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه
بل هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت و
يحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى
والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من
آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم
الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ
واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى
الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها
كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية اى وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى
وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد
صلى الله عليه وآله المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض
حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما فى صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط و
القابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال صلى الله عليه وآله ما احد
يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن
نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل منه

ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة ما
من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها
التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فىّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك
بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه قال صلى
الله عليه وآله من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد
قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى
عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة
واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت
طائفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان
الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى
ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته
فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لنطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف
عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم
افلا يتدبرون القرآن يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله
اى لو كان كلام البشر كما تزعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة
للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة
البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف
الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان
قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله او اخبرهم الرسول بما اوحى
اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة
لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم
رأيه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا

الامن او

على المسلمين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلمه الذين
هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأصل الاستنباط إخراج النبط
وهو الماء يخرج من البئر أول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب
لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال إلا قليلا إلا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به
إلى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو إلا اتباعا
قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله إن تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك إلا فعل
نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا
الجنود روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه
إلا سبعون ولم يلو على أحد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أي لا نكلفك إلا
فعل نفسك لا أنا لا نكلف أحدا إلا نفسه لقوله وحرض المؤمنين إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض
عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله
أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة
حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أو جلب إليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم
قال صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له
نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها
محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء
مقيتا مقتدرا من أقات على الشيء إذا قدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا
أو شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه وإذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها أو ردوها الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد
عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي أن رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل والترديد بين
أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع
فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها وقيل والترديد بين أن يحيي
المسلم ببعض التحية وبين تمامها والتحية في الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من الحياة ثم استعمل للحكم

والدعاء

والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب الثواب أو
الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي إن الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها
الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيامة أي والله
ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو مفضين إليه أو في يوم القيامة ولا إله إلا هو اعتراض والقيامة والقيام
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور أو للحساب لا ريب فيه في اليوم أو الجمع فهو حال
من اليوم أو صفة للمصدر ومن أصدق من الله حديثا إنكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فإنه
لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم
في أمر المنافقين فئتين أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله
في الخروج إلى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون في إسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء
المدينة والاشتياق إلى الوطن أو في قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها
لكم أو عاملها كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقين فيهم أو من الضمير أي
فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي بإشمام الصاد الزاي
والله أركسهم بما كسبوا ردهم إلى حكم الكفر أو نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد الشيء مقلوبا
أتريدون أن تهدوا من أضل الله أن تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا إلى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون سواء
فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا
منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله
ورسوله لا لأغراض الدنيا وسبيل الله ما أمروا بسلوكه فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة أو عن
إظهار الإيمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة إلا الذين يصلون إلى
قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي إلا الذين يتصلون و
ينتهون إلى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الأسلميون فإنه عليه الصلاة
والسلام وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ
إليه فله من الجوار مثل ما له وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة أو جاؤكم عطف على الصلة أي أو الذين
جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق
بالمعاهدين أو أتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم وكأنه قيل إلا الذين

يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم
حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات وحاصرات او بيان لجاؤكم او كم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وآله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان
يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل هم بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام
ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا
فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا
ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف
لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في
قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ
فانه على عرضية ونصبه على الحال او المفعول له اى لا تقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او
لا تقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في
معنى النهي والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد
الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة
الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم
يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة
والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم
في الاحرار والرقبة عبر بها عن النفس كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت
صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك
بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وآله يامرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا

يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وآله
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله
الا حال تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الحال من القاتل والاهل او الظرف فان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اى فان كان المؤمن المقتول من قوم
كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة
بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم
في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد
رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه
صيام شهرين متتابعين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اى فتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة
من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من
التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه
وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن صبابة وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدفعوا
اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان
الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل
الله سافرتم وذهبتم في الغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه من غير روية وقرأ
حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لمن
حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر
السلام به ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان
تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في
تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل
امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة
فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار

بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا
تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الالف كافرا اهون عند الله
من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله
كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي
ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى
الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل
في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال فر باهله وماله وفيه دليل على صحة
ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه
لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء
وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي
الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلسه الوحي فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد
عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته
وانفة من انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق درجة نصب بنزع
الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى
ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن
عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى
الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا
من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع

منزلتهم

منزلتهم عند الله ودرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار
والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وآله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل
الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم
فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا
مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة
او الحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف
اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم
وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه
وآله من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه
ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وآله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء
منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على
الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه
او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر
خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا
يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه
خبر محذوف اي ثم هو يدركه الموت وبالنصب على اضمار ان كقوله فالحق بالحجاز فاستريحا فقد

وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عنده
ثبوت الأمر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ
التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك
على ما بايع عليه رسولك فمات وإذا ضربتم في الأرض سافرتم فليس عليكم جناح أن
تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده أنه
عليه الصلاة والسلام أتم في السفر وأن عائشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت يا رسول
الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر صلاة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين
فأقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتام في الصحة
والإجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة إلى تأويل الآية بأنهم ألفوا الأربع فكان مظنة لأن يخطر
ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الإتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به
نفوسهم وأقل سفر يقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة وقرئ تقصروا من أقصر بمعنى قصر
ومن الصلاة صفة محذوف أي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الأخفش
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي شرط باعتبار
الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فإن خفتم ألا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا في حال الأمن
وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره وإذا
كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فإنهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فليقم إحداهما معك يصلون وتقوم
الطائفة الأخرى تجاه العدو وليأخذوا أسلحتهم أي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة
الأخرى وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم فإذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا أي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة
أخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على أن الإمام يصلي مرتين بكل طائفة
مرة كما فعله عليه الصلاة والسلام ببطن النخل وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كانت الصلاة ركعتين
فكيفيته أن يصلي بالأولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى وجه العدو وتأتي
الأخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله

عليه وآله

عليه وآله بذات الرقاع وقال أبو حنيفة يصلي بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بإزاء العدو وتأتي
الأخرى فيصلي بهم ركعة ويتم صلاته ثم يعود إلى وجه العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة
وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه
وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ونظيره قوله والذين تبوءوا الدار والإيمان ود الذين كفروا
لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا أن ينالوا
منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح ولا جناح
عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم رخصة لهم في وضعها
إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب و
خذوا حذركم أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو إن الله أعد للكافرين عذابا
مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر
ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لأن الواجب أن يحافظوا في الأمور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا
على الله تعالى فإذا قضيتم الصلاة أديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
فداوموا على الذكر في جميع الأحوال أو فإذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فأدوها كيف ما أمكن قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فإذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من
الخوف فأقيموا الصلاة فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها وأتوا بها تامة إن الصلاة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في شيء من
الأحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الأداء حال المسايفة والاضطراب في
المعركة وتعليل للأمر بالإتيان بها كيف ما أمكن وقال أبو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا
ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون
وترجون من الله ما لا يرجون إلزام لهم وتقريع على التواني فيه بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين
غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من إظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي
أن يكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون و
يكون قوله فإنهم يألمون علة للنهي عن الوهن لأجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
بأعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر
من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد

ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه فسألوه ان يجادل عن صاحبهم و
قالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل
بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل
ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما هممت به ان
الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها
فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة
وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من
كان خوانا مبالغا فى الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء
وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم
فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من
القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه
شئ ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا
او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا
محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا
يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله
بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله وان سائر ظلما وكان الله عليما
حكيما فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما
او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون
مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحى والضمير للرسول وجيء
للتعظيم اوله ولامته فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف فى حقهم لهمت طائفة منهم
اى من بنى ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى
همتهم بل الى نفى تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم
وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا
ميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب

والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان
فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير فى كثير من نجويهم من متناجيهم
الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى
ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هيهنا
بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان
الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها
على حقارة ما فات فى جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من
المتخالفين فى شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات و
يتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى
من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه
وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة
واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ
يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها
او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن
عرف سبيلهم وقد استقصينا الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء
شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ
عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا
وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن
الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى
فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله
ان يدعون من دونه الا اناثا يعنى اللات والعزى ومنوة ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر وان يكبر فانثى شديد الازم ليس له
ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا يسمى حلما ولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث

انما ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه
اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى
على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد
واسد واسنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة **وان يدعون** وان يعبدون بعبادتها **الا شيطانا**
مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها
لعنه الله صفة ثانية للشيطان **وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** عطف
عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن
سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل
ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا
غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه
مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى
والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة
والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع
اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء **ولاضلنهم** عن الحق **ولامنينهم**
الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب **ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام**
يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى
تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**
عن وجهه صفة او صورة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر
واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال
الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا
او اتاه فعلا **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** بايثار ما يدعوه اليه على ما امره الله به و
مجاوزته عن طاعة الله الى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة
بمكانه من النار **يعدهم** ما لا ينجز **ويمنيهم** ما لا ينالون **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وهو
النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه **اولئك مأويهم**

جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة
له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك
حقا فالاول مؤكد لنفسه لانه مضمون الجملة الاسمية التي قبله لانه يحتمل الصدق والكذب نظرا
الى تعيين الجملة وحدها من قطع النظر عن صدق الله تعالى تعين على انه حال من المصدر وعده والثاني
مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا** جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه
والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله **ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب**
اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان
والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب
افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون
نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع
المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر
كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال **من**
يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
صلى الله عليه اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله صلعم قال هو ذلك **ولا يجد له من**
دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع
العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل واحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا
بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او
انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد
به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب
المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح
الياء وضم الخاء **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله** اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه
وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية

وهو محسن آت بالحسنات تارك السيئات واتبع ملة إبراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على
صحتها حنيفا مايلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم واتخذ الله ابرهيم
خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما
له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودّ تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان
كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر وروي ان ابرهيم عليه السلم بعث الى خليل له بمصر في
ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لك فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند
خليلي الله فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء
وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته
على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم
على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى
النبي صلى الله عليه وآله فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث
من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وآله كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن
يبين لكم حكمهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير
المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم
الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او
استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليهم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم او يخفض على القسم كأنه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف على ما
على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب
يتامى النساء كما يقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث و
ترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان

كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف
وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جواز العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا
جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان
ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر
الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر من المخايل وامرأة فاعل
فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا
بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا اي يتصالحا بان تحط
له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة
الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور
وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة
والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا
كرهها واحب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما
باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما
تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة
وعن النبي صلى الله عليه وآله من كانت له امرأتان ويميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه
مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا
رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه

يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل أو سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما
مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه ولله ما في السموات وما في الأرض تنبيه على كمال سعته
وقدرته ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم
والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص وإياكم
عطف على الذين أن اتقوا الله بأن اتقوا الله ويجوز أن يكون أن مفسرة لأن التوصية في معنى القول
وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض على إرادة القول أي وقلنا لهم ولكم إن تكفروا
فإن الله مالك الملك لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وإنما وصاكم
لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته
حمد أو لم يحمد ولله ما في السموات وما في الأرض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فإن جميع
المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه
حميدا وكفى بالله وكيلا راجع إلى قوله يغن الله كلا من سعته فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير
لذلك إن يشأ يذهبكم أيها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين
ويوجد قوما آخرين مكانكم أو خلقا آخرين مكان الإنس وكان الله على ذلك من
الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره
وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله
وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي أنه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان
وقال إنهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في
جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له
الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم
لوجه الله وهو خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها لأن
الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين ولو على والديكم وأقاربكم إن يكن
أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة أو
لا تجوروا فيها ميلا أو ترحما فالله أولى بهما بالغني والفقير بالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور

وهو جنس الغني والفقير لا إليه وإلا لوحد وتشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة
الحق أو حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإسكان اللام وبعدها واوان
الأولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو تعرضوا
عن أدائها فإن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب
للمسلمين أو للمنافقين أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله إنا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا
به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا إيمانا عاما يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان
والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي أنزل بفتح النون
والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر أي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه إن الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا
العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم أو
قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضربت على
الكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في
أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم
عذابا أليما يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى
ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذر تهكما بهم الذين
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين
أو هم الذين أيبتغون عندهم العزة يتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعا لا يتعزز إلا من
أعزه وقد كتب العزة لأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم
وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ عاصم نزل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم
آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حال من الآيات جيء
بها لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما

نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله يكفر بها ويستهزء بها **إنكم إذا مثلهم** في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم
والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القران من
الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**
يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل
وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون **الذين يتربصون بكم** ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره **فإن كان لكم فتح
من الله قالوا ألم نكن معكم** مظاهرين فاسهموا لنا فيما غنمتم **وإن كان للكافرين نصيب**
من الحرب فانها سجال **قالوا ألم نستحوذ عليكم** اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على
الاصل **ونمنعكم من المؤمنين** بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على
امر دنيوي سريع الزوال **فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا** حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم و
الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان
قبل مضي العدة **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** سبق الكلام فيه اول سورة البقرة
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما
جمعا كسلان **يراءون الناس** ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او
للمقابلة فان المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله إلا قليلا** اذ المرائي
لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب
وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم **مذبذبين
بين ذلك** حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون
او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله
الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرئ بكسر الدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبرة وتارة في دبرة وهي الطريقة
لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد

الفريقين

الفريقين بالكلية **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون
المؤمنين** فان ذلك صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم **أتريدون أن تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا** حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا تسلط عليكم عقابه **إن
المنافقين في الدرك الأسفل من النار** هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله صلى الله عليه وآله ثلاث من
كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرئ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على
ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **إلا الذين تابوا** عن النفاق **وأصلحوا** ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله** وثقوا به وتمسكوا بدينه **وأخلصوا دينهم لله** لا يريدون بطاعتهم
الا وجهه **فأولئك مع المؤمنين** ومن عدادهم في الدارين **وسوف يؤت الله المؤمنين
أجرا عظيما** فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ايتشفى به غيظا
او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره
عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما
قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به **وكان الله
شاكرا** مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وايمانكم **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
إلا من ظلم** الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن
الظالم يفعل ما لا يحبه الله **وكان الله سميعا** لكلام المظلوم **عليما** بالظالم **إن تبدوا خيرا**
طاعة وبرا **أو تخفوه** او تفعلوه سرا **أو تعفوا عن سوء** لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء
الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله **فإن الله كان عفوا قديرا** اي كثير العفو عن العصاة
مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار
حملا على مكارم الاخلاق **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله و
رسله** بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعضهم **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا** طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا
واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا

او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
أولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره
او صفة لمصدر الكافرون بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي أولئك سوف
نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تأخر وقرأ حفص ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما
عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في
احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط
سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا الينا باعياننا بانك رسول فقد سألوا موسى أكبر من
ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك
وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة عيانا اي ارناه
جهرة او مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب
ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية
مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها
ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك و
آتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن
اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم لا تعدوا
في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت
ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرئ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصل لا تعتدوا
وادغمت التاء في الدال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما
نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد
والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب
النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد
لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله
بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلم

وقرأ قالون باختلاس حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان

او في اكنة

او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها و
منعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكير بالمواعظ وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من
اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله
ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم وقولهم
على مريم بهتانا عظيما اي نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة و
خنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب و
قيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس
اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال
ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله و
قصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم و
شبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع التشبيه بين عيسى والمقتول او الى الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على
ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد و
الشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده
بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز
ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء
وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه
ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء
علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به

فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه

قبل موته اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت
صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد
الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه
ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم
والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج
الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام
وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
مع الحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم
القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن
الله فبظلم من الذين هادوا اى فبأى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى
ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على
دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون فى العلم
منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان
جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب
والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتداء والخبر اولئك
سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر
قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك
سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل
الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كسائر
الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى و
ايوب ويونس وهارون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم
فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشراف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا

داود زبورا

داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا
اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة او اليوم و
رسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى
من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا
مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا اى على الحال ويكون رسلا موطئا لما
بعده كقوله مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس
ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز
تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما
فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانهم لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او بمعنى انكم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك
من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت
انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد
للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم ف
الجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملئكة
يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى
عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى
الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملئكة وشهدوا
عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج شهيدا على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا
وظلموا محمدا عليه الصلوة والسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او اعم
من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة وكان

ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس
عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا
لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا
يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف حرف الشرط وجزائه وان تكفروا فان
لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم
ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان
الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب
للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة
والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها
فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الاموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة
الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله
ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن
العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد
بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد
لانه يكون لمن يكون له مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه
او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك
ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة و
الاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون
عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون اي ولن يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا و
احتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء قال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية
وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة من المعطوف حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل

على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤوس وان اراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من
اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا
والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف
ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه يكون قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العام المدلول عليها من فحوى
الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم
والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دليل العقل وشواهد النقل
ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم في رحمة منه ثوابا قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب و
فضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو
الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة
الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة
فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزلت في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها
في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ
بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال و
العطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة
والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت في عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف
وهو يرثها اي والمرء يرث ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد
بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة
بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله يفتيكم
في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث
بالاخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون

الصغر والكبر بمنزلتها وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله
وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين لكم ضلالكم
الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة
أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في
المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة
ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مائة وعشرون آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق
قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وأصله الجمع بين الشيئين
بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من
التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به أو يحسن
إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود
والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها
مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى
عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي
الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر
والمفعول وأنتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد
من تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما
أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحاج وأعلام النسك وقيل دين الله
لقوله ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال
فيه أو بالنسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها
والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد
جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ولا
آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أن يثيبهم ويرضى

عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون
من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت في عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا
فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا إذن في الاصطياد
بعد زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل
ولا يجرمنكم لا يحملنكم أو لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف
إلى المفعول أو الفاعل ونعت بغيض قوم وفعلان في المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر وإسمعيل عن
نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بغيض قوم وفعلان في
النعت أكثر أن صدوكم عن المسجد الحرام لأن صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على
أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم أن تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فإنه يتعدى إلى
واحد وإلى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على
الإثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله إن الله شديد العقاب فانتقامه أشد
حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم أي الدم
المسفوح لقوله أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من وقذته إذا ضربته والمتردية
التي تردت من علو أو في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها أخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما
أكل السبع وما أكل منه السبع فمات وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم يحل
إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما
أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الأنصاب
وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الأصنام وعلى بمعنى
اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الأصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وأن تستقسموا
بالأزلام أي وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب
على أحدها أمرني ربي وعلى الأخرى نهاني ربي والثالث غفل فإن خرج الأمر مضوا على ذلك وإن

خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون
ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم
كجمل وزلم كصرد **ذلكم فسق** اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال
باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر
المحرم او الى تناول ما حرم عليهم **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في حجة الوداع **يئس الذين كفروا
من دينكم** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه
فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم **واخشون** واخلصوا الخشية لي **اليوم اكملت لكم دينكم**
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين
الاجتهاد **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار
الجاهلية **ورضيت لكم الاسلام** اخترته لكم **دينا** من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول
شيء من هذه المحرمات **في مخمصة** مجاعة **غير متجانف لاثم** غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يؤاخذه باكله
يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما
قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول
ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم **قل احل لكم الطيبات**
ما لم يستخبثه الطباع السليم ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل
نص ولا قياس على حرمته **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها
من سباع ذوات الاربع والطير **مكلبين** معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام
سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم **تعلمونهن** حال
ثانية او استيناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب
بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعائه وامساك عليه الصيد ولا ياكل منه **فكلوا مما امسكن عليكم** وهو ما لم

يأكل منه

ياكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه
واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد
متعذر وقال الاخرون لا يشترط مطلقا **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه
عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته **واتقوا الله** في محرماته **ان الله سريع
الحساب** فيؤاخذكم بما جل ودق **اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم** يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى
علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس
في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي
نسائهم ولا اكلي ذبايحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك **والمحصنات من المؤمنات** اي الحراير او العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو اولى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل
الحربيات **اذا اتيتموهن اجورهن** مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على
الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها **محصنين** اعفاء بالنكاح **غير مسافحين** مجاهرين بالزنا
ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى **ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين** يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر انكاره والامتناع
عنه **يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة** اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام
اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما
روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال صلى الله
عليه وسلم عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه
للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القران نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك
وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله
ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة محذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم
يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا
واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية

وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها
والا لم تكن غاية لقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن
ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه
الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل و
امسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته
وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه
نافع وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول
اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى
عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب والنحاة باب في ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواتها ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا
فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن
يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو
ضعيف لان ان لا يقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون
نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود
وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان
الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم
ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق

الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان
لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى ولا يحملنكم شدة بغضكم المشركين على ترك العدل
فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا
مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه
بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا
الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه
وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه بعسفان
قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله
كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وآله اتى
قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن
جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول
الله صلى الله عليه وآله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك
مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده فاخذه الرسول فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم
منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي
لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا

شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي
ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم
وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا
قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط
يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف **وقال الله اني معكم** بالنصرة **لئن اقمتم**
الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله
الذب ومنه التعزير **واقرضتم الله قرضا حسنا** بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر
والمفعول **لاكفرن عنكم سيئاتكم** جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب
الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك** بعد ذلك الشرط
المؤكد المعلق بالوعد العظيم **منكم فقد ضل سواء السبيل** ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر
معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم**
لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية **وجعلنا قلوبهم قاسية** لا تنفعل
عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم
قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع
القاف للسين **يحرفون الكلم عن مواضعه** استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ
لا ضمير له فيه **ونسوا حظا** وتركوا نصيبا وافيا **مما ذكروا به** من التورية او من اتباع محمد صلى الله
عليه وآله والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة
والمعنى ان الخيانة والغدر من عاداتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم **الا قليلا**
منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية
فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم** اي واخذنا

من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله **فنسوا حظا مما**
ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به **بينهم العداوة والبغضاء الى**
يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود **وسوف**
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب **يا اهل الكتاب** يعني اليهود والنصارى
ووحد الكتاب لانه للجنس **قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون**
من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وآله واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه **قد**
جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال
والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وآله **يهدي به الله** وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد **من اتبع رضوانه** من اتبع رضاه بالايمان منهم **سبل السلام** طرق
السلامة من العذاب او سبل الله **ويخرجهم من الظلمات الى النور** من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه **ويهديهم الى صراط مستقيم** طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه
لا محالة **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح
به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم
لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم **قل فمن يملك من الله شيئا** فمن يمنع من قدرته
وارادته شيئا **ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا** احتج بذلك
على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو
بمعزل عن الالوهية **ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل**
شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق
السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس **وقالت**
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير
الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل
عمران **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة **بل انتم بشر ممن خلق** ممن خلقه الله **يغفر لمن يشاء** وهم من آمن به وبرسله **ويعذب**

ممن خلق وهم من كفر انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا
به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء
قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف
نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع
وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في
بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر
الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
جعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر و
تظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين
وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم
قسمها لكم وكتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة
عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من
النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم
بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف
والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار
فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين
يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا
الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ

الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون
من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية
لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق و
امنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم
اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله
لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به مصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا
دخولهم على التاكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت
وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه
قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه
لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل
نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره
عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما
نستحقه وعليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها
فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة
يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله
التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها
ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره
بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون
فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة
فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من الشمس وعمود
من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر
على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما و
عقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات
النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ند

من الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله
الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه هابيل لان توأمه كانت اجمل فقال لهما
آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا
وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على
بني اسرائيل وكذلك كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال
من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا
ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأ نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم لما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر
ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب
اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من
الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده
بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي
انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان
يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك
مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى
منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل
قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب
لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل
اثمي لو بسطت اليك يدي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي
باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين
حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان
لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون
المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته
ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه

كانه دعا

كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله
فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين
سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع اذ كان اول ميت
من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة
اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من
ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب
الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا
فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل و
تلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة
لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا
عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي
ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكأنما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في
استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب
لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا و
المقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما
كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة
تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت
القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله و
رسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب

والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون
في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع
القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن
حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان
اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في
موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير
والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم
في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم مخصوص بما
هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء
يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه العقوبة قبل
القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى
ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث
الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون
بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام
متعلق بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض جميعا وتوحيد الضمير في به
والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى
مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل
لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم
بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند
سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية
دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في
امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب
القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا

فديه

والسلام

وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
ومن شاء فليطلب فيه والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ
وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله عليه وآله
اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر
ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته
واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطها عند الاكثرين لان فيه
حق المسروق الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله او لكل
واحد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على
المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنع الذين يسارعون في الكفر اي في
اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين
والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز
ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتأكيد
او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون
كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجمع اخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون
منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر
للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في
موضع الرفع خبر لمحذوف تقديره اي هم يحرفون الكلم عن مواضعه وكذلك يقولون ان اوتيتم
هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم

والتحميم

فاقبلوا وان امركم بالرجم فاحذروا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي
لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته
فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته
او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في
الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في
النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا للفريقين سماعون للكذب كرره
للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب في الثلثة المواضع بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح
السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وآله
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم
وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم و
دفع الظلم منهم والاية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم
فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم
وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال
ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم فيها حكم الله حال
من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها
نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها
هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبيا
بني اسرائيل او موسى ومن بعده اذ قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به
يحكم بها النبيون يعني انبيا بني اسرائيل او موسى ومن بعده اذ قلنا شرع الذين اسلموا صفة
اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء

واقتدا

اقتداء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان
النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان
يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي
للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي
ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله
مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم
بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم
به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم الظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم فرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل
بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها
الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس و
العين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او
على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه
بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث
وقع والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فالتصدق
فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة
له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله
من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه
الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه
هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف وتعليقا بمضمر

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه وعلى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي
وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل على ان الانجيل
مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس و
مهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية
المفعول اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله
اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع
لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين
ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن
ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق و
المبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلنا بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه
وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود
وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن
بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها
على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في

التكثير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في
الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة
الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يحكم
بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع
محذوف حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم
الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم
الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك
اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا
تعاشروهم معاشرة الاحباب ايماء على علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم توالى بعضهم بعضا
لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من
جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وآله لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا
منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة
اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم في موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب
الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وآله ان لي موالي من اليهود
كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر
لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وآله على اعدائه واظهار المسلمين
او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك
في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي
على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول
المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان
يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه
من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة

كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على
تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها
معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا **حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين** إما من جملة المقول أو من قول
الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم **يا أيها الذين**
آمنوا من يرتدد منكم عن دينه قرأه على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون
بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده
ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من غدها وأخبر الرسول من تلك الليلة
فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله
من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول
الله صلى الله عليه وآله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه أبو بكر بجند من المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث
إليه رسول الله صلوات الله عليه وآله خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وفي عهد
أبي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو
يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث
بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار
إلى الشام **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** قيل أهل اليمن لما روي أنه صلى الله عليه وآله أشار إلى أبي
موسى الأشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لأنه صلعم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة
آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد
إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز
عن معاصيه **أذلة على المؤمنين** عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل
واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو والتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم أو للمقابلة **أعزة على الكافرين** شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة **ولا يخافون لومة لائم**
عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه أو حال بمعنى
أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة

أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها و
في تنكير لائم مبالغتان **ذلك** إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف **فضل الله يؤتيه من يشاء** يمنحه
ويوفق له **والله واسع** كثير الفضل **عليم** بمن هو أهله **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**
لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن
الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة
للذين آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح **وهم راكعون**
متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون الزكاة في حال ركوعهم في
الصلاة حرصا على الإحسان ومسارعة إليه وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع
في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة في إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق
للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء
بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل القليل في
الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا** ومن يتخذهم
أولياء **فإن حزب الله هم الغالبون** أي فإنهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه
قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم
وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون
لأمر حزبهم **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين**
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فرتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا
إيماء على العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب
والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب وأهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء
من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين **واتقوا الله**
بترك المناهي **إن كنتم مؤمنين** لأن الإيمان حقا يقتضي ذلك وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده
وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا أي اتخذوا الصلاة أو المناداة وفيه دليل على أن
الأذان مشروع للصلاة روي أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله
قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحترق هو و
أهله **ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنعه

قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا المخالفة حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف مضاف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ وعبد على انه نعت كفطن ويقظ وعبدة وعبد الطاغوت على جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب

لقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقوله سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحو ذلك لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم يؤاخذوا بها

بها ولادخلناهم جنات النعيم وجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة
ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب
المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلال الزروع
او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض وبين بذلك
ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل
لهم الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عليه الصلوة والسلم
وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي
ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ
جميعه كما امرت فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك
بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس
جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس
عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان
لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
فاخرج راسه من قبة فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل
ولعل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا و
الذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم

بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان
كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا
عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا
وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك
كما جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع وخبره فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما
عطف عليه وقرئ والصابيون وهو تخفيف الصابئين والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم
صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا
ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع و
مشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي
رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك دابهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رؤس الاي وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء و
تكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا
عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي
ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى
والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني
البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقدم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه
الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم ظلموا الاشراك

قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون با
لاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات
مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم
اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة
على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى
الله ويستغفرونه اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد
والتنزه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله
ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصى وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب
وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكون من عداد المركبات
الكاينة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف
نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين
العجبين اى ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به
من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطية لنفى القدرة
عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازى عليها
ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعتهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل

والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله
قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر ارادوا
فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم
اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص
بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه
كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد
نبينا صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم
فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم
عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا
يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة
وان كانت فى كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا
يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وخشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق
من الاولى للابتداء او جعلت اعينهم من فرط البكاء الى والثانية لتبيين ما عرفوا والتبعيض فانه بعض الحق
والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم
القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين
والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل فى اللام من معنى الفعل

الجزء السابع

اى شىء حصل لنا غير مؤمنين بالله وبوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما
ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن
نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع روى انها
نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه واله بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب
والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا و
امنوا بالقران وقيل نزلت فى ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه واله
فقرا سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف على التكذيب
بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين جمعا بين
الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب
ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن
الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فيكون الاية ناهية عن تحريم ما احل و
تحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ
فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله عليه التحية والسلام فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم
عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء
فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما حل لكم وطاب
مما رزقكم الله فيكون حلالا طيبا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من
ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا طيبا حالا من الموصول او العائد المحذوف وعلى الوجوه
لو لم يقع الرزق الى الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايده واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم
الله باللغو فى ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى
وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائى وابن عن عاصم عقدتم

بالتخفيف

بالتخفيف وابن عامر عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام
من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذى هو خير اطعام عشرة مساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده فى النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع
عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط
ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها
فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة
او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء
او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة
او اعتاق انسان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احد الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة
ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت
كتابا ولم تروسنة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان
تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه لعلكم
تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج يا ايها
الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها
فى اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او
لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه
اعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما
رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة انما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما
المقصود وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه واله شارب

الخمر

كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من
حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على
ما تقدم من انواع الصوارف وقال **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** فيما امر به **واحذروا** ما نهى عنه
او مخالفتهما **فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات**
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله **اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات** اي اتقوا المحرم
وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة **ثم اتقوا** ما حرم عليهم بعد كالخمر **وامنوا** بتحريمه **ثم اتقوا** ثم
استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي **واحسنوا** وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم
الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل
ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى و
الايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان
في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال صلى الله عليه وآله في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدء
والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا
من الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة **والله**
يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا **يا ايها الذين**
امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم و
طعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض
الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه
لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد**
ذلك اي بعد الابتلاء بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل
ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه **يا ايها الذين امنوا**
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والزكوة
للتعميم والمراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله خمس يقتلن في الحل
والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه

من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب **ومن قتله منكم**
متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء
فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية
نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت
فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قرا الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه
جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر
كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام
مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مماثلا لما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة و
الهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن
هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم
واللفظ للاول **يحكم به ذوا عدل منكم** صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه
اذا اضفته او وصفته بنعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى النظر والاجتهاد يحتاج المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام **هديا**
حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه
بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة
وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء **او كفارة** عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته
فخبر محذوف **طعام مساكين** عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن
عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين
ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا **او عدل ذلك صياما** او ما
ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر
العين وهو ما عادل الشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل **ليذوق**
وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته
هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امره واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل **عفا الله**
عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة **ومن عاد** الى مثل

هذا **فينتقم الله منه** فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن
عباس وشريح **والله عزيز ذو انتقام** ممن اصر على عصيانه **احل لكم صيد البحر** ما صيد منه مما
لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال
ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر **وطعامه** ما قذفه او نضب
عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله **متاعا لكم** تمتيعا لكم نصب على الغرض **وللسيارة** اي
لسيارتكم يتزودونه قديدا **وحرم عليكم صيد البر** اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى
الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله عليه وسلم
لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم **ما دمتم حرما** اي محرمين وقرئ بكسر الدال من
دام يدام **واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة** صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني **قياما للناس** انتعاشا لهم اي سبب
انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع
اعل عينه كما اعلت في فعله ونصبه على المصدر او الحال **والشهر الحرام والهدي والقلائد** سبق
تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس **ذلك** اشارة
الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات و
ما في الارض** فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة
الشارع وكمال علمه **وان الله بكل شيء عليم** تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق **اعلموا ان الله
شديد العقاب وان الله غفور رحيم** وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن
اصر عليه ولمن انقلع عنه **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول
اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة **قل لا يستوي الخبيث والطيب** حكم عام في نفي المساواة عند الله بين
الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح الاعمال وحلال المال **ولو
اعجبك كثرة الخبيث** فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير
من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال **فاتقوا الله يا اولي الالباب** اي فاتقوه
في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل **لعلكم تفلحون** راجين ان تبلغوا الفلاح
روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين **يا ايها
الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل**

القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين
تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه
فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّئ كهيّن او شيء كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه **عفا الله عنها** صفة اخرى اي عن
اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك
اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا
تعودوا الى مثلها **والله غفور حليم** لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال
لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار فقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى
لغيره فنزلت **قد سألها قوم** الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف
الجار **من قبلكم** متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا
منها ولا خبرا عنها **ثم اصبحوا بها كافرين** اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سألوا او جحدوا **ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل
منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من
صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل الله
ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة **ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب** بتحريم ذلك ونسبته اليه **واكثرهم لا يعقلون** اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم
او الامر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة و
تقليد الآباء ان يعترفوا به **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما
وجدنا عليه آباءنا** بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه **اولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي
احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد
وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد **يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم** اي احفظوها والزموا

صلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته
كما قال صلى الله عليه وآله من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان
لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب
غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد الاشهاد او الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم
الموت اذا شارفه وظهر اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على
ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون فيها او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على
حذف المضاف تقديره شهادة اثنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ذوا عدل منكم
من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر
الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي
سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فايدته الدلالة
على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل
ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس و
تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث
منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب في
المعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا بالطمع ولو كان ذا قربى ولو كان
المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا
باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق

عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين
او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان و
اعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان يقبل
وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته
او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على
صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان
كان وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير
الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام بالتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه و
لم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلوات الرحمن عليه وآله بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى
سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب
ابن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او
تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار
وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم بما كنت

تعلم انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم
وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك ولا علم لنا
بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة و
المعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات
فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك ظرف لنعمتي
او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به
الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا
في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحاله
الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذن الله وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في
سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل
عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا
منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فا
الاشارة الى عيسى واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على ألسنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز
ان يكون ان مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة
وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اى
سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء
يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في
ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا
بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد

صدقتنا في ادعاء النبوة ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك
او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد
عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي
انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا
بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا صفتها اى آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة
نبوتي وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه
بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او
للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمي زمانهم او العالمين
مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا
الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع
جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما
ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو
اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما ويجتمع عليها الفقراء
والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها
الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء
والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون رجلا وقيل لما
وعدهم الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله
لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما
ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال
لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا

عن السؤال والحوا فيه لاجل ازاحتهم فبين الله تعالى ان تلك الشبهة ولكن فيه خطر وخوف عاقبة
فان السائل اذا انكشف له ما هو عليه من مقام لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا
وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يريد
توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة
فيكون تنبيها على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله تعالى فكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله **قال سبحانك** اي انزهك تنزيها من ان
يكون لك شريك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله **ان
كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك** تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم
ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات
انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه **ما قلت لهم الا ما امرتني به**
تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقدير ما يدل عليه **ان اعبدوا الله ربي وربكم** عطف بيان للضمير في
به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا لئلا يلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او
خبر مضمر او مفعول مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون
مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا
ان يأول القول بالامر فكان قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله **وكنت عليهم شهيدا ما
دمت فيهم** اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه
قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت الرقيب عليهم** المراقب لاحوالهم
فتمنع من القول به بما اردت عصمته بالارشاد الى الدليل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال
الايات **وانت على كل شيء شهيد** مطلع عليه مراقب له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي ان
تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا
ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** فلا عجز ولا استقباح
فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة
مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا
امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** وقرأ
نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي

من كلام عيسى عليه السلام وقرأ نافع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح
لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف **لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم** بيان للنفع **لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير**
تنبيه على كذب النصارى وفساد دعويهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال
وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة
العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس
كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام

مكية غير ست آيات او ثلاث آيات من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه به على انه المستحق له على هذه
النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي
مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها
وتقدم وجودها **وجعل الظلمات والنور** انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول
واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد و
تقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم
ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**
عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوينهم وتعيشهم فمن حقه ان
يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا
يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا و
صلة يعدلون محذوفة ليقع الانكار على الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار
يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به **هو الذي خلقكم من طين** اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة
الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف **ثم قضى اجلا** اجل

الموت **واجل مسمى عنده** اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت و
البعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني
الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن
تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير
اخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه **ثم انتم تمترون**
استبعاد لامترائهم بعدما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على
خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء والشك واصله المري وهو استخراج
اللبن من الضرع **وهو الله** الضمير لله والله خبره **في السموات وفي الارض** متعلق باسم الله والمعنى هو
المستحق للعبادة فيهما لا غير لقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله **يعلم سركم وجهركم**
بجملة خبر ثان اي هو الخبر بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما
كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه **ويعلم**
ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اراد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس والمكتسب احوال الجوارح **وما تاتيهم من اية من ايات ربهم** من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**
يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون
عن غيرها ولذلك رتب عليها بالفاء **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** اي سيظهر لهم
ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس
هي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
اشتقاقه من قرنت **مكناهم في الارض** جعلنا لهم مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى
والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها **ما لم نمكن لكم** ما لم نجعل لكم في السعة وطول
المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب **و**
ارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها **مدرارا** مغزارا **وجعلنا**

الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار **فاهلكناهم بذنوبهم**
اي لم يغن ذلك عنهم **وانشانا** واحدثنا **من بعدهم قرنا اخرين** بدلا منهم والمعنى انه تعالى
كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق **فلمسوه بايديهم** فمسوه وتخصيص اللمس لان
التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده
بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء **لقال الذين كفروا ان هذا الا**
سحر مبين تعنتا وعنادا **وقالوا لولا انزل عليه ملك** هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي
كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** جواب لقولهم وبيان
لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم
فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم **ثم لا ينظرون** بعد نزوله طرفة عين **ولو جعلناه ملكا**
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول
فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل
ملائكة والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل
في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من
الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا
عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام ولبسنا بالتشديد
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه واله على ما يرى من قومه **فحاق**
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا
لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم **قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**
كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا
ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة ونحوها وايجاب
النظر في اثار الهالكين **قل لمن ما في السموات والارض** خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت **قل لله**
تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره **كتب على**
نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر **ليجمعنكم الى يوم القيمة** استئناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم
على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في او قيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم

وانعامه عليكم **لا ريب فيه** في اليوم او في الجمع **الذين خسروا انفسهم** بتضييع راس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء
والخبر **فهم لا يؤمنون** والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
من الايمان **وله** عطف على الله **ما سكن في الليل والنهار** من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفى باحد الضدين عن الاخر **وهو السميع** لكل مسموع **العليم** بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز
ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم **قل اغير الله اتخذ وليا** انكار لاتخاذ غير الله
وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك **فاطر
السموات والارض** مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في
بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ بالرفع و
النصب على المدح **وهو يطعم ولا يطعم** يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة
اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر
السموات والارض من هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم
او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط **قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم** لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الدين **ولا تكونن من المشركين** وقيل لي لا
تكونن ويجوز عطفه على قل **قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** مبالغة اخرى
في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل و
المفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة **من يصرف عنه يومئذ** اي يصرف العذاب عنه وقرا
حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف **فقد رحمه** نجاه وانعم عليه **وذلك الفوز المبين** اي
الصرف او الرحمة **وان يمسسك الله بضر** ببلية كمرض وفقر **فلا كاشف له** فلا قادر على
كشفه **الا هو وان يمسسك بخير** بنعمة كصحة وغنى **فهو على كل شيء قدير** فكان قادرا
على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله **وهو القاهر فوق عباده**
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في امره وتدبيره **الخبير** بالعباد وخفايا
احوالهم **قل اي شيء اكبر شهادة** نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود و
النصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء

والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة **قل الله** اي الله اكبر شهادة ثم ابتدئ
شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان الشهيد
كان اكبر شهادة **واوحي الي هذا القرآن لانذركم به** اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان
احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه **ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** بما تشهدون **قل انما هو اله
واحد** اي بل اشهد ان لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون** يعني الاصنام **الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه** يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التوراة والانجيل **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين **فهم لا يؤمنون** لتضييعهم ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله **او
كذب بآياته** كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس **انه** الضمير للشان **لا يفلح الظالمون**
فضلا عمن لا احد اظلم منه **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب بمضمر تهويلا للامر **ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم** اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء **الذين
كنتم تزعمون** اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال
بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم **ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا** اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة
لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم
ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون
بالياء والنصب **والله ربنا ما كنا مشركين** يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة
والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند
انفسنا وهو لا يوافق قوله **انظر كيف كذبوا على انفسهم** اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في
الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء والمدح **وضل عنهم ما كانوا يفترون** من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة

وابو جهل واضرابهم استمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا للنضر ما يقول فقال
والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا يمنع من استماعه وقد سبق تحقيق ذلك في اول سورة البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها
لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى
انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب
ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جوابه
يقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم
ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن
التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا
نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منه
على وجه الاثبات كقوله دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من
الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما
حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك
ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا
عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا
او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا
الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كأنه
جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه
من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا

العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم
واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله تع البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا
يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها
للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل
لاستحقاقهم اثار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها
وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ
ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب بالتاء على
خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى
قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك
من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي ولا يكذبونك من اكذبه اذا وجده
كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله
ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء
لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما
نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله
وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على
تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية ولقد جاءك
من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق
اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في
السماء فتأتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به
الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما او يجوز ان يكونا متعلقين
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود
بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى
بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى

لوفقهم على الايمان حتى يومنوا ولكن لم يتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو
شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من
الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب
الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهولاء كا
لموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة
لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية يضطرهم الى
الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها
يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف
والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهوا
وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم
محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في
الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم
يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مجملا او مفصلا
ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى
الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من
بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا
صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم
وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة
العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من يشا الله
اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان
يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد
به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل
معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرا نافع ارايتكم
وارايت وارايتم وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يسقطها

والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافقهما ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او
اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في
مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان
شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت
لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين
فاخذناهم بالباساء بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم
الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من
الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة
بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع
القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا
من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث
لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان
هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة
يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم
على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة
من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال
المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات و
ظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها
امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك

سخط وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء
وما نرسل المرسلين إلا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم
ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن وأصلح ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف
عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول إليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
مقدوراته أو خزائن رزقه ولا أعلم الغيب ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا
أقول لكم إني ملك أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما يقدرون عليه إن أتبع إلا ما يوحى
إلي تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه
وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل
والعالم أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا تتفكرون
فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه وأنذر
به الضمير لما يوحى الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل
أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين
الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف
هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية
لقريش روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئناك
قال نعم وروي أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب
فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون
وجهه حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك
الأمر ورتب النهي عليه إشعارا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان
من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا
بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا
يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي

فقرهم

فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد
المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز
عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن
وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء
على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله
عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار
لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة
أو للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه
وبمن لا يقع منه فيخذله وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة
على العبادة وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي
عن طردهم إيذانا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز
ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل إن قوما جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت أنه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال أي من عمل ذنبا جاهلا
بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما أشار إليه أو متلبسا بفعل الجهالة فإن ارتكاب ما
يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل أو السوء وأصلح بالتدارك
والعزم على أن لا يعود إليه فأنه غفور رحيم فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره
أو فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين
والمجرمين المصرين منهم والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى
ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر
وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على
تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد أن أعبد
الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله وما تدعونها آلهة أي تسمونها
قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم
واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن

تتبع الحجة ولا تقلد قد ضللت إذاً أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت وما أنا من المهتدين أي في
شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك قل إني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه
والدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمها
من ربي من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي أي
كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي
استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إن الحكم إلا لله في تعجيل العذاب
وتأخيره يقض الحق أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها فيما يقضي من تعجيل
وتأخير وأصل القضاء إتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص الحق
من قص الأثر أو من قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما
تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي و
انقطع ما بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي
أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو
ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ
مفاتيح والمعنى أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها إلا هو فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها
من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها
ويعلم ما في البر والبحر عطف للإخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم
بالمغيبات وما تسقط من ورقة إلا يعلمها مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في
ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله إلا في كتاب مبين بدل من
الاستثناء الأول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله تعالى أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئت
بالرفع على محل من ورقة أو رفعها على الابتداء والخبر إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز فإن
أصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جرياً على
المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم أطلق البعث ترشيحاً للتوفي فيه في النهار ليقضى أجل مسمى ليبلغ المستيقظ
آخر أجله المسمى له في الدنيا ثم إليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه
وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وأنه مطلع
على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ليقضى الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم

بما كنتم

بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ
أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس
الأشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه
احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت وأعوانه
وقرأ حمزة توفاه بالألف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما
حد لهم بزيادة أو نقصان ثم ردوا إلى الله إلى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى أمرهم الحق العدل الذي
لا يحكم إلا بالحق وقرئ بالنصب على المدح ألا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو أسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم
مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر والغرق في البحر من شدائدهما وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعاً وخفية معلنين ومسرين أو إعلاناً وإسراراً وقرأ أبو بكر هنا وفي الأعراف
خفية بالكسر وقرئ خيفة لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أي يقولون
لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة إلى الظلمة قل الله ينجيكم منها
شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم أنتم تشركون تعودون إلى الشرك
ولا توفون بالعهد وإنما وضع تشركون في موضع لا تشكرون تنبيهاً على أن من أشرك في عبادة الله فكأنه
لم يعبده رأساً قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط و
أصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم أكابركم و
حكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم أو يلبسكم يخلطكم شيعاً فرقاً متحزبين على أهواء شتى
فينشب القتال بينكم كما قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضاً انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك أي بالعذاب أو بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة أو الصدق قل
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم إنما أنا منذر والله
الحفيظ لكل نبأ خبر يريد أنباء العذاب والإيعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء
بها والطعن فيها فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره أعاد الضمير
على معنى الآيات لأنها القرآن وإما ينسينك الشيطان بأن يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهي وقرأ
ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن تذكره مع القوم الظالمين

اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون
عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم من الخوض وغيره
من القبائح واظهار كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا
يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم
يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم
يثبتون على تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا
امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم
زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويحتمل ان يكون تهديدا لهم كقوله
ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد
باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء
والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل
مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا
بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى انهم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل
بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على
نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى
يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد
اى مشبهين الذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا
ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الطريق
المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية بالمصدر للمفعول ائتنا يقولون له ائتنا

قل ان هدى

قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب
العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل
هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة
الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى
عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول عليه التحية والسلام بهذا القول اجابة عن الصديق
تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية
قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين
وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات والهاء في واتقوه او بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء وخبره او فاعل يكون في على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه
كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب و
الشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابراهيم لابيه آزر
هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق
من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم
عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد
آزر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة
آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك في
ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية
حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل
رأى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على اذ قال ابرهيم وكذلك نري
اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم
الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او
المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم

ثم يكر عليه بالافناء او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول زمان بلوغه
فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضي
الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتدئا بالطلوع قال هذا ربي فلما افل
قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه
لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية
وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر
وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا واستظهارا للشبهة للخصم فلما
افلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها
بالتخصيص ثم لما تبرا منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال
وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بخلاف عن
هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت
لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه من الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شئ علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما
فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان
يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم
ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن
اي الموحدون او المشركون ولم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف
منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك
على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا
تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى
قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها
على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدلا اي اتيناها ابرهيم حجة على قومه

نرفع درجات

نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه
وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا
منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عدّ هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد
يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس و
لوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها و
المذكورون في الاية الثالثة عطف على نوح داود وسليمن وايوب بن اموص من اسباط عيص بن
اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا
ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على
ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية
الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما
هو ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع على
القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء
الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن
نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير
لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل
على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب
يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او كل من امن به
او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم
اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون
الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل
على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير
ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ولم يشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسالكم

عليه اى على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة
ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة
لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظايم رحمته وجلايل نعمه
او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقايلون هم اليهود قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء و
انما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية
وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقات واخفاء بعض لا يشتهونه روي
ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل
تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم
على لسان محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس
عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا
بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم
في باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم
او يلعبون او حال من مفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله
ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر
ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى
شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء
اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم
على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر
حتى يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة
لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة
والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه

شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان
محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما
انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف
عليه ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدايده من غمر الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا
من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن
لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء
الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها
ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وساير ما آثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى
وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اى مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما
قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى
شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم و
البين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع
التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله
او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به
الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله
من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات
ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب والنوى فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اى
ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق

عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح **وجاعل الليل سكنا** يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه بمعنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون **والشمس والقمر** عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان **حسبانا** اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علم الحساب وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان **ذلك** اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم **تقدير العزيز** الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص **العليم** بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما **وهو الذي جعل لكم النجوم** اي خلقها لكم **لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم **قد فصلنا الآيات** بيناها فصلا فصلا **لقوم يعلمون** فانهم المنتفعون **وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال الفطنة وتدقيق النظر **وهو الذي انزل من السماء ماء** من السحاب او من جانب السماء **فاخرجنا** على تلوين الخطاب **به** بالماء **نبات كل شيء** نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المتفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فاخرجنا منه** من النبات او الماء **خضرا** شيئا اخضر يقال خضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب **نخرج منه** اي من الخضر **حبا متراكبا** وهو السنبل **ومن النخل من طلعها قنوان** اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب

وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع **دانية** قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها **وجنات من اعناب** عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل **والزيتون والرمان** عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم **مشتبها وغير متشابه** حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم **انظروا الى ثمره** اي الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب **اذا اثمر** اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به **وينعه** والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه **ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال **وجعلوا لله شركاء الجن** اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما اطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين **وخلقهم** حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه **وخرقوا له** افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله **بغير علم** من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم **سبحانه وتعالى عما يصفون** وهو ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض** من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره **انى يكون له ولد** اي من اين او كيف يكون له ولد **ولم تكن له صاحبة** يكون منها الولد و

وقرئ بالتاء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى
عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول
انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها
وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له من وجهين الاول ان كل ما عداه
مخلوقة فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة
الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها
فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات
متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها
لا تدركه الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل
به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في
الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان
النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك
كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا يدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي الحق وتبصر بها
فمن ابصر اي الحق وامن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله
وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم وهذا كلام ورد على
لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء
المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي و
ليقولوا درست واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اهل الكتاب وذاكرتهم
وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين و
قرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست ودارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس
اي درس محمد صلى الله عليه وآله ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه
واللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر لكونه

معلوما او المصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض
عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى ارائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى
لا يريد الايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت
عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا الهتهم التي
يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه
عليه الصلوة والسلام كان يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت
الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير و
الشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة
لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون
بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا
القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وآله في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن
جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء
وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الاية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها
لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير و
ابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم و
الخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرئ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون
بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن
مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على
لا يؤمنون اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا
به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم
هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا

فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا بابائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى
كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا
وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال من
الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى
اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية
طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك
وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه يوحى
بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى
بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر فى موقع
الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف
ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون
وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق
بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة
او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون ولام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير
فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغى
حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف
به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث
ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقرره مغن عن سائر الايات والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق
منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن
من الممترين فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله

ولا تكونن

ولا تكون من المشركين او خطاب الرسول صلى الله عليه والمراد خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى
ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية
اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام ونصبهما
يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل
او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله
تعالى بالحفظ كقوله انا له لحافظون ولا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرا الكوفيون
ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان
تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض
مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق
على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شىء وحقيقته الخرص ما
يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم
بالفريقين ومن موصولة او موصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر
فى مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ
من يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين
من قوله من يضلل الله اى من اضلاله اذا وجده ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه
التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه
اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله و
اجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله
وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل
الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل
الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من
غير تعلق بشىء دليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين بالمتجاوزين الحق الى الباطل
والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب

والزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا
واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّله بالميتة او بما
ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل
الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم
بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه
فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور
الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب
ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال
من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال
كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل
في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي
كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا
بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل
ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد و
المطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا
بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي
كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب و
المال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح
لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين
اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه

طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن
جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلوة
والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود
السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل
معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ
به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد
قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من
التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما
يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم
دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها
سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن
يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع
بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما
فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات
مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله

الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار
مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض
وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم
يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكل من اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم
قالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى
قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا
على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة
الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على
انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال
الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان
الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا
برسول او بدلا من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او
من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فلا يخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من الثواب والعقاب
وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم
عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس
لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ
يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم
اخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لات لكائن لا محالة
وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم
يقال فلان مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة
كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة
في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد

لا يأتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي
يكون بالياء هاهنا وفي القصص لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين
موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى
الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوه
لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان رأوا ما لالهتهم ازكى تركوه حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي
قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه
وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود والوُد والوِد ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زُين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او
الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه
الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حُجر بالضم وحرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون
خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير
والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها
وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء على الله نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق
بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال والمفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم
بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوائب

خلق

خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة
ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كثير
او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على
انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانها
لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع
والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة
ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
من قوله وتصف السنتكم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد
لمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال
او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه ويجوز نصبه
على الحال او المصدر المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي
انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت من الارض في
البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع
والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك
او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل
منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة
المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم
به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة
والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه
لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من
الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار
الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا

ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل
عليه او حال منها بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد
الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء
والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن
المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب و
صحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث
الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس
الاربعة ذكرا او انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها
كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصيكم
الله بهذا حين وصيكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او
عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد
فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير
وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد و
الطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او
فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح
على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على
مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على
انه لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال
بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غير ذلك الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا

حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر ويسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع وحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك اى التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اى لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها يقصد اثبات الحكم ويطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلالة آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا

فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اى شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ألا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل مما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة والجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلونه لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون لان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق

التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع
وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف
على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام
به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما
احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي على الدين الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج
اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك
كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة
ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل
الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي
المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم على قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار
والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة
لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من
معرفتها وصدف عنها اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني
اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان
تاتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي ربك اي امره
بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس
من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض آيات

ربك

ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء
لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا
عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة
في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد
على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم يكن بمعنى
لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي
انتظروا اتيان هذه الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا
دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة
وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء
اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ
باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى
صراط اذ المعنى هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض
فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما
كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي
ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان
الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على

اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم
وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اى وكل ما سواه مربوب مثلي لا
يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من
ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم
مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق
من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه
يتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع
بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال
ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم
وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى
ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ
فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله انزلت علي سورة الانعام جملة
واحدة وشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه و
استغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن
انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اى شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب
من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك
ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم
او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر وتذكر
ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في
من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون

اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد
القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون
بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وآله وكم من قرية
وكثير من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا
عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اى قائلين نصف
النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف
استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب
ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان
دعويهم اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا
كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل
اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام او الاول في موقف
الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا
منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو
مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم و
يؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله
جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل
السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات
وتعدد الوزن وهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا يعيشون بها جمع معيشة وعن
نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم

ثم صورناكم اى خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل و
تصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم
وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك
الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا
تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف
به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان
يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال الحسن قاس ابليس فاخطأ القياس فمن قاس الدين برأيه قرنه الله مع ابليس
خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية
وهو ملاكه ولذلك امر الملئكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل
الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين
الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان
تتكبر وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى
انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله
لكبره قال عليه الصلوة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون
امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى ولا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما
سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلم
انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى وتكليفا
متعلقه بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه الى بمتعلقه او حملا على الغى وتكليفا
بما غويت لاجله وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل
تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم

وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن
عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة
حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن
خلفهم لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه
منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم
ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من
الملئكة قال اخرج منها مذؤما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل او كمكول فى
مكيل من ذامه يذيمه مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملئن
جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملئن على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد وعلة لاخرج ولاملئن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب
المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من
الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها
بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى
الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الاخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهورة كما قلبت فى اويصل تصغير
واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا
وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل
الملئكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان
يحصل لهما ايضا ما للملئكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل
على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة

الفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل
ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة
عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما
به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم
او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف
اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين
في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم
وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر استقرارا
او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى انقضاء آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية
واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي
قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم عليه السلام تقدمة
لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك
كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل
اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبره وذلك صفته
كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا

على لباسا

على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا
يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما
منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده
ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده
ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث
على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل
لما فعلوها قيل لم فعلتم قالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن
طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد
حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون
اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا
هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل
لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند
سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم

لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى
ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس
رضى الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين
بن واقد جمع الله الطب فى نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى
لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات
كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات
من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة
لان الاستفهام فى من للانكار قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على
انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام
لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او
الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة
او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون
التأخر والتقدم لشدة الهول يا بنى ادم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى
شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى
الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا

جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وغاية هى التى
يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اى الالهة التى كنتم تعبدونها
وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله
لهم يوم القيمة او احد من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين
لهم يوم القيمة من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما
دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم اى دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل
اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الاضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا
ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم و
تضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء
على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق
العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير
حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء
على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل
فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل
الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش و
من فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره
وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة
والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف

نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى
في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب
النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي
عليه الصلوة والسلم اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة
في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا
ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا
ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم
تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان
ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة لاهلها قالوا
نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم من
الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول واجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في
المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح في المنتصب كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب
اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما
الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف
الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم
كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى
من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام

او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم
لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي
في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ
تستكثرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم
ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا
حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على
الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار
من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف
واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل
الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا
بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا
معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما
وفيه دليل على انه تعالى يعلم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل
ينظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم
ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق
اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون
لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام

الثاني وقرئ بالرفع اي فهل نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا
يفترون وبطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على
ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش
استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى
وتقدس استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ يغشي الليل بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما
شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى
محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات
ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه
الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد
في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية
واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع
الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد
الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيآت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية
متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في
يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات و
الارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة يدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر
بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع

خفية فان

خفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء و
غيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل
هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر و
المعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من
الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو بزنة
مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل
الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر
نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى
ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر وقد قرئ به
وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات وبشرى البشارة بين يدي رحمته قدام رحمته يعني
المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي
حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعها لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ
ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه
عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره
فهو للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات و
الثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى
والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة
التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة
نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع
ونصبه على الحال وتقدير الكلام البلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على

الصدر اي ذا نكد وقرئ نكدا بالاسكان والتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه
اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن
متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله
اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على
الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان الداعي الى عبادته و
اليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء
انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ
في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما
لزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي
وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان
كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقريرا لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته
وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف اي
اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل
منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله
تعالى تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين
معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ
عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما

جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره استئناف ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا
تتقون عذاب الله وكان قومه اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا
من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة
عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي
سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح
امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي
اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة و
هضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه
بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم من رمل عالج الى شحر
عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر
عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة من ستين [illegible]
فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وهو تعميم بعد تخصيص لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى
الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص
الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا
اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا
بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد
وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم و
آباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية
لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى وقد
اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على
تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل
به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء
مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق

بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه
وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس ح مسلمهم ومشركهم
اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد
في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية
بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان
يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله
يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال
مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا
حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق
عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا **والى ثمود** قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر
بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او
باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى **اخاهم صالحا** صالح بن
عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي **هذه ناقة الله لكم آية**
استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي آية ويجوز ان
يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت
من عنده بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت آية **فذروها تاكل في ارض الله** العشب
ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في
الامر وازاحة للعذر **فياخذكم عذاب اليم** جواب النهي **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من**
بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر **تتخذون من سهولها قصورا** اي تبنون في سهولها
قصورا او من سهولة الارض بما تعملون منها كالآجر واللبن **وتنحتون الجبال بيوتا** وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال
او تنحتون بمعنى تتخذون **فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين**

استكبروا من قومه عن الايمان **للذين استضعفوا** اي للذين استضعفوهم واستذلوهم **لمن آمن**
منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين **اتعلمون**
ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون** عدلوا به عن الجواب
السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن
آمن به ومن كفر فلذلك قال **قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون** على وجه المقابلة ووضعوا
آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما **فعقروا الناقة** فنحروها اسند الى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم **وعتوا عن امر ربهم** واستكبروا عن امتثاله وهو ما
بلغهم صالح بقوله فذروها **وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين** روي انهم بعد
عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم
فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا
فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار
فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى
ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاخذتهم الرجفة الزلزلة **فاصبحوا في دارهم جاثمين** خامدين ميتين فاتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت**
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله

خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله اهل قليب بدر وكان يعد ان
اجرهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر
عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى والاستغراق والثانية
للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ
انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى
الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر فى
موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى
له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى
الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهو اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن
الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم مسرفون عادتكم
الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا
عن كلامه ولكن قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امرأته واهله فانها
كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل
بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى
مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم يعنى المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ما هى وما روى من
محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصاه على يده فى المرات السبع متاخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش
لقوله والميزان كما قال فى سورة هود اوفوا الكيل ووزن الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس

ويجوز ان يكون

اشياءهم

اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل
والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى
الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع
او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى
فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك
عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعنى الذى
قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا
لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على
اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال
من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها
للناس معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة فى النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله
بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير
الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم من القرية او عودكم فى الكفر وشعيب لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو
كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه
من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله تعالى ندا وانه
قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون
لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر

وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه
بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من
الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا
لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد
مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة
ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا
مبتدأ وخبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه
عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل
عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا
كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره و
اعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا
فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني
القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم
وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى

التسليم

التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن كثير و
نافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس
اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير
لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى
يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو
فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد
اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى و
طبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون
افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على
الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات و
النذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء
عهد فان اكثرهم نقضوا عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما
عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا
اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة
وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى
الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا
يعني المعجزات الى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان
اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق

على ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ولان
ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق
ان اكون انا قايله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء
لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي عم بالباء
وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم
حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في
الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره
لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه وعاد
عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها بيضاء في جبلتها روي انه كان شديد
الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على
سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه اراوهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر
امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن
كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسمعيل
والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة
وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه
واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها
كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه
وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سايل قال ما قالوا

اذ جاؤا وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا
بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده
نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كان رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير
النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال بل القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان
خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم
وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقيها فصارت حية فاذا
هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان
يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها
اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت
فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما
كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او
رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين
على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وان الله تعالى
الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في
سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا
يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص امنتم به على
الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني
اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم و
ارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل
انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن
على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا
منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا و

منقلبون الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك لقوله فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا على ان ذلك لشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا وترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا

في الكدس

بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي ايما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى عليه السلام لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد وقيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله

عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم أو منفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعاً وقيل إن موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الإيمان وكانوا قوماً مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو الطاعون أرسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم الرجز فاجؤوا النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم تفكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما رأى منهم وإيقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكراً فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين

أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً مثالاً نعبده كما لهم آلهة وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضاً وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيراً وتحذيراً عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلهاً أطلب لكم معبوداً وهو فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغاً أربعين روي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشراً وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحاً ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك سبيل الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر إلي تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها

على معتقد في ارائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ
اذ كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها
ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا
من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا
يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل
زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية
حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي
دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك
من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول
من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين
في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي
يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك
ما اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة
واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زبرجد او زمرد او ياقوت
احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلم فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيه التورية
او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح
او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا
باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة
الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان
الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو
المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساوريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر
خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي

جهنم

جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
ساصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في
الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء
عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك
الصرف بسببها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في
الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ
قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبطيين
حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو
جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم
ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري
لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح
جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ
جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا
انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم
فان النادم المتحسر يعض يده فيصير مسقوطا فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا انهم
قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون عليه السلم
والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس

خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني
من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه
ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر
حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس أخيه
بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم وكان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك
كان احب الى بني اسرائيل قال ابن أم ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى
المضاف الى ياء المتكلم والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر إن القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى
قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء ولا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله
ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر
لي ما صنعت باخي ولأخي ان فرط في كفهم ضمه اليه في الاستغفار ترضية له ودفعا
للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وأنت أرحم الراحمين وارحم بنا
منا على انفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل
انفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا
بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى
الغضب باعتذار هرون عليهما السلام او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه
جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا أخذ الألواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى وبيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون

معاصي الله

معاصي الله لربهم واختار موسى قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا
فلما أخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره بان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه يكلم موسى عليه السلام يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك
قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت
عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك أتهلكنا بما فعل
السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل
السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا
منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى عليه السلام فبكى
ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت
في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي
من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن
معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ
بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا
او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال
عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف
وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا
يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الأمي مبتدأ خبره يأمرهم
او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله
عليه وآله وانما سماه رسولا بالاضافة الى العباد والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان
كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم

ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد و
الخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما
سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان معه متعلقا
باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي صلى الله عليه وآله فيكون اشارة الى اتباع الكتاب
والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى عليه السلام
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله
لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه و
انما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم
تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد
في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين
او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل
الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم من بعض اثنتي عشرة مفعول
ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك
جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين و
اسكانها امما على الاول بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء
على ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه

اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر
الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها
ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد
المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على
انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء
للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده قرأ خطيئتكم وابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى
تفسيرها فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا
تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة
البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون
واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة
يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم
وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون
واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخزيهم او معذبهم
عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا
عن علة الوعظ ونفعه كأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد

ع

طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب
للسؤال اى موعظتنا انها معذرة الى الله تعالى حتى لا تنسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص
معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله تعالى بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء و
سكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ مخففة منه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على
قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما
عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى
عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه
باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم
قردة فلم يعرفوا انسابهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتى انسابهم وتشم ثيابهم وتدور باكية
حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل
من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمن عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله
عليه واله ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع
العقاب عاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم فى الارض امما
وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان
او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون
ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه

فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد و
الجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله
عليه واله ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا
الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى
فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك و
يتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان
يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين
الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين
يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى
العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ
خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان
الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه
ظلة سقيفة وهى كل ما اظل وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا
يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن
عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم
تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى ادم
بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة

الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة
اى كراهة ان تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين لم تنبه عليه بدليل أو تقولوا عطف
على ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة إنما أشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح
عذرا أفتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى اباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى آدم اخرج من ظهره
ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر وقد حققت
الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى
الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات و
لعلهم يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى آتيناه
آياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل او امية ابن ابى الصلت فانه قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا
فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا
من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فأتبعه
الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سالوه
ان يدعو على موسى على نبينا وعليه السلام ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملئكة فالحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك
الآيات وملازمتها ولكنه أخلد الى الأرض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار
الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها
دلالة انتفاء المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب
الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى
اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر
والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع
لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج
لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص

استتبعه

القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ
ساء مثلا القوم اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا
بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى الصلة
الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدى الله
فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان
هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى
لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين و
الاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه فى
نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة و
العنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس يعنى المصرين على الكفر فى علمه
تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله ولهم أعين
لا يبصرون بها اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات
والمواعظ سماع تامل وتذكر أولئك كالأنعام فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فانها تدرك
ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا
كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة
ولله الأسماء الحسنى لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات
فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون فى أسمائه واتركوا تسمية الزائغين
فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها
باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
واعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال
لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما
بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق
عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله
عليه الصلوة والسلام لا تزال من امتى طائفة على الحق الى ان ياتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول

او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا
بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم العذاب واملى لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدى متين اى اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روى انه عليه السلام
علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا
فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء مما يقع عليه اسم الشىء من الاجناس
التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها
ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف
على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم
ينظروا فى اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة
الموت ونزول العذاب فباى حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية
فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل
هو متعلق بقوله عسى كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقران
وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله
من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير والتعليل له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون
بالرفع على الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائى
به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم
يسئلونك عن الساعة اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها
بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى
اثباتها ورسو الشىء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من
اى لان معناه اى وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربى استاثر به
لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فى وقتها الا هو و
المعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة
لدلوك الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملئكة والثقلين هولها وكانه

وكانه اشاره

وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كما قال صلى الله
عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم
سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفى عنها عالم بها فعيل
من حفى عن الشىء اذا سال عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشىء والبحث عنه استحكم علمه فيه
ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا
قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك كانك حفى تتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى من حفى بالشىء اذا فرح بالسؤال
عنها تحبه اى تكره لانه من الغيب الذى استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره
لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع
ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء
ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى السوء
ان انا الا نذير وبشير ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم
المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذى
خلقكم من نفس واحدة وهو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن
اليها اطمئنان الشىء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها
اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى
او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرى فمرت
بالتخفيف وفاسترت وفمارت من المور وهو المجىء والذهاب ومن المرية اى فظنت الحمل وارتابت
به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرى بالبناء للمفعول اى اثقلها حملا
دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على النعم المجددة فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتيهما اى جعل اولادهما
له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعنى الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى

بطنك لعله بهيمة او كلب فما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فهمّا
منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد
الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش
فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء
وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم
ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى
الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى
ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات
او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن
دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من
حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انها آلهة ويحتمل انهم لما
نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون
عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون بها ام
لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين
بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم
هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون
فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي
بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى
الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا
تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل

من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن
الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول
باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف
ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي
وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح
امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة
الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف
كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير و
ابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك
جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد
الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا
لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر
ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح
لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما
حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على
المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر
للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا و
خائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص
بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل
وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل

لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وآله
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه و
بين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال خمس وسبعون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل
كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها
مختص بهما يقسمها الرسول صلى الله عليه وآله على ما يأمره الله به وسببه ان المسلمين اختلفوا في غنائم
بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وآله لمن كان له
غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وآله بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي
وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله
صلى الله عليه وآله واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وآله سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا
الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله
وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح
البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل
بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم
يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال

القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا
صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو
منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة
لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره
هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله
والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال
اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى
الله عليه وآله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا
بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل و
قال ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء
كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بوادي ذفران فنزل
عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا
ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا
ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك
كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار
لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان
لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق

عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فقال امضوا على بركة الله فقد وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بدر وقيل له
عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم
تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان منهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم و
رعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل
عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن
فيها الا اربعون فارسا ولذلك تتمنونها وتكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في
هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى
انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين
مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو
كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر
واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا
غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه الصلوة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة
فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو
بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة
مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا
المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله
مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او
بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان

المراد

المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم
وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى اي الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز
حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا
منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او
بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا
غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة
منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون و
يغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما
غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله شعر يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث
والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من
العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون
على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين
وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا
الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام
اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث
او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على
ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا
ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان
تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي
هي المذابح او الرؤوس فاضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك
اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله و
رسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق الاخر كالمعادات من العدوة

والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى
ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب
الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا
قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا
مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا
حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل
وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة
او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ان ابن عمر
كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال
بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصابهما على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين
اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد
باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله
عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله
قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل
قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى
بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف
تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم
جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود
منه وقيل معناه ما رميت الرعب اذ رميت الحصباء ولكن الله رمى الرعب في قلوبهم وقيل انه نزل
في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه

يوم حنين نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم
ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع
عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية
خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة
عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ
كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه
وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا
به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع
تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول
وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وآله احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا
حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وآله
روي انه صلوات الله عليه مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال له ما منعك عن اجابتي
قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته

لانقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع
الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل
موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من
العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها
او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره
او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد
سعادته وبينه وبين الايمان ان قدر شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها
على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة
في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه
لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله شعر حتى اذا جن الظلام
واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان
اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس و
الروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش ومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين
لهم فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار
او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او
بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى و
عشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله

وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة
فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان
انخلع من مالي فقال عليه الصلوة والسلام يجزئك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل
الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم با
لعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من
القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة
من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضا الله
عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا همكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل
بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعدهم على التقوى تفضل منه و
احسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين
كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم و
المعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته
لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم
او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم و
يقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال

صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيّت
عليا عليه الصلاة والسلام على مضجعه وخرج مع أبي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم
أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا
عليهم فقتلوا والله خير الماكرين إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة
ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث وإسناده الى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فإنه
كان قاصّهم أو الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا
سوره مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان إن هذا إلا أساطير الأولين
ما سطره الأولون من القصص وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود
روي أنه لما قال له النبي صلى الله عليه وآله ويلك إنه كلام الله فقال ذلك والمعنى إن كان القرآن حقا
منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين
والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن
المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وآله وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن
يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد
النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وآله بين أظهرهم خارج عن
عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم
غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون وما لهم ألا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون
وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله صلى الله عليه وآله
والمؤمنين الى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية وما كانوا أولياءه مستحقين ولاية أمره مع شركهم
وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء إن أولياؤه
إلا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلاتهم عند البيت أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها إلا مكاء

صفيرا فعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد أو
من الصدى على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
ذلك إذا أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا فذوقوا العذاب
يعني القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم
تكفرون اعتقادا وعملا إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد
ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش
ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر والثاني إخبار عن إنفاقهم
فيما يستقبل وهو إنفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة
وهي عاقبة إنفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا
أي الذين ثبتوا على الكفر منهم إذ أسلم بعضهم إلى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب
الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وآله مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكافر
فيجعله في جهنم كله أولئك إشارة الى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو الى المنفقين هم
الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم قل للذين كفروا يعني أبا سفيان وأصحابه
والمعنى قل لأجلهم إن ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وآله بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما
قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وإن يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الأولين الذين تحزبوا على الأنبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على أهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله و
تضمحل عنهم الأديان الباطلة فإن انتهوا عن الكفر فإن الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه
وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الإسلام و

والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيهم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم
للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم
فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا
انما غنمتم اى الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله
خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله
للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول و
لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين
به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين
كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي
القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى
ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله تعالى الى الكعبة لما
روي انه صلى الله عليه وآله كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال
له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت
اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه
سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر و
ثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه
واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية
فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما
انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين
يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله
على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة
الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر
وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى
وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا

من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب
على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت
رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم
في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله
خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا
كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة
عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات
الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام
والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع
عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول و
الاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم
اى يعلم اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات
والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا
حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال
اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وآله ويقللكم في اعينهم حتى
قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك
الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد
وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله
امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي

وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب
في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد
ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا
بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم
بالجزم والريح مستعار للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم
من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا
امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده
ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا
له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر
باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله عليه وآله وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم
لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير
لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته
والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على
عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى
امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة
وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني
مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال اني ارى

ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون
معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون
من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل
بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع
ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي
ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون
الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم
ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم
مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك
الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان
يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب
هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا اي داموا عليه والذين من قبلهم من
قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله
قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بأن الله بسبب ان الله
لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من
الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول
ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما
احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له

وهو جري عادته تعالى على تغييره متى غيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في النعم بسبب تغيرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان لا يمالؤا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة والمحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم و

كذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة ابن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه الصلوة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيدا

في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وآله ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ
في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم
لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة
الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع
الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون
له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل
حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخّن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم
ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف
كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما
يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه
وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلوة والسلم اتي يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من

الكافرين

الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو و
ابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم
السلم يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من
الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح
لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم روي انه عليه الصلوة والسلم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك
لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت
والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في
نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته
ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفدي نفسه
وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك قال اخبرني
به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا
الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع مال مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني
الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما
عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك
كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا
اوطانهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح
وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث و
كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولو الارحام بعضهم

اولياء بعض بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى
يهاجروا اي من توليتهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم
ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل
على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم و
تولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل
فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم
المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه
من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الوعد الكريم وقال لهم مغفرة ورزق كريم
لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او
في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في
اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل
منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر

ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة و
المخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم و
ينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها
لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله اذا نزلت عليه سورة
او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة
واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله

ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها
على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة
بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة
باذن الله واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة
وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال
فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال و
قيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما
روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام راكب العضباء ليقرأها على اهل
الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما لحقه
قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي عليه السلام
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او
اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا
يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وآله لا يؤدي عني
الا رجل مني ليس على العموم فانه صلى الله عليه وآله بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو
مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه
في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه
وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله
ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما
روي انه صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او
لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من
المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من
كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه

فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه
بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا
ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او الاستدراك وكانه قيل بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم و
لم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى
تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر
الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف
للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها نسخها فاقتلوا المشركين الناكثين
حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه
على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم و
ايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة
ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم ان الله غفور رحيم
غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين استجارك استامنك وطلب
منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه
مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا
بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله
بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة
للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او
الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على

الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه
على العلة وحذف الفعل لكونه معلوما كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا فيكم
حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية
ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة
لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا
حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا
او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على
العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم
لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال و
استبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما
يتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص
الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله
استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد
انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو
تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل
الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود و
طعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة
الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل
المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء
لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي

اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا
امان او الاسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون
على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا
تقاتلون تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل قوما
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وآله وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بدأهم بالدعوة والزام
الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من
اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من
يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على
اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين
والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين
جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم

من ظاهر

من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد
فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل
عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك و
تكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول
في الاموال فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار
هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى
الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول
لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم
يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل
فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر سقى و
عمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية
الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم
بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وآله
منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم و
انفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل
السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم

بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم
الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم
لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين
وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعوكم
عن الايمان ويصدوكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا
عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ عشائركم
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون
الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف في التحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر
عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية
تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت
كمقتل الحسين عليه السلام ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في
مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في
جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه واله والمسلمون
وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف و
كانوا اربعة الاف فلما التقوا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه واله في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا
بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا
واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين
حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها

اي سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها
كمن لا يسعها مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف
الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه واله ولم يفروا
وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف
الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء
كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه واله واسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة
الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه واله اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه واله وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن
لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات
فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة
كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو تخفيف نجس ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام
لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع من دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن ان يحج او يعتمر ولا عن الدخول
مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة
فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر
كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى
الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا
الذين لا يؤمنون ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا
ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون

اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى
منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى
ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم
بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس
تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر لم
يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه الصلاة والسلام اخذها من مجوس هجر وانه
قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة
فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه صلى الله
عليه وآله صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها
وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من
متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو
لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل
على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي
ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه
للعجمة والتعريف ولالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل
معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى
المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول
اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد
مفهومه في الاعيان يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين
قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرئ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم با
الاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى

الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل
ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل
وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة لله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفؤا يخمدوا نور الله حجته الدالة
على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وآله بافواههم بشركهم وتكذيبهم
ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال
نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده
بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب
لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع
الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام
في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ
المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب و
الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم
بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون
اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه
وآله فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلى الله عليه وآله ما ادي زكوته فليس بكنز
اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء
او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن
ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من
نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار
جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت
النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما
قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي عليه السلام اربعة الاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما

بالذكر لانهما قانون التمول والمعقضه وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا
الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه
ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ و
القلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما
كنزتم لانفسكم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما
كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ
عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او
في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب
ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة
حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلم والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن
انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم
بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان
يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه صلى الله عليه وآله حاصر الطائف و
غزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا
وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن
نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسا والنساء وثلثتها مصادر
نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل
به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب
يضل على ان الفاعل هو الله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر
ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على
جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطؤا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة
الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة

وجدوها

وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى
خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على
الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة
تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع
بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم
عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فانه
الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وآله اي ولا تضروه فان الله وعد له بالنصرة و
العصمة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما
قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد
اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان
همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص
مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان
متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني
لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه الصلوة والسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها
القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وآله او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود
لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون
الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر
وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله
عليه وآله عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره
له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان

كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله
عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم
ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح وصحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول
الله صلى الله عليه وآله على ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم و
انفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم
تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن
بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي
المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد
مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها
في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه
في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي
شئ اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا
في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئين لم يؤمر بهما
اخذ الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان
الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك
في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك
في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار
بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واقام الصلوة وعده بكسر العين باضافة وغيرها
ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن
تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل
وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر

ربع

بالقعود

بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول صلى الله عليه وآله لهم والقاعدين يحتمل
المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم
الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار
اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا
يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل
من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او
الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم و
يطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتون منهم
لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا
عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وآله الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد
وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر و
التأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول
صلى الله عليه وآله والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك
استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وآله بالمبادرة الى الاذن
ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء
الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك
بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم
ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا
رأيهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم ومجتمعهم او عن الرسول صلى الله عليه وآله وهم
فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة
او الشهادة او كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل
لا من فعل لانه من بنات الواو واشتقاقه من الصوب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصواب هو
مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل

تربصون بنا تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم أيضا إحدى السوأيين أن يصيبكم الله بعذاب
من عنده بقارعة من السماء أو بأيدينا أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم أمر في معنى
الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول
كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي
التقبل يحتمل أمرين أن لا يأخذه منهم وأن لا يثابوا عليه وقوله إنكم كنتم قوما فاسقين تعليل
له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم
كفروا بالله وبرسوله أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء
لأن تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على أن الفعل لله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال إنما يريد الله أن
يعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن
النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله
إنهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم
أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون إليه
أو مغارات غيرانا أو مدخلا وقرئا نعم وأدت بالتخفيف فيهما وقرئ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من
الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلا ومندخلا
من تدخل واندخل لولوا إليه لأقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء كالفرس
الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير
يلامزك في الصدقات في قسمها فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون
قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم
أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك إن
لم أعدل فمن يعدل وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول صلى الله عليه

كان بأمره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى ورسوله
فيؤتينا أكثر مما آتانا إنا إلى الله راغبون في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله
عليه وآله فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد
باللمز لمزهم في قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه
أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى
أما السفينة فكانت لمساكين وأنه عليه الصلاة والسلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله
أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا
ونيتهم ضعيفة فيه فيتألف قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف
يستألفون على أن يسلموا فإنه عليه الصلاة والسلام كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان
سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فيعتق وبه قال مالك وأحمد أو بأن
يفدى الأسارى والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان بأنهم
أحق بها والغارمين المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا
أغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها
بماله أو لرجل له جار مسكين تصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها وفي سبيل الله
وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع و
ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة
أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة إن الله عليم حكيم يضع الأشياء في
مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد
منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على أن الآية
بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس
عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة

نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه
الذي ذموا به بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من
الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه
بمعنى التسليم وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله
ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة و
رحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ
نافع وأذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم بإيذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم أي لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد
الضمير لتلازم الرضائين أو لأن الكلام في إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وإرضائه أو لأن التقدير والله
أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا أنه أن الشأن وقرئ بالتاء
من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر أي
فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد
الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون
أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن
يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على
ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول صلى الله عليه وآله بشيء وقيل إنه خبر في معنى
الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤوا إن الله مخرج مبرز أو مظهر
ما تحذرون أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن
سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله
عليه وآله في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات
هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك و
أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته
ورسوله كنتم تستهزئون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة
عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب
قد كفرتم قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله عليه وآله والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم
الإيمان إن نعف عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب

طائفة

طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون
فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وأن تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه
قال إن ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان
كأبعاض الشيء الواحد وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله
أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله إن المنافقين هم الفاسقون
الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله
أبعدهم من رحمته وأهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب
النفاق كالذين من قبلكم أي أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم
قوة وأكثر أموالا وأولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من
ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء أثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا أو كالفوج الذي
خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا في الدارين وأولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح أغرقوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلك
نمرود ببعوض وأهلك أصحابه وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة
والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم انقلبت فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر أتتهم رسلهم
بالبينات يعني الكل فما كان الله ليظلمهم أي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا
جرم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في
سائر الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة فإن السين مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب على

كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش و
في الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه
عليه الصلوة والسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد
الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما
هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرا عن الشوائب الكدورات التي لا يخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس و
تلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو اكبر من ذلك ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول
والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما
لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى
شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس
المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلوة والسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما
لم ينالوا من فتك الرسول صلى الله عليه وآله وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان
يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل واخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها و
حذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم
اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان
لم يرض رسول الله صلى الله عليه وآله وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول
الله صلى الله عليه وآله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بديته اثني عشر
الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي

ربع

حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب و
منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة
بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وآله وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلم يا ثعلبة قليل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله
صلوات الله عليه وآله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه
الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى
ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء
بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله
منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما
اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم اي ما اسروه في
انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في
سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه صلى الله عليه وآله حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي
اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت
احدى امرأتيه عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل
الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بآخر فامره رسول الله
صلى الله عليه وآله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت

والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون
منهم يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب
اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه
بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه
الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم و
ذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة و
نحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله و
رسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم
بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق
فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على ان عذر الرسول صلى الله عليه وآله في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون
انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة
والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج
وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد
آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم
والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم
على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم

ثمن

للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا
روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في
شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان
مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد بالصلاة الدعاء للميت و
الاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء
الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به
فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول
واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة
وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي
لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف
عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء و
لم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك
هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم
يعني اسدا وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما
ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر
العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد
في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم
في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم
الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر

لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التأخر
إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما قدروا
عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل ليس عليهم
جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم أو للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين إذا ما
أتوك لتحملهم عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد
أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
نغزو معك فقال لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى
وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد تولوا جواب إذا وأ
عينهم تفيض من الدمع أي دمعها فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ
من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة أو الحال أو المصدر
لفعل دل عليه ما قبله ألا يجدوا أي لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ما ينفقون في مغزاهم إنما
السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واجدون للأهبة رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة
الخوالف إيثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته
يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم إليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة
لأنه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لأنه قد نبأنا الله من أخباركم أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم
وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه
وكأنه استتابة وإمهال للتوبة ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة
على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا
عنهم ولا توبخوهم إنهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء
أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الإعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال إنهم
أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا
تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة يحلفون لكم لترضوا

عنهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
أي فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه
أو إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم
والاغترار بمعاذيرهم الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا
من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة وأجدر
ألا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم
يعلم كل واحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الأعراب
من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا إذ لا يحتسبه عند الله
ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء أو تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب
الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أو الإخبار عن
وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان والسوء
بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الإنفاق عليم
بما يضمرون ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب
قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ وصلوات الرسول أي وسبب صلواته لأنه
عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته
لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام صل على آل أبي أوفى لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره
ألا إنها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرفي التنبيه وإن
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين
لتحقيقه وقوله إن الله غفور رحيم لتقريره قيل الأولى في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله
ذي البجادين وقومه والسابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا
بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة والأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم بإحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى
يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه
الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر
المواضع خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من حول بلدتكم يعني المدينة
من الأعراب منافقون هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل

المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمنافقين فصل
بينها وبينه بالعطف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان
يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك
الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل
في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت
فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف
بالذنب بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي
مدلول عليها بقوله ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم
بمعنى طهرة وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل
المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها
نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله
سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول
توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا
ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى
لا يخفي عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا

على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى
والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال
بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا
ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون
مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع و
ابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله صلى
الله عليه وآله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه
ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي
الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت
فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله
ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا
قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود
يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان ياتيه فقال انا على
جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين
والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني
مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى فيه ايام مقامه من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق
للقصة او مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسئل عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول
يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله شعر لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن
دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال
المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال انهم مؤمنون وانا معهم

ربع

فقال عليه الصلوة والسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى
عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلث
ثم نتبع الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا أفمن أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله
ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته أم من أسس بنيانه على شفا جرف
هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة
استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى
تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه
في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله و
مقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه واس بنيانه
على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد وهما جمع أس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا
للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى
ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع و
لذلك قد يدخل التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى
ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في
قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كاين
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع
بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب
الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر
بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد
يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية و
الانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز
تقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم

عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم
المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله
مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة
والسلم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف
فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله
والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل
الفضايل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد
التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء
الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان
المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلوة والسلم قال
لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال لا ازال استغفر لك ما لم أنه
عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي
في زيارة قبر امي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل على الآيتين ولو
كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز
الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم عليه السلم لابيه الكافر
فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله
لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من
قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه
بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه
ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما
كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين
لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر

لا استغفار للمشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة
دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار
للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود و
متولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤوا عما عداه
حتى لا يبقى مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن
المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل
هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله تعالى و
توبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها و
هي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع
الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث
القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد
وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف
رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها
لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة و
الغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم
المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم و
عهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء
الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه
عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة

حسناء ورسول الله صلى الله عليه وآله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله صلى الله عليه وآله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه
قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا
نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار
يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل
لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون
واما في حق المؤمنين فلانه صيانة من سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل
اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية
سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس و
التبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد
حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا و
يحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد
وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق
بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وآله اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب

من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار
فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام
الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم
واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ
بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيعاينون
ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من
نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم
احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وآله فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم قاموا ثم انصرفوا عن
حضرة مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم
عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم
المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان
بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت
فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي
تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخرهما نزولا هاتان الايتان وعن النبي صلى
الله عليه وآله ما نزل القرآن علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي
ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات
الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه
بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام
انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة

وان اوحينا

وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم
الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم
يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا
في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون
في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص
البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه
على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول
صلى الله عليه وآله لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله
عليه وآله وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلوات الرحمن عليه وآله امورا خارقة للعادة معجزة
اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت
به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما
من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله
وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية
والربوبية ربكم لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في
امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان
المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما
يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم

ثمن

فعالهم ولايه كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة
مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه
بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذى
جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه
منقلبة من الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر
نورا اى ذا نور وسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور
وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرة بعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر و
تخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا
عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق
الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الايات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريون وحفص بالياء ان فى اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته و
كمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من
الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا
فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها
والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك
فى الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل فى الاجل والاعداد له اولئك
مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او الادراك الحقائق
كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب
وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال
الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف تجرى من تحتهم الانهار
استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله فى جنات النعيم خبر او حال اخر
منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى دعويهم فيها سبحانك اللهم اللهم

انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر
دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا
الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى
المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه
لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل والله تعالى
وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف
دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا او قاعدا
او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره
مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف
ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك فى الشهوات والاعراض
عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب
واستعمال القوى والجوارح على ما لا ينبغى وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم
وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى كذلك مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم
نجزى القوم المجرمين نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم و
انهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون
التى اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى
اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر
فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا
تتلى عليهم اياتنا بيناتنا قال الذين لا يرجون لقاءنا يعنى المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر

نقرأه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا
او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان
ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزامه
امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم
يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال
من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت
ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله
غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادريكم بلام التأكيد
اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل
لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه
من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي
حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله
من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين
سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين و
احاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر و
التفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم
للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي
ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا
عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل
اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بان هؤلاء شفعاء عنده وما لا
يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدونه من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو
حادث مقهور مسخر لا يليق ان يعبد سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وعن الشركاء الذي
يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم

عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى
والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير
الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه
يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الايات التي
اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن
انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من
الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط
ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر
عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر
اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق
للانتقام وتنبيه على ان ما دبرتم في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر
لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب
لاذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم
الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص
كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة
الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في
الارض فاجاؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب
المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على
انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة
الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة

فينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه إنما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى
اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت
من الوان الثياب والزين فتزينت وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها
انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا
او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن
زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله
وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما
بعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف
التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو
الى دار السلام دار السلامة من النقص والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار
يسلم الله والملئكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط
مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية
بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة
الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم و
الزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار
زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها
لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة
الباء او تقديره مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا

من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل
وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على
الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما
يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على
المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما
كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها
الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فيشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها
وقيل المراد بالشركاء الملئكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم
بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك
في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة
والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله
الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم
تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل لبيان من على حذف
المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما
او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر
الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة و
العناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم
اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال

استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله فى الضلال فانى
تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق
بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا
عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها
لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم فى الجواب
فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدى
للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى ام الذى لا يهتدى
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشرف
شركائهم كالملائكة والمسيح والعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدّى بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لان المدغم فى حكم متحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يُهدّى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدونه الا ظنا مستندا الى خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة و
المراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من
الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما
يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من
دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه
بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير
ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه
منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب

فانه منفى فى المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين
او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من
الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع من اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه
ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وآله ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فأتوا بسورة مثله
فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا
فى النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من
دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا
بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا
بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم
تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه
لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا
لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين
من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره
ومنهم من لا يؤمن به فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك
اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى
عملى ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او
باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما
فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة
استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم
فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم
والمعارف الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم
من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدى العمى تقدر على هدا

ولو كانوا لا يبصرون وانضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية
كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس
انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب
عدل من الله لا يظلمهم به ولكن ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع
الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا
قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله
كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة
على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا
مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم
الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما
اراهم يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد
نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤديها ومظهرها على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث عليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين
الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه
لكل امة يوم القيمة رسول ينسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء
المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد
استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان
املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كاين لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم
قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه

وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة
على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال او تعرفوا الخطاء ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة بجملتها متعلقة
بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى اذا اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول اي قيل
لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم
به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبؤنك ويستخبرونك
احق هو احق ما تقول من الوعد والادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه للانكار والاستهزاء لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للاستخبار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا
بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبؤنك
قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم
وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم
بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير ما في الارض من
خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة
لما راوا العذاب لانهم بهتوا لما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى و
يضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى
على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعقلون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة
والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية
الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح وللحكمة النظرية التي هي
شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث

انزل عليهم فتجليها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة
بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل
ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله فزعم واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء
على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا
فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه
ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء
محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل
ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون
الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب اى شيء ظنهم يوم القيامة اتحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل
عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث
انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة
وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما
تتلو منه له لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول صلى الله عليه وسلم او للشان اذ التلاوة تكون لشان فيكون
التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضماره
قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه
اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اى في
الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما او لا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال
اهلها والمقصود البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين

برأسه مقرر لما قبله ولا نافية ولا اصغر اسمها وفي كتاب مبين خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسرها قوله الذين امنوا و
كانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحياة الدنيا
وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما
يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بما تتلقاهم الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة وبيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم
مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من
شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك
من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع
لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق
ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء
على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه
ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية
منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اى شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم
ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا
باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف
المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ
الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه

إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقام من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان
قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان أتقولون
على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على كل قول لا دليل عليه فهو جهالة
وان العقائد لا بد لها من قاطع فان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر
مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ
خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني
واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل
انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى
امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن
امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او لا يكن حالكم عليكم
غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم
افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم
اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوت
توليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني آمنتم او توليتم و
امرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه
بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من
الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعويهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام
لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسول كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم

لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد
وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوته
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي
مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتى
يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا
كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك
فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين
فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة
بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدله او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله
سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر
افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم
فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم امنوا منهم مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه و
زوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو
المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان
يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه

توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا
من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله
فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا
مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين
اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم
وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوآ اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا
انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة
كان موسى يصلى اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن
دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ
المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد واقامة الصلوة مما ينبغى ان
يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشرع وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمركب ونحوهما واموالا فى الحيوة الدنيا وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك
لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر
استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا
تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اى واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح
للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى او عطف على ليضلوا وما
بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعنى موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق
والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين
لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى
اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه
الغرق لحقه قال آمنت انه اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ

وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان
القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد
عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك
ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ
يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الحال اى ببدنك
عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها
وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون
لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك
حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتى بعدك
من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك
اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بنى اسرائيل
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا احكامها او فى امر محمد
صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت فى شك مما انزلنا
اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان
القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه
وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبينا
اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد
جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا
من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم

كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى
يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت
قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما
رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان يكون
الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال
ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم
الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب
الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة
واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على
القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف
الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء و
ايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه
تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه او توفيقه فلا تجهد
نفسك في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ
ابو بكر ونجعله بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض من
عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني
الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب
فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه

الا مثل

الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك
حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا
علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي
بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان
يجوز ان يكون من المطرد مع أن وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك
للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها
بما تضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة في الدين والاشتغال به باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلاة باستقبال القبلة
حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء الشرط وجواب لسؤال
مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله
وان يردك بخير فلا راد لفضله فلا دافع لفضله الذي اراد بك ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع
الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده
يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه
بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى
بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال
الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير
الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال [illegible]

والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية
ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما
او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب
او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر
امره وما خفي ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله
بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن
طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما
بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا
يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى
كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة
وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم
رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه
تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة
تثنوني من الثني وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان
كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة
المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت
في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين
ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون باقوالهم يستوي في علمه
سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما
اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة
والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين

كانت

كانت بعد بالقوة كل اي كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا
للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما
وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا
على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء
على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق
ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج
اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق
اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب
والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى
عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له
مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن
استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا
عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع
الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء وقيل البينة هو القران ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه
والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه
الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة
فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك

ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا كأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله أولئك يعرضون على ربهم في الموقف بأن
يحبسوا وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب
أو شهيد كأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم
حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال أنهم كافرون
بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين
الله في الدنيا أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه
أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما
كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية
الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض أولئك الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما
كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهي الأرض المطمئنة
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالأعمى
والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه
عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالبصير والسميع لأن أمره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا تمثيلا أو صفة أو حالا أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا
نوحا إلى قومه إني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين
أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين
ويجوز أن تكون مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في
الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة

ما نراك

وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكابر أو
أرذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة من
الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحيوة
الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل
يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة
بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة أو النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم
تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت
أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا
على الله فإنه المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقوا ربهم
فيخاصمون طاردهم عنده أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ولكني أراكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله
يدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف
الإيمان ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن الله خزائن رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي ولا
أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا أو حتى أعلم
أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ولا أقول إني
ملك حتى تقول ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم ولا أقول في شأن من
استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله
أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى إذا
عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية
من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد
جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا فأطلته أو أتيت بأنواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن
كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم به الله
إن شاء عاجلا أو آجلا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب أو الهرب منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت

ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة جواب قوله **ان كان الله يريد ان يغويكم** وتقدير الكلام ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك يقول الفقهاء لو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل
وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده باطل وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى
الفصيل اذا بشم فهلك **هو ربكم** خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته **واليه ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم **ام**
يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع **وانا بريء مما تجرمون**
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي **واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا**
تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء **واصنع**
الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل **ووحينا** اليك كيف تصنعها **ولا تخاطبني**
في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم **انهم مغرقون** محكوم عليهم
بالاغراق فلا سبيل الى كفه **ويصنع الفلك** حكاية حال ماضية **وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا**
منه استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون
ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا **قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون**
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال **فسوف تعلمون من يأتيه**
عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق **ويحل عليه** وينزل عليه او يحل عليه حلول الدين الذي لا
انفكاك عنه **عذاب مقيم** دائم وهو عذاب النار **حتى اذا جاء امرنا** غاية لقوله ويصنع الفلك وما
بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام **وفار التنور** نبع الماء فيه وارتفع كالقدر
تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند
او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها **قلنا احمل فيها** في السفينة
من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها **زوجين اثنين** ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنفين ذكر وانثى **واهلك** عطف على زوجين او اثنين
والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم **الا من سبق عليه القول** بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين **ومن آمن** والمؤمنين من غيرهم **وما آمن معه الا قليل** قيل كانوا تسعة و
سبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من
غيرهم روي انه صلى الله عليه وسلم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس

وفي اعلاها الطير **وقال اركبوا فيها** اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في
الارض **بسم الله مجريها ومرسيها** متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين
بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف
محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما
المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي
اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال
بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ
حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها
بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها بلفظ الفاعل صفتين لله **ان ربي**
لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم **وهي تجري بهم** متصل بمحذوف دل عليه
اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها **في موج كالجبال** في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق **و**
نادى نوح ابنه كنعان وقرأ علي ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان
لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف **وكان في معزل** عزل فيه نفسه عن ابيه او دينه مفعل للمكان من
عزل عنه اذا ابعد **يا بني اركب معنا** في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في
جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في موضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل
وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواة في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما **ولا تكن مع الكافرين** في الدين والانعزال **قال**
سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني **قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم** وهو الله
تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم
العائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية
وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه **وحال بينهما الموج** بين نوح وابنه او بين ابنه
والجبل **فكان من المغرقين** فصار من المهلكين بالماء **وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي**
نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر
المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه

والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكاً
لهم يقال بعد بعداً وبعداً اذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء
والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين مستغن عن ذكره اذ لا يذهب
الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد
نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فان النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده
حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء
قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم
من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر و
اشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته
ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل
الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي
ويعقوب انه عمل اي عمل عملاً غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما
سمى نداءه سؤالاً لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفساراً لمانع الانجاز في
حقه وانما سماه جهلاً وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت
نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم بالاعلى صحته والا تغفر لي
ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالاً قيل يا نوح
اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلماً من المكاره من جهتنا او مسلماً عليك وبركات عليك
ومباركاً عليك او زيادات في نسلك حتى صار ادماً ثانياً وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي
الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امماً لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى
امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح

ولوط وشعيب

ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء
الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر و
من انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة
عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا
انت وقومك بها وذكرها تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد
منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور ان انتم الا
مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري
الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير
انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم
قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع و
عمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان و
التوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين
على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك
حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك
ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها
وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال
اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا
اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان الهتهم التي هي
جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير
من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا

بعد ما اياه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لن تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده
ولا تقدرون ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا وهو مالك
لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم انه
على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما
ارسلت به اليكم فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما
ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما
آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا
يعذرنى ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم ويستخلف اسقط النون منه ان ربى
على كل شئ حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا تغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن
ان يضره شئ ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان
المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم
جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى
رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اى جعلت اللعنة تابعة
لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف
الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل بهم بسبب ما حكى
عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد
وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى
ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض
هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم
ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنون فيها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم

فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخائل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور
وان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك [illegible]
يعبد آباؤنا الحال الماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرى عن الاوثان
مريب موقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربى بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتانى منه رحمة
نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذابه ان عصيته فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به
فما تزيدوننى اذن باستتباعكم اياى غير تخسير غير ان تخسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه او
فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب على الحال
وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل فى ارض الله ترع
نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم
لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا
ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجراء
مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له افى بك
فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى يومئذ
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من
المضاف اليه ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف كأن لم يغنوا
فيها الا ان ثمود كفروا ربهم ونونه ابو بكر هنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير و
نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص فى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا
ابرهيم يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد
وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام اى امركم او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم
وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما
ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجىء به او فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوى با
لرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم

لا تصل إليه لا يمدون إليه أيديهم **نكرهم وأوجس منهم خيفة** أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا
به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والإيجاس الإدراك وقيل الإضمار **قالوا** لما أحسوا منه
أثر الخوف **لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط** إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب وإنما لم نمد إليه أيدينا
لأنا لا نأكل **وامرأته قائمة** وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤوسهم للخدمة **فضحكت** سرورا بزوال
الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو إصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب
ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها
أن تحلما ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**
نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب
وقيل إنه معطوف على موضع بإسحاق أو على لفظ إسحاق وفتحته للجر فإنه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين
ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء
ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا يكون إضافته إلى إسحاق ليس من حيث إن يعقوب وراءه بل من حيث إنه وراء إبراهيم
من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا
فسميا به وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها ولأنها كانت عقيمة حريصة
على الولد **قالت يا ويلتى** يا عجبا وأصله في الشر فأطلق في كل أمر فظيع وقرئ بالياء على الأصل **أألد**
وأنا عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين **وهذا بعلي** زوجي وأصله القائم بالأمر **شيخا** ابن مائة أو
مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل **إن هذا لشيء عجيب** يعني الولد من هرمين وهو
استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك **قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته**
عليكم أهل البيت منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت
وشابت في ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر
لنا أيتها العصابة **إنه حميد** فاعل ما يستوجب به الحمد **مجيد** كثير الخير والإحسان **فلما ذهب**
عن إبراهيم الروع ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم **وجاءته البشرى** بدل الروع
يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها لوطا وهو إما جواب لما جيء
به مضارعا على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل
اجترأ على خطابنا أو شرع في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا **إن إبراهيم**
لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه **أواه** كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس **منيب**

راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه **يا إبراهيم** على إرادة
القول أي قالت الملائكة يا إبراهيم **أعرض عن هذا** الجدال **إنه قد جاء أمر ربك** قدره بمقتضى قضائه
الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم **وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** مصروف بجدال ولا دعاء ولا
غير ذلك **ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم** ساءه مجيئهم لأنهم جاءوا في صورة غلمان فظن أنهم أناس
فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم **وضاق بهم ذرعا** وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن
شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه **وقال هذا يوم عصيب** شديد من عصبه
إذا شده **وجاءه قومه يهرعون إليه** يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت **كانوا يعملون السيئات** الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى
جاءوا يهرعون لها مجاهرين **قال يا قوم هؤلاء بناتي** فدى بهن أضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي
فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه
شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو إظهارا لشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم **هن أطهر لكم** أنظف فعلا أو أقل فحشا كقولك الميتة
أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على أنه خبر بناتي كقولك هذا أخي هو ولا فصل فإنه لا
يقع بين الحال وصاحبها **فاتقوا الله** بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تفضحوني من الخزي
أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء **في ضيفي** في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه **أليس منكم رجل**
رشيد يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** من حاجة
وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران **قال لو أن لي بكم قوة** لو قويت بنفسي على دفعكم **أو آوي**
إلى ركن شديد إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أويا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب **قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**
لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم
فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط سحرة **فأسر بأهلك** بالقطع من الإسراء
وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى **بقطع من الليل** بطائفة منه **ولا يلتفت منكم**
أحد ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط **إلا امرأتك** استثناء من قوله فأسر
بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا إنما يصح على تأويل الالتفات

المخالفة لها فتسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع على البدل من أحد
ولا يحسن جعل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والأولى جعل
الاستثناء في القراءتين من قوله لا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه إلا قليل ولا بعد أن يكون أكثر القراءة
على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحاً ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع إن موعدهم
الصبح كأنه علة الأمر بالإسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما
جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها
فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها أي الملائكة المأمورون به فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً
للأمر فإنه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها على المدن أو على شذاذها حجارة من سجيل
من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به
وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت لامه نوناً منضود نضد معداً لعذابهم أو نضد في الإرسال
يتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة
ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين
ببعيد فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سأل
جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل
الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان
وإلى مدين أخاهم شعيباً أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال أمرهم بالتوحيد أولاً فإنه ملاك
الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً عليها لا أن تنقصوا حقوقهم
أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة النهي وإني أخاف عليكم عذاب يوم
محيط لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو
عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف
بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان

فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم
بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن
العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات
والعثي السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر وقيل معناه
ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه
عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة
لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما أنا عليكم
بحفيظ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت
حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك
أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام أجابوا به أمره إياهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلاته
والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلاة ولذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الإفراد والمعنى أصلاتك تأمرك
بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره أو أن نفعل في أموالنا
ما نشاء عطف على ما أي وأن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء وقيل كان ينهاهم عن
تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك إنك لأنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال
ذلك قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني
منه رزقاً حسناً إشارة إلى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره
فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في
أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده
وبإعانته بلا كد مني في تحصيله وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي
ما أنهاكم عنه لأستبد به فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيداً إلى
كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما أنا عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب
أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها

ع

احق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امركم به وانهاكم عما انهيكم عنه وما مصدرية واقعة موقع
الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه
اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتي ويذره من الله و
الاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة
بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم
مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني
مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى
مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم
يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا
فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم
وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر
والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مما انتم عليه
ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول
كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا
ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة
لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده
التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا
رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل
الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا
عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره
حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد

والتكذيب

والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه
شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما
هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو
كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول
اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم
اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري
مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا
في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم و
صيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتوراة او المعجزات
وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي
ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء
لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما
فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى
الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده
على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد
وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال
يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء
فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين
العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في
امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان

العطا المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة
فى الدارين ذلك اى ذلك النبا من انباء القرى اى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها
قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة
وقيل حال من الها فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا
انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع
عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما
زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى
هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة
حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفايدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص
منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية
لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين فى
الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه انه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة
واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك
الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس
اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون
عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له ان من شانه لا محالة وان الناس يجمعون لما
فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه
باجراء الظرف مجرى المفعول فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا
فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا
لاجل معدود الا لانتها مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها
بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يات اى الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين
او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الساعة على ان يوم بمعنى حين ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة يات بحذف اليا اجتزا عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة
وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتها المحذوف الا باذنه الا باذن الله
كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
فى موقف اخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى

وجبت له

وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف و
ان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها
زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات
الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما
فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون
به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا
من دوامهما الامن قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليها قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما
يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء ربك استثنا من الخلود فى النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثنا لان زوال الحكم يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثنا الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين
ينتقض باعتبار الابتدا كما ينتقض باعتبار الانتها وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال
فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون
عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين
او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى
من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى
الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين ياتى اليوم او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثنا من الخلود على ما عرفت
وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا هنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان
والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التى لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان
المراد من الاستثنا فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب فى التابيد وقرا حمزة
والكسائى وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى

اعطوا عطاء او الظل من الجنة فلا تك في مرية في شك بعد ما انزل عليك من مآل امر الناس
مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك
فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف
لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا
لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما
اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم
بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب
موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام
الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وحمزة
وحفص لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت
اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وعلى ان
ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء وان خفي فاستقم
كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين
التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا عن الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع
كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي ومن تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا
ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية
دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى
الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم و
استدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك

فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه و
الانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد
طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على
البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون من العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله
معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار
غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغدوة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول
النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسرة في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن
السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك
اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا
على ان الصلاة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون
من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على
انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية بمعنى المرة من بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن
الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما
انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين
كأنه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك
النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال
ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك و

أهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في
حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه
تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما
هو أصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم إن كان الضمير للناس فالإشارة إلى الاختلاف
واللام للعاقبة أو إليه وإلى الرحمة وإن كان لمن فإلى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده أو قوله للملائكة
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا
وكل نبأ نقص عليك من أنباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا أو بدل منه
وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء
الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين إشارة إلى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
على حالكم إنا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل على
أمثالكم ولله غيب السموات والأرض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا
محالة أمرهم وأمرك إليه فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وفي تقديم الأمر بالعبادة على التوكل تنبيه
على أنه ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون أنت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود
وصالح وشعيب ولوط وإبرهيم وموسى عليهم السلام وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أي تلك الآيات
آيات السورة الظاهر أمرها في الإعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله أو لليهود
ما سألوا إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن
قصة يوسف فنزلت إنا أنزلناه أي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لأنه في الأصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه إما توطئة للحال التي هي
عربيا أو حال لأنه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفي كل

ذلك خلاف

ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لإنزاله بهذه الصفة لها وحال من الضمير فيها وحال بعد حال وفي
أي أنزلناه مجموعا أو مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه
كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإيحاء نحن نقص عليك أحسن القصص أحسن الاقتصاص
لأنا نقص على أبدع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقص والسلب واشتقاقه من قص أثره إذا اتبعه بما أوحينا بإيحائنا إليك هذا القرآن يعني
السورة ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر وإن كنت من قبله لمن
الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وإن هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص إن جعل مفعولا بدل الاشتمال أو منصوب
بإضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على أنه مضارع
بني للمفعول أو الفاعل من آسف لأن المشهورة شهدت بعجمته لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبرهيم عنه
عليهم السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبرهيم يا أبت أصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لأنها عوض عن حرف
يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها أو لأن أصله يا أبتا فحذف الألف وبقي الفتحة وإنما
جاز يا أبتا ولم يجز يا أبتي لأنه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وإنما لم تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب إني
رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياي أحد عشر كوكبا
والشمس والقمر روي عن جابر أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أخبرني يا محمد
عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال إذا أخبرتك هل تسلم قال نعم
قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها رأيتهم لي
ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة أو لصغر السن لأنه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح
الياء لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لإهلاكك حيلة فهم يعقوب
عليه السلام من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة
المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من
التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك

ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه ثم ترسلها الى الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم ان كان شديد المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه
وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله
بقوله **ان الشيطان للانسان عدو مبين** ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا فلا يالو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد **وكذلك** اي كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز
وكمال نفس **يجتبيك ربك** للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك
ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** من تعبير الرؤيا
لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض
كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل **ويتم نعمته
عليك** بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة **وعلى ال يعقوب** يريد به سائر بنيه ولعله استدل على
نبوتهم بضوء الكواكب او نسله **كما اتمها على ابويك** بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم **من قبل** من قبلك او من قبل هذا الوقت **ابرهيم و
اسحق** عطف بيان لابويك **ان ربك عليم** بمن يستحق الاجتباء **حكيم** يفعل الاشيا كما ينبغي **لقد كان
في يوسف واخوته** اي في قصتهم **ايات** دلايل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير
اية **للسائلين** لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة **اذ قالوا ليوسف واخوه** بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من
الطرفين **احب الى ابينا منا** وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله
بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف **ونحن عصبة** والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا
لفي ضلال مبين** لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من
المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم
على التعرض له **اقتلوا يوسف** من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا
يوسف وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضي به الاخرون **او اطرحوه ارضا** منكورة بعيدة من
العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصب كالظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** جواب الامر
والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد

وتكونوا من

وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان **من بعده** بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او
طرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه
او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** يعني يهوذا وكان احسنهم
فيه رايا وقيل روبيل **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم **والقوه في غيابت الجب** في قعره سمي بها
لغيبوبته عن عين الناظر وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات
وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه **قالوا يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف** لم تخافنا عليه **وانا له لناصحون** ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به
استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الادغام
من كلتين وتنبا بكسر التا **ارسله معنا غدا** الى الصحراء **يرتع** يتسع في اكل الفواكه ونحوها **و
يلعب** بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه
وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من
ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **وانا له لحافظون** ان يناله مكروه **قال
اني ليحزنني ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه **واخاف ان ياكله الذئب**
لان الارض كانت مذابة وقيل راى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على
الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا والباقون بترك
الهمزة واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه **لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اللام موطئة للقسم وجوابه
انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال **فلما
ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب** وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي
قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها
القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي
كما قال **واوحينا اليه** وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى

والانتضال

ثلثة ارباع

عيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلم
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها
بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه **لتنبئنهم بامرهم هذا** لتحدثنهم بما فعلوا بك **وهم**
لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيات وذلك انهم
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه امره ايناسا له
وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك **وجاءو**
اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء
يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا**
نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل **وتركنا**
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا **ولو كنا**
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف **وجاءو على قميصه بدم كذب** اي ذي كذب بمعنى مكذوب
فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وقرئ
كدب بالدال الغير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار
الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق
قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه
فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من
هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك **قال بل سولت لكم انفسكم امرا** اي سهلت لكم و
هونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او
فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق **والله المستعان على**
ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح
وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من
القائه فيه **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي **فادلى دلوه**
فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه **قال يا بشرى هذا غلام** نادى البشرى
بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على
اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش
بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف **واسروه** اي الوارد
واصحابه من ساير الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير

لاخوة يوسف وذلك لان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يوما فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة
فقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه **بضاعة** نصب على
الحال اي اخفوه متاعا للتجارة **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم
واخيهم **وشروه** وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته **بثمن بخس** مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم بدل من الثمن **معدودة** قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين **وكانوا فيه** في يوسف **من الزاهدين** الراغبين عنه والضمير في
كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشي متهاون به خايف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه
متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول **وقال الذي اشتراه من مصر** وهو العزيز الذي كان على
خزاين مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان ابن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف و
مات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله تعالى **ولقد جاءكم يوسف من قبل**
بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان وهو ابن ثلثين
سنة واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما
اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهبا **لامراته** راعيل او زليخا **اكرمي مثواه** اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني
تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** نتبناه
وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** وكما مكنا محبته في
قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها **ولنعلمه من تاويل**
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه
الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على
الحوادث الكاينة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كما فعل لسنيه **والله غالب على امره** لا يرده
شي ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده الله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطايف صنعه وخفايا لطفه **ولما بلغ اشده**
منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه

بلوغ الحلم آتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان
امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا
جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او
للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على
الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح
وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام
من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير
احسن تعهدي فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى اي انه خالقي واحسن
منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا
ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها
والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة
الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل
من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله
لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل رأى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم
لطاعته وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله و
استبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف
فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد
قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه
تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا
لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عم لها

وقيل ابن

وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون
الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد
احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل
ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف
وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان
هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان
كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه
ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من
خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في
مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك
واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى
وصل الى فؤادها حبا نصب على التمييز لصرفه الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف
او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة
فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن
سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع
ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين
نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب

ترقا ولذلك نوى عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكا طعام
يحز حزا كان القاطع يتكى عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح
ومتكا بمعنى الاترج او ما يقطع من متك الشى اذا بتكه ومتكا من تكى يتكى اذا اتكى وقالت اخرج
عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأيت
يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدار وقيل اكبرن بمعنى
حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف
اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى
الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها
له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت
الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام
للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله
منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية
الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل
ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى ان هذا الا ملك
كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان
جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فهو
ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فى الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه
بما عاينتن لعذرتننى او فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار
اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن
يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به فحذف الجار او امرى
بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونن من الصاغرين من الاذلاء
وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف
خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بفتح السين على المصدر احب الى مما
يدعوننى اليه اى آثر عندى من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس
وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها
او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية

ولذلك رد

ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عنى وان لم تصرف
كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن
او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه
فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة
حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر
للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت
زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن سبع
سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة
هذيل ودخل معه السجن فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد
الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعنى الشرابى انى
اراني اى ارى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤول اليه
وقال الآخر اى الخباز انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا
بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا
ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اى بتأويل
ما قصصتما او بتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد
ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة
الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار
بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اى ذلك التأويل ذلكما مما
علمنى ربى بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن او التنجيم انى تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة
اولئك واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت
النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه

حتى يعرفوا فيقتبسوا وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اى شيء كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى
وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبى السجن اى يا ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد القهار
المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم
اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق
لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا
تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم
وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق
الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى
لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم
يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود
الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا
قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما و
لذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذى ظن
انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الظن اليقين
اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف
ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما
لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة

لكنه لا يليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من
البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه
رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عليه من حال البقرات
واجرى السمان على المميز دون المميز وهو السبع لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر
التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه
نقيضه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور
وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل
لما تأخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه
قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اى هذه اضغاث وهى تخاليطها
جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة
فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين يريد بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل
للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله وقال الذى نجا منهما من
صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة
طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامة اى نسيان يقال امه يامه
امها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اى الى من عنده
علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما
وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا
صاحبه افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك لعلى ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى
اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما
لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون
سبع سنين دابا اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر
باضمار فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب فى

العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله
لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك
السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم
لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون
لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون او يغاثون من القحط من
الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني
للفاعل منه اي يغيثهم او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما
فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال
فسله ما بال النسوة ولم يقل فسله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم
حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما
قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق
ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من
قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوأة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء
للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم
يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب
بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه

ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في
خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها
على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم عليه من العصمة والتوفيق وعن
ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبرائيل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة
بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل
الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل
الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس
يوسف واضرابه وقرأ نافع والبزي عن ابن كثير بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي
غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي
فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة
ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم ودعا له
بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها
فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه
منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض
ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله
لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار
انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار
به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر يتبوأ
منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من
نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة
خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه
لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون
المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم
يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم

جميعًا ثم عرض الامر على الملك فقال الراى رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة
ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم
فى حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاءوا
والاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف
المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبيا اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى
عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون
وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه
به ليعلم صدقهم الا ترون انى اوفى الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف وللمضيفين لهم وكان
احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اى ولا تقربونى
ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه
من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا
حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم
فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل
ذلك توسيعا وتفضيلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه
ما يرجعون به لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا
اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائى بالياء على اسناده
الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال
هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امرى اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمنى بحفظه
ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حافظا على التميز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله
والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل

قالوا

قالوا يا ابانا ما نبغى خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغى ماذا
نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب
وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغى على
الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا
ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغى ونمير اهلنا معطوف على محذوف اى ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا
ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كان ما استفهامية فاما اذا كانت
نافية احتمل ذلك ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا
ذلك كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى
الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا
يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر
لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطونى ما
اتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتننى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله
لتأتننى به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان
قوله لتأتننى فى تاويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا
فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب
الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم
ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه السلام فى
عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ
مما قضى عليكم بما اشرت به عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى
عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف
الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد ما كان

يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا وأخذ بنيامين
بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب إلا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع
أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا قضاها أظهرها ووصى بها وإنه لذو
علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذا قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على
الطعام أو في المنزل روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف
حيا لجلس معي فأجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات معه عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون
في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
على حذف جواب لما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير
إنكم لسارقون لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضاء بنيامين
وقيل معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو إنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال
لأنها تعير أي تتردد فقيل لأصحابها كقوله يا خيل اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف فعل
ما فعل ببيض تجوزا لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون أي
شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته
إذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ
من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وأنا به زعيم كفيل أؤديه إلى من رده وفيه
دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الواو
مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على
براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء
السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان
شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها
على أن من شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد

في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف
لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها أي السقاية أو
الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك أي مثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ملك
مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد إلا أن يشاء الله أن
يجعل ذلك الحكم الملك فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله
وإذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بإثبات
التنوين وفوق كل ذي علم عليم أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لو كان ذا علم لكان
فوقه عليم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام فيهم ولأن العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ لغة ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق
بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم وكانت
تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره
وألقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطى السائل فأسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه وقيل إنها كناية بشريطة
التفسير يفسرها قوله قال أنتم شر مكانا فإنه بدل من أسرها والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة
في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر إذ
المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن والله أعلم بما تصفون وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون قالوا
يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ
أحدنا مكانه أي بدله عبدا أو رهينا فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به إنا نراك من
المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ
إلا من وجدنا متاعنا عنده فإن أخذ غيره ظلم على فتويكم فلو أخذنا أحدكم مكانه إنا إذا لظالمون
في مذهبكم هذا وإن مراده أن الله أذن في أخذ من وجدنا الصاع عنده في رحله لمصلحة ورضاه
عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف وإجابته إياهم وزيادة السين
والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه أنجية كندي وأندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل أو في الرأي وهو شمعون وقيل يهودا
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما جعل حلفهم بالله موثقا منه

لامر باذن منه او تاكيد برحمته ومن قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه
وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر
لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى
ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي
ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل
ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غيظه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا بان راينا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق
ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب
به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى
ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم
وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت لكم انفسكم اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم
اخوهم قال بل سولت اي سهلت وزينت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك
ان السارق يوخذ بسرقته فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك
والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث
رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما
دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي
وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده

ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون
فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله
وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا
اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ
ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا وان قطعوا راسي لديك
واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون
حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل
مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون
من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني هي الذي لا يقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله
لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه
ولا يدع الملتجئ اليه واعلم من الله ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل
راى ملك الموت في المنام فساله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له
اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس
ولا تياسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها
العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر وجئنا شدة الجوع
ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط
وسويق المقل فاوف لنا الكيل وتصدق علينا فاتم لنا الكيل برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
عليه وعليهم السلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه
قوله عليه السلم في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب الله
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف
حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما
قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف
واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين

قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بإن واللام وقرأه ابن كثير على الإيجاب قيل
عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره
تعريفا لنفسه وتفخيما لشأنه وإدخالا له في قوله قد من الله علينا أي بالسلامة والكرامة إنه
من يتق أي يتق الله ويصبر على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وإن كنا لخاطئين والحال أن شأننا إنا كنا مذنبين بما
فعلنا معك قال لا تثريب عليكم اليوم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش والأمعاء
كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه يغفر الله لكم متعلق بالتثريب
أو بالمقدر للجار الواقع خبرا لا والمعنى لا أثربكم اليوم الذي هو مظنة فكيف بسائر الأيام أو بيغفر
يغفر الله لكم لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو أرحم الراحمين فإنه
يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرمه أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا
بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال إن أهل مصر كانوا ينظرون
إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت
في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي
كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا يرجع بصيرا
أي ذا بصر وأتوني أنتم وأبي بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت
العير من مصر وخرجت من عمرانها قال أبوهم لمن حضره إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق
بقميصه من ريحه حين أقبل إليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا
محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب قالوا تالله أي الحاضرون إنك لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه
فلما أن جاء البشير يهودا روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه
ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه فارتد بصيرا
عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال
الفرج وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا
إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة أخره إلى السحر أو إلى صلوة

أخره إلى السحر أو إلى صلوة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه
عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك
وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم قال سوف
استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه إليه رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك وأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى إليه أبويه ضم إليه أباه
وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل أو لأن
يعقوب تزوجها بعد أمه والرابة تدعى أما وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من القحط وأصناف المكاره والمشيئة
متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع أبويه
على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فإن السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه خروا
لأجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها أيام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد أحسن بي
إذ أخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لأنهم كانوا
أصحاب المواشي وأهل البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة
إذا نخسها وحملها على الجري إن ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا وتنفذ
فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته على وجه الحكمة روي أن يوسف طاف بأبيه عليهما السلام في خزائنه فلما أدخله خزينة القرطاس
قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال
أو ما تسأله قال أنت أبسط مني إليه فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب
فقال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل
الأحاديث من الكتب والرؤيا ومن أيضا للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل فاطر السماوات
والأرض مبدعهما وانتصابه على أنه صفة للمنادى أو منادى برأسه أنت وليي
ناصري في الدنيا والآخرة أو متولي أمري فيهما أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما وألحقني
بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي أن يعقوب أقام معه أربعا
وعشرين سنة ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش
بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه إلى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم

اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه على الانباء او القران من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلايل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده يمرون عليها وهم عنها على الايات ويشاهدونها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا ومن اتبعني تاكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء وما انا من المشركين كما يوحى اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القران وحمزة والكسائي في سورة الانبياء الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة خير ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة للذين اتقوا

في السموات والارض

وما ارسلنا من قبلك

الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبتهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان ينجوا لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيين لقد كان في قصصهم عبرة في قصص الانبياء واممهم او ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

في قصص يوسف واخوته او لاولي الالباب
لذوي العقول المبراة من شوائب الالف
والركون الى الحس

سورة الرعد مدنية اربعون وخمس اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت دليله بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا

وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد ترونها اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود
كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتكم السموات كذلك
وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجرام المساوية لها في حقيقة الجرمية
واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على
بعض بارادة وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر
ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري
لاجل مسمى لمدة معينة تتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت و
اذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك
يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء و
تدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام
وتتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع
راسية والتاء للتانيث على انها صفة جبل او للمبالغة وانهارا ومن كل الثمرات ضمها الى الجبال وعلق بهما
فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة و
بعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة
متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد
الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على
وجنات وزرع ونخيل صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص
بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون
الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي

يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب
يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك
كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من
حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم
او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا
بقدرته على البعث واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون
يوم القيامة ويستعجلونك لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار بالسيئة
قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب
الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول
مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال
للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع
الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص
الظلم بالصغائر والمكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه
واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى من قلب العصا حية واحياء الموتى انما انت منذر
ولكل قوم هاد مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات
لا بما يقترح عليك من جنس المعجزات نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم
الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل
من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر
على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمل انه
على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في
الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة
روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف

ولهم

الاغلال في اعناقهم

سنتان

اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراة ولدت بطونا في كل بطن
خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال
تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على
المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء
خلقناه بقدر فان الله تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه
تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق في التنوين بالوصل فاذا وقف بالياء
في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم
الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه
شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم
من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار
بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية
متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له سرا وجهرا او مستخف او سارب معقبات ملئكة تعتقب في
حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله
فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احد القافين من بين يديه ومن خلفه
من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار
له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله
صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء
الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من
وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراده مستحيل هو الذي يريكم البرق خوفا
من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او
التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى
المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم
المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع
ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه

على وحدانية

على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب والملائكة من خيفته من خيفة الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلوات الله عليه فيما يصفه به من كمال
القدرة والعلم والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل
وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا
لبيد وفدا على رسول الله عليه الصلوة والسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه
ليضربه بالسيف فتنبه الرسول صلوات الرحمن عليه وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد
صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في
بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصل المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى
القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من
حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد
الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره
او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة
لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله
عليه وآله وبيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون من دونه اي والاصنام الذين يدعوهم
المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه
عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه
الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر
على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها
بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما
دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة
والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد بانقيادهم

ما

لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقيادا لاحداث ما اراده فيهم ... ونصب طوعا
وكرها بالحال او العلة وقوله **بالغدو والآصال** ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع
اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في
الاصيل **قل من رب السموات والارض** خالقهما ومتولي امرهما **قل الله** اجب عنهم بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به **قل افاتخذتم من دونه** ثم الزمهم بذلك
لان اتخاذهم منكر بعيد من مقتضى العقل **اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا** لا يقدرون ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم **قل هل يستوي الاعمى والبصير** المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على
احوالكم **ام هل تستوي الظلمات والنور** الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء **ام جعلوا لله
شركاء** بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله **خلقوا كخلقه** صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق كل شيء** لا خالق
غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل
على قوله **وهو الواحد القهار** المتوحد بالالوهية الغالب على كل شيء **انزل من السماء ماء** من السحاب او من
جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه **فسالت اودية** انهار جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب
بين البقاع **بقدرها** بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل
السيل زبدا** رفعه والزبد وضر الغليان **رابيا** عاليا **ومما توقدون عليه في النار** يعم
الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه **ابتغاء** طلب
حلية او متاع كالاواني وآلات الحرث والحرب والمقصود من ذلك بيان منافعها **زبد
مثله** اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به **كذلك يضرب الله الحق والباطل** مثل الحق و
الباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في

عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة
المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله
فاما الزبد فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا
والمعنى واحد **واما ما ينفع الناس** كالماء وخلاصة الفلز **فيمكث في الارض** ينتفع به اهلها
كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات **للذين استجابوا** للمؤمنين الذين استجابوا **لربهم الحسنى**
الاستجابة الحسنى **والذين لم يستجيبوا له** وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل
لبيان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدا خبره **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** وهو على الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير
المستجيبين **اولئك لهم سوء الحساب** وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شيء **ومأواهم** مرجعهم **جهنم وبئس المهاد** المستقر والمخصوص بالذم محذوف **افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق** فيستجيب **كمن هو اعمى** عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان تقع شبهة
في تشابههما بعدما ضرب من المثل **انما يتذكر اولوا الالباب** ذوو العقول المبراة عن مشايعة
الالف ومعارضة الوهم **الذين يوفون بعهد الله** ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته
حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص **والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل** من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان
بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس **ويخشون ربهم** وعيده عموما **ويخافون
سوء الحساب** خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا **والذين صبروا** على ما تكره النفس ويخالفه
الهوى **ابتغاء وجه ربهم** طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما **واقاموا الصلوة** المفروضة **وانفقوا مما رزقناهم**
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه **سرا** لمن لم يعرف بالمال **وعلانية** لمن عرف به **ويدرؤن
بالحسنة السيئة** ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها **اولئك لهم
عقبى الدار** عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت
بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات
جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره **يدخلونها** والعدن الاقامة اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة **ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم** عطف على المرفوع في
يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم
يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم

والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب** من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين **سلام عليكم بما صبرتم** بشارة بدوام السلامة بما صبرتم
متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية
فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره
والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلي الاولين **ومن بعد ميثاقه** من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن **اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** عذاب
جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسعه و
يضيقه **وفرحوا** اى اهل مكة **بالحياة الدنيا** بما بسط لهم في الدنيا **وما الحياة الدنيا** في
جنب الاخرة **الا متاع** الا متعة لا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع
الزوال **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء** باقتراح الايات
بعد ظهور المعجزات **ويهدي اليه من اناب** من اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب
يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء على صفتكم فلا
سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه بما جئت به بل بادنى منه من الايات **الذين
آمنوا** بدل من من او خبر مبتدا محذوف **وتطمئن قلوبهم بذكر الله** انسا واعتمادا عليه ورجاء منه
او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني
القران الذي هو اقوى المعجزات **الا بذكر الله تطمئن القلوب** تسكن اليه **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها او مصدر لطاب كبشرى و
زلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ **وحسن مآب** بالنصب **كذلك** مثل ذلك يعني
ارسال الرسل قبلك **ارسلناك في امة قد خلت من قبلها** امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
اليها **لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك** لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك **وهم يكفرون بالرحمن**
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم
وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن **قل هو ربي** اي الرحمن
خالقي ومتولي امري **لا اله الا هو** لا مستحق للعبادة سواه **عليه توكلت** في نصرتي عليكم
واليه متاب مرجعي ومرجعكم **ولو ان قرآنا سيرت به الجبال** شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها **او قطعت به الارض**

تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** فتقرؤه او
تسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما
آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك
فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها
ونتجر الى الشام او ابعث لنا قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم
خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي **بل لله الامر جميعا** بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما
تضمنه لو من معنى النفي اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك
لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله **افلم ييأس الذين آمنوا** عن ايمانهم مع ما رأوا من
احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرؤا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميئوس عنه لا يكون
الا معلوما ولذلك علقه بقوله **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا** فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة
باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** من الكفر وسوء الاعمال **قارعة** داهية
تقرعهم وتقلقهم **او تحل قريبا من دارهم** فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان لا يزال يبعث السرايا
فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلوات الله عليه وآله
فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية **حتى يأتي وعد الله** الموت او القيامة او فتح مكة
ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه **ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين** كفروا ثم تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اى عقابي اياهم **افمن هو قائم على كل نفس** رقيب عليه
بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر
محذوف تقديره كمن ليس كذلك **وجعلوا لله شركاء** استئناف او عطف على كسبت ان جعل ما
مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله **قل سموهم** تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم وانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة **ام تنبئونه** بل اتنبئونه بالتخفيف **بما لا يعلم
في الارض** بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم

عن الايمان م

بكلام أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز
بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطيلا ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن
السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصَدوا بالفتح اي صدوا الناس عن الايمان
وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب
في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته
ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي
مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل
خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة
أكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير
وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من
أهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية
باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما
أمرت أن اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو
العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة
الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه
أدعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين
الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقائع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العذاب عنك وهو حسم لاطماعهم
وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية

الكتاب م

انزلنا

نساء واولادا

نساء واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية
تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد
حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه
وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة و
الكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او
توفيناك قبله فإنما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه أولم يروا أنا نأتي الأرض ارض الكفرة
ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال وعلى الكفرة الادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال
اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في
الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه
القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل
على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
والكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من
النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ وبالذي
لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده من عنده بالكسر وعلم الكتاب على
الاول مرتفع بالظرف فانه المعتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني
وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث
يوم القيمة من الموفين بعهد الله سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

توفيناك

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من
الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه
مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي
له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتداء وخبر او الله خبر مبتداء محذوف و
الذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل
للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض
الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده
وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية
ويبغونها عوجا يبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير و
الموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتداء خبره
اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوا عنه بيسر وسرعة ثم
ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل
ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها
والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن و
هو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم وان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك
يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبيين للعرب فيضل الله
من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم
الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته

ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج
فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله
بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك
لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه
بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ
انجيكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت
مستقرة غير صلة النعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله
بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح
والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم او استعمالهم بالاعمال
الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه
ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى و
واذ تاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح
بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه جار مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم
حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملئكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران
الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض
والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا
للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على
ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

قيل الايدي بمعنى الايادي اى ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم و
الشرايع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا
إنا كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الايمان وقرئ
تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء
قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في
الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك
بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام
المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
جئ بمعنى في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه
المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين
مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى أجل مسمى
الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم
تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون أن
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم و
استحقاقكم لهذه المرتبة او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج
اقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة
فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة
الله وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا
تستبد باستطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر للاشعار
بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله اي اي
عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو
بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم
وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما
استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا

اولتعودن

أو لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو
بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه
فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار القول
او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء
اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي
عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء وقيل للفريقين
قيل للكفرة فانهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن
وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند له
فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي
من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها
ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف
جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف
يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت
من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه من بين يديه عذاب
غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس
الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاهم فلم يسقهم ووعد
لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ
خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله أعمالهم كرماد وهي على
الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف
به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة

الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة ان الله خلق السموات والارض بالحق بالوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصورة وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء والاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار

خطيبا في

خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم واشركت منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملئكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملئكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون اولى مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها كل حين اقته الله لاثمارها تعطي ثمرها باذن ربها بارادة خالقها

اعطيتك

حق

وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه
تصوير للمعاني وادناها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استؤصلت
واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او
دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك
مرفوعا والشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة
فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم الى القيمة وروي انه ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان من ربك وما دينك وما
نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما
يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا
اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم
ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا
يوم بدر فصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن علي وعمر هما الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا
قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها
يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا
ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد
لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان كلا
كاتيان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر

مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا
الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن
امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا
ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب
بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية
او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه
ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي
خلق السموات والارض مبتدا وخبره وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول اخرج ومن الثمرات بيان له حال
ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما و
اصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتيكم من كل
ما سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما
في قدرة الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال
وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال
اي واتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا
عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا ذا
امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره
امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني بعدني واياهم وبني ان نعبد الاصنام واجعلنا

منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على
ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته
وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها
ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله
غرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني
فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره
حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي
او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم اي
بعض يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به
او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه
ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روي ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها
فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيرا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه
فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البائنا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام
لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثم والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله
ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو
قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك
القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ افدة وهو يحتمل ان تكون مقلوبا افئدة كادر في ادور وان
يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان
كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد بين بين تسرع اليهم شوقا وودادا
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوي اليهم شوقا وودا وقرئ تهوي
على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوي اذا احب وتعديته بالى لتضمين
معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب
الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخر

في يوم واحد

في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية لك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك
والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجا الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي
لي وانا كبير ايس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية على الكبر
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء
اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف
الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه
الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة
لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء
عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او تقبل عبادتي
ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذره في استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا وللمؤ
منين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف
المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم
لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم ليوم يؤخر عذابهم
وعن ابي عمرو بالنون تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه
هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية
عن الحق وانذر الناس يوم يا محمد ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام
عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا او امهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار
ما نؤمن بك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب الامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن

الظالمون

واكن من الصالحين **اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال** على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ
الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم
اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا
ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله **واقسموا بالله جهد**
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم **بالكفر والمعاصي** كعاد وثمود
واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت
الدار **وضربنا لكم الامثال** بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وقد مكروا مكرهم من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما
فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة **وان كان مكرهم** المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل **لتزول منه** ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما
يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له **الجبال** في العظم والشدة ومكتوب عنده مسوى لازالة
الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله ما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرئ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها
المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح
لام كي وقرئ وان كاد مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله
ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب
لا يماكر قادر لا يدافع **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم يأتيهم
او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان
لا يعمل فيما بعده **والسموات** عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون
في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير يدل عليه قوله **بدلناهم جلودا غيرها** وفي الصفة كقولك
بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات و
الآية تحتملها فعن علي عليه السلام تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود انه يحشر الناس على
ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل
عليه ما روى ابو هريرة انه ع م قال تبدل الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة

ولا يبعد

ولا يبعد على الثاني ان يجعل الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وقوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين **وبرزوا لله** من اجداثهم **الواحد القهار**
لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار **وترى المجرمين يومئذ مقرنين** قرن بعضهم على بعض بحسب مشاركتهم في العقائد
والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة
والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم
على ما اقترفته ايديهم وارجلهم متعلق بمقرنين او حال من ضميرهم والصفد القيد وقيل
في الاصفاد
الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله
الشد **سرابيلهم** قمصانهم **من قطران** وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار
حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئة الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام
وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال
وتغشى وجوههم النار
من الضمير في مقرنين وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم
التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة من المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم **ليجزي الله**
كل نفس مجرمة **ما كسبت ان الله سريع الحساب** او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا **هذا بلاغ للناس**
لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله لينذروا به كفاية لهم في الموعظة **ولينذروا** عطف
على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق
بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح من نذر به اذا علمه واستعد له **انما هو اله**
واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه **وليذكر اولو**
الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم ان الله سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد
وهي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى

كمالها التوحيد واستصلاح القوة التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
وعدد من لم يعبدها

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم
اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا تبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما
بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف
وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان
المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس
من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان
يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة وان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلعم من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار
التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة
واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها
صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما
يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه
وآله على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي
القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على
تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالتاء ونصب
الملائكة على ان الضمير لله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة
وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضاه

حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة
فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمة الله بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين
اذن جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان
جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقد
ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله
الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلوات الله عليه وآله وما للحال لا يدخل الا مضارعا
بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك
ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى
يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا
الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة
له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول
بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب
الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم بابا من السماء يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم
مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم فظلوا فيه يعرجون لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف وحيرت
من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور
غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل
اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيآت والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة
مع بساطة السماء وزيناها للناظرين بالاشكال والهيآت البهية للمعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها و
يوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق
السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او
بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما

ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا
يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب آخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من
استرق السمع فتبعه ولحقه فاتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها
في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب
من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون
بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمايل على الشمايل عطف على معايش او
على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان
الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة
الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النباتات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم في
ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على
ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء
المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم
حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض
الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير
من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره
الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس
فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته
لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء
في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون
حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي ونميت بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها
وازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون
اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تاخر فلا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما
يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصف الاول فازدحموا

عليه فنزلت

عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلوات الله عليه وآله فتقدم بعض القوم
لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على
انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة
على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع كل شيء علمه ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل اي يصوت
اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود من طول مجاورة
الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور
كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كان ذا ترع الحماء فصور منها تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت
الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان خلقناه من قبل ابا الجان
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره من نار السموم من قبل
خلق الانسان من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري
فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم
من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذكر وقت قوله
للملئكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته
لنفخ الروح ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه واصل النفخ اجراء الريح في
تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه
القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن
نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا ساجدين امر من
وقع يقع فسجد الملئكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون
مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا
سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن

لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك
روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها
استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من
السماء او الجنة او زمر الملئكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او
شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد و
الابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء
وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن
لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني
فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد
فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة
الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف
واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله لا يموت اول
اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان
خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية
وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا
التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله خلاف وقيل للسببية
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم او بالاضلال عن طريق
الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى
علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن
خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على اولي الالباب ولاغوينهم اجمعين و
لاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من
الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم
لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه
الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي
من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان

الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان
المخلصين المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط
ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او
المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها
بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد
لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية ولان اهلها
سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود و
الثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ
ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم
الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لانه
مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين في جنات من اتباعه في الكفر والفواحش فان
غيرها مكفرة وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهم كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير
آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها بسلام على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين آمنين
او سالما عليكم ونزعنا من الآفات والزوال في الدنيا فالدنيا بما الف بين قلوبهم وفي الجنة
تطييب نفوسهم من الآفات من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب حال من الضمير
في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
وكذا قوله ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون
متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او من الضمير في
متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب
باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده

متقابلين
فيها بمخرجين

وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره
قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله
انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة
نبشرك من البشر بغلام عليم هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار ان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون فان البشارة لا يتصور وقوعها عادة فبشارة
بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع
بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء
قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره
فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته
كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم
وماضيها قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة
ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ذكريا ومريم
او لانهم ديرون في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل يعني قوم لوط لوط انا لمنجوهم اجمعين ان كان استثناء من قوم كان منقطعا
اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال
شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط
منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله الا امرأته قدرنا انها اي مما نعذب به القوم
وهو استثناء اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جرى مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله اذا اتصل استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا
من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا انها لمن الغابرين من الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم
قدرنا ههنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم

ويجوز

ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على
مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء
آل لوط المرسلون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قال انكم قوم منكرون
اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي
توعدتهم به فيمترون فيه قالوا بل جئناك باليقين من عذابهم بما كانوا فيه يمترون فيما اخبرناك به واتيناك
بالحق وانا لصادقون فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيون بوصل الالف من السرى وهما بمعنى فاسر باهلك وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب فانظري في النجوم كم
علينا من قطع ليل بهيم واتبع وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ادبارهم
لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض
فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يلتفت منكم احد وامضوا
الى حيث امركم بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره
المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مبهم يفسره مقطوع مصبحين ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر
على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء يستبشرون قال سدوم ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون باضياف لوط طمعا فيهم واتقوا الله
بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه ولا تخزون في ركوب الفاحشة قالوا
ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء اولم ننهك عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
فيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة
المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي
وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة
هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرائيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها
عالي المدينة او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او
طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين

المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته **وانها لبسبيل**
ان المدينة او القرى **مقيم** ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها **ان في ذلك لآية للمؤمنين** بالله ورسله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة
والايكة الشجرة المتكاثفة **لظالمين** بالاهلاك **فانتقمنا منهم وانهما** يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما او كان ذكر احدهما منبها على الآخر **لبامام مبين** لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به **ولقد كذب اصحاب الحجر** يعني ثمود كذبوا
صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه
من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها **وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها**
يعني بآيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها وما نصب لهم
من الادلة **معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين** من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه **فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا**
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا** خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض **وان الساعة لآتية** فينتقم الله فيها ممن كذبك **فاصفح الصفح الجميل**
ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل منسوخ بآية السيف **ان ربك**
هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم **العليم** بحالك وحالهم فهو حقيق
بان تكل اليه ليحكم بينكم او الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف
عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير **ولقد آتيناك**
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع
وقيل سبع صحائف وهي الاسباع **من المثاني** بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله
بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون
من للتبعيض **والقرآن العظيم** ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان
اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب
بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا

آتيناك

افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت باذرعات سبع قوافل ليهود بني
قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من
هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به **واخفض جناحك للمؤمنين**
وتواضع لهم وارفق بهم **وقل اني انا النذير المبين** انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا
كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون
هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله
يوم بدر او الرهط الذين تقاسموا اي تحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل صفة مصدر محذوف يدل
عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم **الذين جعلوا القرآن عضين** حيث
قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة
واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤون من كتبهم
فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله ولا تمدن الى آخره اعتراض ممد لها
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل اصلها فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره **فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون** من التقسيم او
النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما
مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع **واعرض عن المشركين** فلا تلتفت الى
ما يقولون **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء
النبي عليه الصلوة والسلام والاستهزاء به فقال جبرائيل لرسول الله صلوات الله عليه وآله امرت ان
اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما لاخذه فاصاب عرقا في
عقبه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى انف عدي بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي
الذين يجعلون مع الله الها آخر عاقبة امرهم في الدارين **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من الشرك والطعن في

فسوف يعلمون

القرآن والاستهزاء عليك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك و
ويشغلك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن
لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله
عليه وآله من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقولون فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا
وقوعه فانه لا خير لكم فيه والاخلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن
ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه و
الباقون على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله
فوثب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملئكة بالروح
بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره
عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المجهول المبنى للمفعول من التنزيل من أمره بامره او من اجله على من يشاء
من عباده ان يتخذه رسولا أن أنذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصى بانه لا اله الا
انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح ... او النصب بنزع
الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بوساطة الملئكة وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية وان النبوة عطائية والآيات التى
بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة
والمصلحة ولو كان له شريك يقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار
وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر فى
وجوده وبقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان

من نطفة

بما ولا حس لها ولا حراك سيالا لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق
مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه والانعام خلقها الابل والغنم والبقر وانتصابها بمضمر يفسره
خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له
فيها دفء ما يدفأ به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها
بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان و
تقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى او لان الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعايش واما الاكل
من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين
بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل
ملاء البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون و
تسرحون وصفا له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
ان لم تكن فضلا من ان تحملوها على ظهوركم الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه
ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم
والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها وقيل
هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان
المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل
ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها و
استدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا
ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان
الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا
به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان
مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل
يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك
لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد
او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله

وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء
لهداكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء
وهو الذي انزل من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر
شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه
العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر
يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل
في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصله السوم
وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات بعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على
ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من
تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق
الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام و
الثمار والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة
الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها
لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر
في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع
الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء
فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان
ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذ
كرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي
سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه

من السماء

يعقلون

الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك و
الثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف و
هو لا يفهمه منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب
دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من زينتهن بها
لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل
صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اى تعرفون نعمة الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام
من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي
ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت
كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك
بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والى معرفة الله وعلامات معالم
تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل في
البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع و
قيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
مشهورين بالاهتداء في مساريهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم
لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها
على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد
من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة
ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن
لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كا
لحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها

عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق
العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على
كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم لا يخفى عليه وهو وعيد وتزييف
للشرك باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اى والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر
يدعون بالياء وقرئ حفص ثلاثها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن
لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي
الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون
واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه ممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا
يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله
واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد
وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متاملا فيما يسمع
فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى
قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين
فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على
التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير
الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه
والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اى قالوا ذلك اضلالا للناس
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض
اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين
الحق والباطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان

ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون
وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد
من السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم
لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء
او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع
بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقته قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملئكة ان الخزي اليوم والسوء العذاب
على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم
الملئكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم
بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت حتى ما كنا نعمل من
سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اى فتجيبهم الملئكة ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن
في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا
في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا
جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار
الآخرة خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما
بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان
لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد
الوجه الاول الذين تتوفيهم الملئكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملئكة اياهم بالجنة او طيبين
بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه

ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان
الامر بالدخول حينئذ **هل ينظرون** ما ينتظر الكفار المار ذكرهم **الا ان تاتيهم الملائكة** لقبض
ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء **او ياتي امر ربك** القيمة او العذاب المستاصل **كذلك**
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب **فعل الذين من قبلهم** فاصابهم ما اصابهم **وما ظلمهم الله**
بتدميرهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه **فاصابهم سيئات ما عملوا** اي جزاء
سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** واحاط
بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر **وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن**
ولا اباؤنا ولا حرمنا انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما
لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها
لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا
قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين **كذلك فعل الذين من قبلهم** فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله **فهل على الرسل الا البلاغ المبين** الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه
لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة
الضلال لمن اراد اضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت **فمنهم من هدى الله**
وفقهم للايمان بارشادهم **ومنهم من حقت عليه الضلالة** اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على
الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه
قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى **فسيروا في الارض** يا معشر قريش **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون **ان تحرص** يا محمد **فان الله لا يهدي من يضل** من يريد ضلاله وهو
المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ **وما لهم من ناصرين**
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم **واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت** عطف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال يبعثهم **بلى وعدا** مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث وعد من الله
عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته **حقا** صفة اخرى للوعد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال **ليبين لهم** اي يبعثهم

ليبين لهم

ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق **وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين** فيما كانوا يزعمون وهو اشارة السبب الداعي الى
البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال **انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون** وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته
لا توقف على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش
فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله عليه الصلوة والسلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله
في الله اي في حقه ولوجهه **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة **ولاجر**
الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله
لك فيه وما ادخر لك في الاخرة اكبر **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم **الذين صبروا** على
الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح **وعلى ربهم يتوكلون** منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** رد لقول قريش الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة
الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه **فاسالوا اهل الذكر** اهل
الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم **ان كنتم لا تعلمون** وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا
ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء الا
متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات
والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي
وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين
بالبينات او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسالوا اعتراض او بلا
تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام **وانزلنا اليك الذكر** اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة
وتنبيه **لتبين للناس ما نزل اليهم** في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم
والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون**
وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق **افامن الذين مكروا السيئات** اي المكرات السيئات وهم الذين

احتالوا لهلاك الانبياء، والذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن
الايمان أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب
السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم أو يأخذهم على
تخوف اي مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد
شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم روي ان
عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا
قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا إلى ما خلق
الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها ما بعدها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي
لها ظلال متفيئة عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد استعارة من يمين
الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع والاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه
ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس و
انحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله من جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ
او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة
منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف
العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة
في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من
المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره
طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة
الجسمانية سواء كانت في الارض او السماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات به احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض
والملائكة لما في السموات وتعيين لهم اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما

مغنيه

استعمل العقلاء

استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم
بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مداورون بين الرجاء والخوف وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على
ان مساق النهي اليه اولى بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية
فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله
الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما
لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة
وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن به وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون ولا ضار
سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فمن الله وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها
من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في
الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا
اذا كان الخطاب عاما فاذا كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان
يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد
الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع
والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله
البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او
تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على
البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد
لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار

يجعلون ٢

كظيم

دام النهار كله **مسودا** من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير **وهو كظيم**
مملوء غيظا من المرأة **يتوارى من القوم** يستخفي منهم **من سوء ما بشر به** من سوء المبشر به عرفا **أيمسكه**
محدثا لنفسه متفكرا في أن يتركه **على هون** ذل **أم يدسه في التراب** أم يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما **ألا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله
عندهم **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء** صفة السوء وهي الحاجة إلى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور
استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق **ولله المثل الأعلى** وهو الوجوب الذاتي
والغنى المطلق والجود والنزاهة عن صفات المخلوقين **وهو العزيز الحكيم** المتفرد بكمال القدرة والحكمة **ولو
يؤاخذ الله** بكفرهم ومعاصيهم **الناس بظلمهم** على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
عليها **من دابة** قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم من دابة
ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء **ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى** سماه لأعمارهم أو
لعذابهم كي يتوالد **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** بل هلكوا أو
عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكون كلهم ظالمين حتى الأنبياء
لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم **ويجعلون لله ما يكرهون** أي ما يكرهونه
لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الأموال **وتصف ألسنتهم
الكذب** مع ذلك **أن لهم الحسنى** أي عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة **لا جرم أن لهم النار** رد لكلامهم وإثبات لضده
وأنهم مفرطون مقدمون إلى النار من أفرطته في طلب الماء ومكسورا التفريط في الطاعات **تالله
لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم** فأصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين **فهو وليهم اليوم** أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين
لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وأن يقدر مضاف أي فهو
ولي أمثالهم والولي القرين والناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه **ولهم عذاب أليم** في
القيمة **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم** للناس **الذي اختلفوا فيه** من التوحيد
والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال **وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** معطوفان على محل لتبين
فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين **والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**
أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها **إن في ذلك لآية لقوم يسمعون** تدبر وإنصاف **وإن
لكم في الأنعام لعبرة** دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم **نسقيكم مما في بطونه** استئناف لبيان

العبرة

العبرة وإنما ذكر الضمير ووحده للفظ وأنثه في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن
اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر
ويعقوب نسقيكم بالفتح ههنا وفي المؤمنين **من بين فرث ودم لبنا** فإنه يخلق من بعض
أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا
وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعله إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة وأعلاه مادة الدم الذي
يغتذي البدن لأنهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضمة في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة
المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع
الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم إن كان الحيوان
أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا إلى
الرحم لأجل الجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارها
ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته
وتناهي رحمته ومن الأولى تبعيضية لأن اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض من الماء لأن بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الإسقاء وهي متعلقة بنسقيكم
أو حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة **خالصا** صافيا لا يستصحبه لون
الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى بما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه **سائغا للشاربين** سهل
المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف **ومن ثمرات النخيل والأعناب** متعلق بمحذوف
أي ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها وقوله **تتخذون منه سكرا** استئناف
لبيان الإسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أي ومن ثمرات
النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف الذي هو
العصير أو لأن الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر **ورزقا حسنا** كالتمر والزبيب والدبس
والخل والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وقيل الطعم قال جعلت أعراض الكرام سكرا أي تنقلت بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من أثمانه **إن في ذلك لآية لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في

الآيات وأوحى ربك إلى النحل ألهمها وقذف في قلوبها وقرئ إلى النحَل بفتحتين أن اتخذي بأن
اتخذي ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فإن النحل مذكر
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل
ما يعرش من كرم أو سقف ولا في كل مكان منها وإنما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء
الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين إلا بآلات
وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت سبل
ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في
عمل العسل أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي
حال من السبل أي مذللة ذللها الله وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما
أمرت به يخرج من بطونها كأنه عدل به من خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنه محل الإنعام عليهم والمقصود
من خلق النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل لأنه مما يشرب واحتج به من زعم أن النحل تأكل
الأزهار والأوراق العطرة فيستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط
بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا
اجتمع في بيوتها شيء منها كان العسل فسر البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأصفر وأحمر
وأسود بسبب اختلاف سن النحل أو الفصل فيه شفاء للناس إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية
أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب
واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما أنشط من عقال
وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من أحوال النحل إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون فإن
من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من
قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد
إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل
هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة
شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل

امزجتهم

أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك
حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت أيمانهم على
مماليكهم فإنما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك
سواء في أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب
كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار
على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في
ما أنعم الله عليهم أفبنعمة الله يجحدون إذ من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعدما
أنعم عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل
بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم
وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد
هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل
الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من
اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو
أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون
حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام وحرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو
لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل
منه ولا يستطيعون أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن
ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الأمثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه
عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على أن
عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون
نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف
تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل

ما يشرك به المملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما
في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر
على الاطلاق وقيل هو تمثيل الكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك ليتميز من
الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة ليتميز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك
المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في
يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء
من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما
يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله
اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يامر
بالعدل ومن هو منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل الجامع للفضائل
وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي
وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان التي تبتدا فيه فانه تعالى
يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في ان واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة
وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه
ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل
على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة
او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر

الاحساس

الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرا ابن عامر
وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل
جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات تسخير
الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في
الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف و
الشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها
تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او
ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيون والبصريون يوم ظعنكم بالفتح وهو
لغة فيه ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من
الزمان لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل
لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال
اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا
من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما
يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في
نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب
او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا
ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت و
هذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعم الله التي عددها
عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها
بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون

عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه
الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث
من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن
الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنعون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون
ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم
ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بان يشطروا عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم ما عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في
انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبهم شركاؤهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من
تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
اي احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة
الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة
الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى

القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى
هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة
للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي
والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا
يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك
البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها
من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول
الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن
تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في
ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم
مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة
بان تكون جماعة هي ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او
لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا
اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين
وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال
تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا
ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم بعد ثبوتها عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما
وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب
في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد
جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا

تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتميز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم
السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار
او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان
كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في الآخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القرآن اذا اردت قراءته
كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه
لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة
لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه بذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان
بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين فانهم لا يطيعون اوامره ولا
يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه
ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ
فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون
مصلحة في وقت تصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته
مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله
تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار
على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا

يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب
المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه
كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية و
بشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية و
الانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب
بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل
الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء
والحاء وهذا لسان عربي مبين وهذا القرآن ذو بيان وفصاحة و
الجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه
هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه
المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار
المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم
فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات
مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات
الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم
الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن
بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون لانهم
لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون
على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما
يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من
الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب او منصوب بالذم او شرطية
محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر
لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان

يعلم

بآيات الله

الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا
وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله
عليه وآله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو
دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في فقال انت ايضا فخلاه فقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد
عليه ثلثة فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم آثروها عليها اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن تدبر العواقب واولئك هم الغافلون
لا جرم انهم اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح
ثم ان ربك للذين هاجروا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي
اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ثم جاهدوا
وصبروا من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد
يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها تسعى في خلاصها
لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم
النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها
رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
استعار الجوع لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة
عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال وقد تنظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو

وان الله لا يهدي القوم الكافرين

الخاسرون

ان ربك من بعدها

من بعد ما فتنوا

بن بكر

بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال
فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني
محمدا صلوات الله عليه وآله والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب
وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم وما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم
ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومساق
مقتضى الكلام بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه ومتعلق بتصف على ارادة القول اي
ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او بصف السنتكم الكذب اي
لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول ينطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة في وصف
كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد
من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله
الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري
يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه
منفعة قليلة تنقطع من قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها او ملتبسين بها لتعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة
والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد

الا معرفة في أشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين
وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره
بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله أو لأنه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا
وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصده أو اقتدى به فإن الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله إني جاعلك للناس إماما قانتا لله مطيعا له قائما بأوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فإن قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم
شاكرا لأنعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم في الدعوة إلى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بأن حببه إلى الناس
حتى إن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وإنه
في الآخرة لمن الصالحين لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين ثم أوحينا إليك
يا محمد وثم إما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملته أو
لتراخي أيامه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى
والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين إنما جعل
السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم وهم اليهود
أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات
والأرض فألزمهم الله السبت وشدد الأمر عليهم وقيل معناه إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له بالحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين
كذلك القرية التي كفرت بأنعم الله وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمجازاة على الاختلاف أو مجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت إليهم إلى سبيل ربك إلى
الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات
المقنعة والعبر النافعة والأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين
وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم إن ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي إنما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية
والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك فالله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وإن
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما أمره بالدعوة وبين طرقها أشار إليه وإلى من شايعه
بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فإن الدعوة لا تنفك عنه من حيث إنها تتضمن رفض

العادات

العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل إنه
لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله
وإن عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين
ثم صرح الأمر به لرسوله صلوات الله عليه وآله لأنه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال
واصبر وما صبرك إلا بالله إلا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل
بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل
وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق إن الله مع الذين اتقوا المعاصي
والذين هم محسنون في أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون
بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم عليه
في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة بني إسرائيل مكية وقيل إلا قوله وإن كادوا ليفتنونك إلى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع
عن الإضافة ويمنع الصرف قال سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك
إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده وأسرى بمعنى سرى وليلا نصب على الظرف وفائدته
الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من
المسجد الحرام بعينه لما روي أنه قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
إذ أتاني جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأن كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ
المنتهى لما روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص
القصة عليها فقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه
استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر فقال إن كان قال فقد صدق فقالوا أتصدقه
على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا إلى بيت المقدس فجلي له
فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد
جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون إلى الثنية
فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في أنه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر أنه أسري بجسده إلى بيت المقدس ثم

عرج الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين
مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ساعة وقد برهن فى الكلام ان الاجسام
متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
فى بدن النبى صلى الله عليه وآله وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت
المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى
ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه فى
برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم
وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان
افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيرى
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى
قلنا لهم لا تتخذوا بالتاء على ان النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا
مع نوح او على انه مفعول لا تتخذوا من دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه
تذكير انعام عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح فى السفينة انه ان نوحا كان عبدا شكورا
يحمد الله تع على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث الذرية على الاقتداء
به وقيل الضمير لموسى وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى الكتاب
فى التورية لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم
مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل
عيسى ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تع او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما
وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى
وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا ترددوا
لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية
وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة الدولة

والغلبة عليهم

والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم
اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن
عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى
بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا و
اللام فى قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان الله سلط عليهم الفرس
مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتمونى فقتل
عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل
هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة اخرى
عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقصد قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما
يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او
الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائى و
يبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا
والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر
ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد
آدم عم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة
فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت

عليه فاجعله دعاء في جهة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة الاية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان على
القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية الليل اى الاية التي هي الليل بالاشراق
والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الايتان الشمس
والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحو اية
الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعله
اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم
لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما
او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا
فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه
طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما
هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة
كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ونصبه بقيل يخرج اى الله تع يلقاه منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء زايدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره
لان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل لا

فانما يضل

يحمل اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر
نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة
وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم
لانفاد قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو

الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله
امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز في حمل عليه او التسبب له بان صب

ففسقوا فيها

عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقوله امره فعصاني
وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وامرته اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة
اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امرنا ورواية امرنا
عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة
بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب
ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة

حله

مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه

لمن نريد

ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما
يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك و
قيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم
ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما
امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن
ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان
سعيهم مشكورا من الله اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد
من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء
بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن
ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بعضهم في الرزق

اى التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر
الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد مذموما مخذولا فتصير من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد
يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق
الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية

وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش و
لا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة بالفعل واحدهما فاعل
يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على
احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم
الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك
فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة من قتل
ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما
لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا
شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وامره بخفضها مبالغة
او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما
اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت
منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب
ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من
الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء
بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني
الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك و
انت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما
من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين غفورا
لما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب و
يندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب
الرسول عليه الصلوة والسلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف

واصل

واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لسعد وهو يتوضا ما هذا السرف فقال أ
في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان
التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم
كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في
القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي
القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا تنفعهم على سبيل الكناية
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد
رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب
الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا لابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم
والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف و
سوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر
بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة
الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه
واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته البالغة لحكمته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة
الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان
يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط او ان
يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه و
ضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع
النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر
خاطأ وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنى بالعزم والاتيان بالمقدمات
فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا بئس طريقا طريقه
وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا باحدى

ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل
على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ
لا يسمى ظلما فلا يسرف اى القاتل فى القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما
يعود عليه بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة و
الكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهى على الاستيناف والضمير اما للمقتول
فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث
اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان تتصرفوا فيه الا بالتى هى احسن الا بالطريقة التى هى
احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله
من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه و يفى
به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال
للموؤدة باى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا
الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى
عربية القران لان العجمى اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير و
نحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تأويلا واحسن
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان
المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع
وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت ولا ارمى البرى بغير ذنب ولا
اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما
كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم
جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا فى الثلثة
ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى
عنه للمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على

ان العبد

ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش فى الارض مرحا
اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا لشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل
للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال
الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس انها المكتوبة فى الواح
موسى عليه السلام كان سيئه يعنى المنهى عنه فان المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصرى
سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل
من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان تنتصب مكروها على الحال
من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة الله تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة
مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ
الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة
وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عايدة الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال فتلقى فى جهنم
ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات
الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه
هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض
الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة
الذين هم اشرف خلق الله دونهم فى مواضع كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير فيه فى مواضع
منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا
المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى
ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة قل لو كان معه الهة كما يقولون ايها
المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما
نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به
المشركين والثانية ما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى
لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعاداة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه و
الطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون تعاليا علوا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب

تقولون

الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه
وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه بما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال
حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده
الى ما يتصور منه اللفظ وعليهما عند من يجوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر
تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة عن غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم
واذا قرات القرآن جعلنا بينك يحجبهم عن فهم ما تقرا عليهم مستورا ذا ستر كقوله ماتيا وقيل مستورا
مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم
من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلائل المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونه
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة
اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى
اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واحدا وحده واذا ذكرت ربك هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله
من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين
هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون
جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا مقدر باذكر او بدل من اذ هم على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو
الرئة اي الا رجلا يتنفس ياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
في امره ولا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التباعد والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم
كونوا حجارة او حديدا او خلقا اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته لا تقصر عن
احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة
موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي وكنتم ترابا وما هو ابعد
منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو فان كل ما هو آت

وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا

على قلوبهم اكنة

في القرآن وحده

اليك

رجلا مسحورا

مما يكبر في صدوركم

فطركم اول مرة

قل عسى ان يكون قريبا

قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر
يوم يدعوكم فتستجيبون اي يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما
وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته
كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم
لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا
تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك
عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وقيل
شتم عمر رجلا منهم فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء
وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاولاد والاتباع حتى داود
فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله
وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على ان وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما
كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا
في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو
كالعباس والفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله
عليه وآله قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والقحط والفقر ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء
الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله
الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا
بان يحذره كل احد من الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها بالموت والاستئصال قبل يوم القيامة او معذبوها بالقتل وانواع
البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها
قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا
بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم

بحمده

ينزغ بينهم

وما ارسلناك

النبيين على بعض

عذابا شديدا

مسطورا

لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها
او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب
المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان
امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف وإذ قلنا لك
اذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو
فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة
وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامع
به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال
هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة
عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء
النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد
مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان
وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي
خلقته وهو طين او منه اي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال أرأيتك هذا الذي
كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته
علي لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا
لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان
ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم
وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم

مبصرة — ونخوفهم — فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطبين على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات
جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من
معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز
الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من
راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب و
الركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب
عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس
ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد باسباب المحرمة والاشراك فيه بتسميته
عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وقيل المراد
اهل الفضل والايمان لان لفظ العباد في القرآن مخصوص بهم وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله
الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في
الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي لكم الفلك هو الذي يجري الريح وانواع الامتعة التي لا
تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف
الغرق ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر
ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم الى البر من
الغرق اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض واستطال الاوكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على
محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر
ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه
او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده
وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا فان الجوانب والجهات في قدرته سواء
لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي الحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا
يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا
فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح

من تدعون الا اياه

بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بني آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق و
الاشارات والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات
وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف
الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه
تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على
قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا
او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي
قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى
واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين يقرءون
اي كتاب عملهم كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء
وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على
ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان
في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه
في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالجاهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو و
يعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسط في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه
واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما
حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في
امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل

ربوا علينا

ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا و
تمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة
بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم لقاربت
ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك عصمتنا فمنعتك ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك
لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات يعني
مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف
من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة
واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم
اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عليه الصلاة والسلام ب
المدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا
باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر عفت
الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله
ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
لانها من اجلهم ويدل عليها ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله اتاني جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان
الدالك لا يستقر يده لان الناظر اليها يدلك عينيه لدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في
لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الآخرة وقرآن الفجر وصلاة
الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا
دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها

على الوجوب فيهما نصا وفي غيرهما قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملئكة الليل وملئكة النهار او شواهد
القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه
ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها
ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت
ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يبقى الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة
والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه
مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه
لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين
يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل
ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا
واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا
مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل
ينكت بمخصرة في عين واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله
كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان
ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض
عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المتكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء
على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح
الله قل كل يعمل على شاكلته كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه

واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على
ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا
شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما
تلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلوة
والسلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال
به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام
الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد
المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جوابا
الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملئكة لان اتيانهم بمثله
لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا

القران من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا
جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا
واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون و
يعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها فيعول من نبع كيعبوب
من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على
ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع
لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في الروم
وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من
المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا
على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك
وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها
لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول
هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما
التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم عن الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا
قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران الا انكارهم ان يرسل الله
بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا
به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي
او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول و
وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها
او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم

قادر على

قادر ان يمشيهم على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما
وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في
دنياهم لم يستبصروا بالايات وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار فاقدي القوى والحواس ماواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا
توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم
بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض ليسوا
اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء قادر على ان يخلق مثلهم هو الموت او القيمة فابى الظالمون الا
مع وضوح الحق كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل
يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة
على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه
ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان
البخلاء اغلبهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض فيما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلث
الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل
اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها
تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله عليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم
مستانف زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون
ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله عليه الصلوة والسلام فسال على لفظ الماضي بغير همز
وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فاسال يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد
والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان
اذ نصب باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء

يعني الايات الا رب السموات والارض بصاير بينات تبصرك صدقي في ولكنك تعاند وانتصابه
على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما
صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى
يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا
بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا
من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة
او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم
نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي
وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما
انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي
بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه
لا يورثه نقصانا ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء
الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او
راوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل
تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا يسقطون على
وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه السلام وعلى اله
على فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا
كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني
لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله عليه الصلوة والسلام يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول التسوية

بين اللفظين

بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي
هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو
للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله
للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة
صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين
وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان
يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما
نزلت امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
الاية نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك
روي انه عليه السلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه واله وسلم من قرا
سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على محمد واله اجمعين قد وقع الفراغ من تحرير
هذا التفسير المسمى بانوار التنزيل للعلامة المحقق البيضاوي في
يوم الاحد عاشر شهر صفر ختم بالخير والظفر احدى
سنة اثنين وثمانين والف من
الهجرة النبوية على هاجرها افضل
الصلوة واكمل
التحية

ولا تخافت بها

فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا
فخرق السفينة بان قطع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء
فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده
الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكر قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته
يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن
المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا
من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه
يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب رأسه بالحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء
للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال
ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها
كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على
ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء
اعتراض مسا انفا وفي الثانية من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه

ادخل

ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي
منكرا وقرأ نافع وفي رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات
والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني
مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني اي وان سألت صحبتك وعن
يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من
قبلي اي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال
ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون و
الاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان
الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل
باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال
ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض
اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا
يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير و
الكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن
اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول
لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه
اتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان
لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق
بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه
وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى

رحمة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك
قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدي
ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان
اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما
قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى
الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى
عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا
وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبة
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما
خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية
واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما
بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان
تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل
كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكا
ن ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان
يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما

فعلت

فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله و
الى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل
له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي
وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما
وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما
لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا
يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذي
القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين
او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له
قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش
للشجاع كانه ينطح اقرانه اختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه
امتحانا او مشركو مكة قل ساتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله
انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول
واتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة
والالة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف
مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأ
من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي
بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما
قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها
تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرا حامية فبعث معاوية الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها
عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا
فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين
القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف

فعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم
نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله فى الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه
الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء
منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى
بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا
مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله
اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول له من امرنا
مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه
اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه
مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان
ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما
وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل
الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات و
العدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا
لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق و
المغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سده
وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض
الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر
ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله
الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا
يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين فى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم

ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما
قرا عاصم ومنع الصرف للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل
كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائى خراجا
وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائى قال
ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج
ولا حاجة بى اليه وقرا ابن كثير مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى
به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم سد
مردوم اذا كان رقاع فوق رقاع اتونى زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى
رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى
بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير
ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين
جانبى الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل
عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد حتى اذا
جعله نارا جعل المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال اتونى افرغ عليه قطرا اى اتونى
قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على
ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتونى لاضمر مفعول
افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء
حذرا من تلاقى متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب
السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له
نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب و
البنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار
فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من
الصخر مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها قال هذا هذا

السد او الاقتدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده
بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكاء مدكوكا
مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك للمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون
مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلائق في بعض ويضطربون و
يختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا
للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد
يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية أفحسب الذين كفروا افظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملئكة والمسيح من دوني اولياء معبودين
نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ أفحسب الذين كفروا اي أفكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل
وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على
الخبر فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بالدلائل المنصوبة
على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم
فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا و
اعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي
جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا و
اتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس فيما سبق من حكم الله ووعده الفردوس اعلى درجات الجنة واصله

والبستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود قل لو كان
البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما تمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات
ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي
فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع
المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا
بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو
لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه
احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه الصلوة والسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلوة و
السلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل
وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها عند مضجعه
كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان
كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه
الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة مريم عليها السلام مكية بعون الله تعالى وحسن توفيقه الا آية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص أمال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف
اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على
الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك
ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء

يجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان
الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في
سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع
وتسعون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم
لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده
لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلث واشتعل الرأس
شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم
اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله
مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة دلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد
ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من
الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة له وانه تعالى عوده
بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا
اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي
وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي
من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا
قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك
فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا تصلح للولادة وليا من
صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على
انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة
فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان
اخا زكريا او كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمن عليه السلام وقرئ يرثني وارث آل يعقوب
على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني
وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا
ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى
تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان
التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين
يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي

به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام وكانت
امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود
فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية
وادغمت وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان
الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له
كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم
يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت
وهو علي هين وهو لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف اي
افعل ذلك وهو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا
وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل
لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا
سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه
استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب
من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان
سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر
قومه بان يوافقوه وان تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير
القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا
يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا
ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكاة وطهارة
من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان
تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا
او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال بني آدم
ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة واذكر في
الكتاب في القرآن يعني قصتها مريم اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما
او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فتكون
بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا في بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ

الصارىٔ الشرقي قبلة ومكانا ظرفا ومفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم
حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من
الحيض متحجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا
طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه
ولعله ليهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية
عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي
فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا
متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به
لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول
الله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب
او ناميا على الخير او مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث
بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه
ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء
لانه للمبالغة او للنسبة كقولك طالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات
اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان
امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقيا بان يقضى
ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها
سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته
نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل
منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت
المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو
ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك

اهب

ليريها من اياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح و
قرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه
اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها
عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي و
حفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضميرا حدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا
تحزني اي لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا وهو
عيسى وهزي اليك بجذع النخلة اميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او فعل الهز على
الامالة والمعنى هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت
التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى
وقرئ تتساقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت
نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها راسا وخوصا ورطبا
وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش
والمنبهة لمن راها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل
وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال ف
كلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك
وارفضي عنها ما احزنك وقرئ قري بالكسر وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت
ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى اوما
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتاخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن
صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا
بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة
وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه كاف في قطع الطاعن فاتت به
قومها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا بديعا منكرا من فرى الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب
من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل

صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها او شبهوها به ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فأشارت إليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال إني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول المقامات والرد على من زعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير أين ما كنت حيث كنت والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا وأوصاني وأمرني بالصلاة والزكاة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل وأوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته عيسى بن مريم لا ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيون والبصريون بالفتح على ولانه وقيل انه معطوف على الصلاة فاختلف الأحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من

شهادة

شهادة ذلك اليوم عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه أسمع بهم وأبصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه إذ قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه وإلينا يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله إذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لأبيه يا أبت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير

يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في
الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال يا أبت لا تعبد الشيطان واستنبه على
ذلك وبين وجه الضر فيه بأن الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله إن الشيطان
كان للرحمن عصيا ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم
وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال يا أبت إني أخاف
أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن أو العذاب تليه
ويليك أو ثابتا في موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف و
المس وتنكير العذاب إما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان
من جناياته لارتقاء همته في الربانية أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته
لآدم وذريته منبه عليها قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم قابل استعطافه ولطفه
في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر
على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها
عاقل ثم هدده قال لئن لم تنته عن مقالك فيها أو الرغبة عنها لأرجمنك بلساني يعني
الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لأرجمنك
أي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني قال سلام
عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد
ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة إنه كان بي حفيا
بليغا في البر والإلطاف وأعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وأدعو
ربي وأعبده وحده عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء
آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الإجابة والإثابة
تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله بالمهاجرة إلى الشام وهبنا له إسحاق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة
قيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحاق وولد منه يعقوب
ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على انفراده و
كلا جعلنا نبيا وكلا منهما أو منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والأموال والأولاد و
جعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل

لي لسان

لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى
الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على
تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا
موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء وأسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون
بالفتح على أن الله أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع أنه أخص وأعلى وناديناه من جانب الطور الأيمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي
يمين موسى أو جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف
شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو
وهو الارتفاع لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من
أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا أخاه معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته واجعل لي وزيرا
من أهلي فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل هارون عطف بيان له نبيا حال منه
واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف
بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني إن
شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة
فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة اشتغالا بالأهم وهو
أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل أهله أمته فإن الأنبياء آباء
الأمم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة أقواله وأفعاله واذكر في الكتاب إدريس وهو سبط
شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد
أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه إذ روي أنه تعالى أنزل
عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب إنه كان صديقا
نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة أو الرابعة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من زكريا إلى إدريس الذين أنعم الله
عليهم بأنواع النعم الدينية والدنيوية المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية ومن
حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية
سام بن نوح ومن ذرية إبراهيم الباقون وإسرائيل عطف على إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل
وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية و
ممن هدينا ومن جملة من هديناهم إلى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة إذا تتلى عليهم آيات الرحمن

من النبيين من ذرية آدم

خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ تتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء

فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي عليه السلام وبنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول الكلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او تسليم الملائكة عليهم وتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وعلى ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقويهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل

حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزلت ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى نزل والمعنى ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين اي لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وآله مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها واحدا لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقائل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية وقال يزعم محمد انا نبعث بعدما نموت ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي ههنا مخلصة للتاكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف عليه وان ما انشاه منه فانه لو تذكر

انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فلم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد
التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وابن عاصم وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسم باسمه
مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسوله والشياطين عطف او مفعول معه لما روى
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان
كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد
حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة
وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى
دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف
للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية
على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف
الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرا حمزة والكسائي وحفص
جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شايعت دينا ايهم اشد على الرحمن
عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا
من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار
على الترتيب او يدخل كل طبقة بابها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه
ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته
زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما
بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين
يقال فيهم ايهم اشد او متعلق بها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع
على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة وانما يجوز ذلك اذا جعلت شيعة بمعنى تشيع وعلى
للبيان او متعلق بما فصل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
اي الذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم
عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص
صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا
واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله
عنه انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا

ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما
مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى على نفسه وقضى به بان وعد به وعدا
لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب
ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا
وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى
الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم
اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع
اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن
معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال على ان زيادة
حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة
الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم
من بعدهم وهم احسن صفة لكم وسمي من القرن المتاع وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث
والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها
او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو
الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما
يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول
العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا
لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا
ما يوعدون غاية المد وقيل غاية القول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة
المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا
ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به
احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان
امهال الكافر وتمتعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها
ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير ومعوضه منه وقيل عطف على فليمدد
لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية
والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات
الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل
هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على
طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ في حره منه في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال
له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون
لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار
والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي
ولدا وهو جمع ولد كاسد واسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شأنه الى
ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا و
ولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه
لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح
فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة اى تبين انى لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه
فان نفس الكتبة لا يتأخر عن القول لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له
من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه
واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول
يعني المال والولد ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا
ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع
وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما

عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها
لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد
الاول اذا فسر الضد بضد العز اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة
في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله صلى الله عليه
وآله وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده
اى يجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات و
تحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر
بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح
انت والمؤمنون من شرورهم ويطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا
والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين
نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن
لعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين
كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي
ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة
من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ اذنا فيه لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن
من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على
تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم
شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر وعن

ايام

ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه
ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه
الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب
العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد
او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه
والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد
للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل
ما دعى له ولدا او بمعنى من دعا نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغى
للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ
النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله ان كل من فى
السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم او ما سبقهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون
من حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عدد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده
بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ
من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض لاسبابها وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء
ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم
ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود فى القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما
فى صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله
لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر
به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين فى كل لدد اى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر
وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجرئة للرسول على انذارهم هل تحس منهم من
احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى
واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدقه ويحيى و
عيسى ومريم وسائر الانبياء عليهم السلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع

سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها ابن كثير وابن عامر ويعقوب وحفص على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه وامالها
الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا
فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها فى خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطأ الارض بقدميه
فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطأ الفا كقوله
لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها و
الالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل
او اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته
مبتدأ على انه مؤول بالسورة او القرآن والقرآن واقع فيه موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما
به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك
الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه
اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد
وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به
الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى
لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو
مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرآن او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو
صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن فى قلبه خشية
ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار
فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا
او معنى فان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما
بعده الى قوله الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل لعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب
الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها

اقرب لحصر واظهر عنده من السموات العلى وهي جمع العليا تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث
الكائنات وتدبيرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب
على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته وتعلق به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما
في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها
على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه
غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء
والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره
وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها
ومنعها عن الاشتغال الغير فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى من في ممن خلق
الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل
في وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام
والتنبيه على انه واجب الايمان والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون
انزلنا حكاية كلام جبرئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى
خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة
الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر
الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث
موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة
الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزلت اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر
قيل انه استاذن شعيبا عليه السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن
في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من
جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هاهنا وفي طه
بضم الهاء في الاصل والباقون بكسرها فيه اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل
الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد
على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها
في كل ما يعن لهم ولما كان حصولها مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا
ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون

عليها او مستعلون

عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب
منه فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا
ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير
الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل
الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة
تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار
غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام
البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل
المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا
اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي
يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
بدل مما يوحى دال على انه مقصور على التوحيد هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل
واقم الصلاة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود
وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك
بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت
الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله
تعالى يقول اقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاءها او اقرب
ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت
به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق
الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد
عنها كقوله لا اريتك هاهنا نبه بها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها
وانما ينبغي ان يكون راغبا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه
ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره على غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده
وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة

قيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصى على لغة
هذيل اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي
اخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين
من الهس وهو زجر الغنم اي انحى عليها زاجرا لها ولي فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل ان
كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود
من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة
ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع
ويصيران دلوا عند الاستقاء ويطول بطول البير وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها
وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى
انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت و
عظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية تسمى
بالاسم يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان
قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها
سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة
وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في
طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع
بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ
بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان
كناحي العسكر استعارة من جناحي الطاير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج
بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كني بالسوء عن العورة
لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء
او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او
بما دل عليه آية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول
نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى

عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله
ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما نزل عليه ويسهل
الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر
الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ
من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك روي ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته
ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه طفل لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده و
اجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد
عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك
ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل
حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن
لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من
الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه في اموره ومن الموازرة وقيل اصله ازير من
الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزتها واوا كقلبها في موازر
مفعول اجعل ووزيرا ومن اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من
هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ
الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات
ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اوتيت سؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا
عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا
على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم
شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى
القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للوضع وللالقاء كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه
الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج

بالجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضماير كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر
والملقى الى الساحل وان كان التابوت فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه
وتكرير عدو للمبالغة ولان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار التوقع قيل انها جعلت
في التابوت قطنا ووضعته فيه وكان قيرته والقته في اليم وكان يشرع في اليم ومنه الى بستان
فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امرأته
آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما
قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد
يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن
احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله
فالتقط منه لكن لا يبعد انه اداه الى الساحل بحيث فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن
اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة
باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع
بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف
لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم
على من يكفله وذلك لانه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك
وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على
فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله
من عقاب الله واقتصاص فرعون بالامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك
ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة و
بدرة فخلصناك مرة اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي
راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ما سبق ذكره فلبثت سنين في
اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم
جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او مقدار
من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسي واصطنعتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك لاستخلصه لنفسه اذهب
انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ ولا تنيا بكسر التاء في ذكري

واصطفيتك

لا تنسياني

لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به
موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله
واستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة
في صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية
عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم
بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما
وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه انه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف
ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم
يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على
الملك او شيطان فيتخطى ان يقول فينا الى ما لا ينبغي لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
او ان يطغى قال لا تخافا انني بالحفظ والنصرة معكما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول
او فعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى
انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا
انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة
قبل الولادات فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم
في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من
دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة
مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه اثنتان لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم
ببينة من ربكم فأت باية او لو جئتك والسلام على من اتبع الهدى سلام الملائكة وخزنة
الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه
لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه
وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان حال المطيع اذا امر بشيء ان لم يتركه ولا يخفيه

ما ابوی

ربع

فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او
اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او للمضاف
على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف
يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة
لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم
على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله و
لذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون
الاولى فما حالهم بعد الموت من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله
وانا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان
يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا
ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر
ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء
كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم و
باجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل
ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على
المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد
كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية و
البراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل
من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة
على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته وعلى هذا نظائره
كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ومن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها
ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من
حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات
في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا

انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا
انعامكم والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل
خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد
اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على
ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه
ما اوتي غيره من المعجزات فكذب من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى
خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله
مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف
لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف او
بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم
يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك
اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة
وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته
الينا واليكم وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر
الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطفا
على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون
على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد
قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب
فيهلككم ويستاصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد و
تميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال
ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين
سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او
تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه

قوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا
فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا
المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما
بعدها خبر مبتدا وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر
وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم
الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل
ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه
اجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده
والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في
صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة
وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر
او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم
مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم
الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي
فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف
اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى
وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال
والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل
فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او
من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي
وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال

معناه

على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا له
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة
هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه
بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة يحتمل التانيث والخطاب
على اسناد الفعل الى السبب وقرا ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف
على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب
على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على
المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس
المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج
يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد ساحر حيث اتى
حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس
بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا
وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون
ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على
الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى لتضمين الفعل
معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم
او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو
وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن
بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف
وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في
كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى وهرون والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء
وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به
انما تقضي هذه الحياة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير
وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة

إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما أكرهتنا عليه من السحر في معارضة
المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فإن الساحر إذا نام
بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه والله خير وأبقى جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا إنه إن الأمر
من يأت ربه مجرما بأن يموت على كفره وعصيانه فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة مهناة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك لهم
الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر
من أدناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل أن يكون من كلام السحرة وأن يكون ابتداء كلام الله
ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي من مصر فاضرب لهم طريقا في البحر فاجعل
لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله يبسا مصدر
وصف به يقال يبس يبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي
جف لبنها وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب الواحد
مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا أو لتعدده معنى فإنه جعل
لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة
ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على أنه جواب الأمر ولا تخشى استئناف أي وأنت
لا تخشى أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أو حال بالمعنى و
الواو لا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده وذلك أن موسى خرج بهم أول الليل فأخبر
فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء
مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده
أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه إلا الله وقرئ
فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى أو ما غشاهم أو فرعون لأنه
الذي ورطهم للهلاك وأضل فرعون قومه وما هدى أي أضلهم في الدين وما هدى وهو
تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجى يا بني إسرائيل خطاب لهم
بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون على إضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم بما فعل بآبائهم قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور
الأيمن لمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه وإنما عدى المواعدة إليهم وهي لموسى أو له وللسبعين المختارين
ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه

أو لا لإثم وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم
والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالإخلال بشكره
والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم
عذابي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد
تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل وإني
لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على
الهدى المذكور وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها
نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين
وقدم جواب الإنكار لأنه أهم قال هم أولاء على أثري ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها
عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت إليك
رب لترضى فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فإنا
قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفا وأضلهم السامري
باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته وقرئ وأضلهم أي أشدهم ضلالة لأنه كان ضالا مضلا
فإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد
أكملنا العدة ثم كان أمر العجل فإن هذا الخطاب له عند مقدمه إذ ليس في الآية ما يدل عليه
كان ذلك إخبارا من الله تعالى عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون
في علمه ومقتضى مشيئته والسامري إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا
من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى إلى قومه
بعدما استوفى الأربعين وأخذ التوراة غضبان عليهم أسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم ألم
يعدكم ربكم وعدا حسنا بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور أفطال عليكم
العهد أي الزمان يعني زمان مفارقته لهم أم أردتم أن يحل عليكم يجب عليكم غضب من
ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتم موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان
بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه أي فوجدتم
الخلف في وعدكم لي بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق
الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا و
أمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي

نصف

بالضم وثلثها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن
تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي
في النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها وروي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت
قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان
نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار
صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى
فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه
من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما
ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون
من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفيرة
توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني
واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اي قال
له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن ان تتبعني في
الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تلحق بي ولا مزيدة كما في قوله ما منعك
الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام
استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني
في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك
الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي
ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما

لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا
له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان
جبرئيل جاءك على فرس الحيوة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان
جبرئيل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة
من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني
للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئيل او اراد ان ينبه الوقت وهو حين
ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك
سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان
تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك
وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة
لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان
بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد
ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ
بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة
في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا
وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار
غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا
هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما يصح ان
يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع فيكون
انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي
الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة
موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك
وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك
من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير
فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو
القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة

لثقله فادحه على كفره وذنوبه سماها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثماً عظيماً خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع
فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملاً اى بئس لهم ففيه
ضمير مبهم يفسره حملاً والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملاً وزرهم واللام في لهم للبيان كما
في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير فيه الذي للوزر اشكل امر اللام ونصب
حملاً ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر
تعظيماً به او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان ضميره لله او لاسرافيل وان لم يجر
ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر
المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقاً زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء
الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا
في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عمياً فان حدقة الاعمى تزراق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض
الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشراً اى في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها
على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الآية
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأياً او عملاً
ان لبثتم الا يوماً استرجاح لقول من يكون اشد تقالاً منهم ويسئلونك عن الجبال
عن مآل امرها وقد سأل رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفاً يجعلها كالرمل ثم يرسل
عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال
عليها لقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعاً خالياً صفصفاً مستوياً كان اجزاءها على صف
واحد لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً اعوجاجاً ولا نتوءاً ان تأملت فيها بالقياس الهندسي
ثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر
العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين
يومئذ اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلاً ثانياً من يوم
القيامة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى جانب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت
الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همساً صوتاً خفياً ومنه الهميس لصوت

اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اى الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن في
ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول رفع على البدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية
واذن يحتمل ان يكون من الاذن والاذن ورضي له قولاً اى ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة
او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علماً ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما
علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك
القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده
وقد خاب من حمل ظلماً وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن لان الايمان شرط في صحة الطاعات و
قبول الخيرات فلا يخاف ظلماً منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضماً ولا كسراً منه بنقصان
او جزاء ظلم وهضم لم يظلم غيره ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص اى مثل ذلك الانزال ومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآناً
عربياً كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم
يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكراً عظة واعتباراً حين يسمعونها
فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته و
صفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه
الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته
وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في
تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد
وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملاً قبل ان يأتي بيانه وقل رب زدني علماً اى سل الله زيادة
العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه
يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف و
انما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان و
عرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه
او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزماً تصميم رأي وثبات على الارادة

النكته

او كان ذا عزم وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل
ان جرب الامور ويذوق شريها وعن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لو وزنت احلام بني آدم
بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم
يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض
للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر
حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه لم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا
ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه منه السجود وهو الاستكبار
وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى
افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه
قيم عليها ومحافظة على الفواصل ولان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة
الرجال ويؤيده قوله إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى
فانه بيان وتذكير لما في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة
والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواضها عما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها
ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه من حيث انه
عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس
إليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد الشجرة التي
من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك
لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم
ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور
به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي
عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه
ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على
العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على
التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحوا او له ولا

بليس ولما كان اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما
عليه الناس من التجاذب والتحارب ولاختلال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله
فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن أعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فإن له معيشة ضنكا ضيقا
مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع
همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف
المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم
الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا وقيل هو الضريع و
الزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطف على
محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة أعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد اماله حمزة والكسائي لان الالف منقلب من الياء و
فرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت
ثم فسره فقال أتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك
اي مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة
من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مثله
من ترك الايات والكفر بها أفلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او الى ما دل عليه كم أهلكنا
قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى
اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار هلاكهم إن في
ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل
بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم
لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او
لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي
لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقك او
نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا

بانه مولى النعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما
من اخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء
بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد
الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك
قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوة الصبح والمغرب
ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او
امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين
ولان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه
الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي
يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان
يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا
منصوب بمحذوف دل عليه متعنا به او على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من
ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة
كالجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر
لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع
وأمر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته والتابعين له من امته بالصلوة بعدما امره
بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام
اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه
بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به
تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة
اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان
العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه
ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى

من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام
الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته
برهان لما تقدمه من الكتب من انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد
بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل
والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد
منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من
اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السوء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى بالضم
والسوي تصغيره ومن اهتدى ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز
ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه
السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار صدق الله العلي العظيم

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب
او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم
وخص الناس بالكفار لتقييده بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون
عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما
يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم
محدث تنزيله لتكرير على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في
الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين
بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر ويجوز ان يكون حالا من واو يلعبون وقرئت
بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها

الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او
مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا
على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر و
انتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه
بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما
جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم امره
ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا
عما اسروا به فهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا
وليطابق قوله واسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول
وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل
افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه
ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام الحكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم
في شان الرسول صلى الله عليه وآله وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثاني
والثالث لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها
من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها
ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه
مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما
لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم
جربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه
سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل
به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث
ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها
باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم
الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن
قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم امرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل
المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا
وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي
لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب
لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام
من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على
حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه
الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد
اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او
احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر و
المعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه
لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد
اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد
المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم
او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما
بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم
تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه
النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله
عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك
فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو
الويل فيقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى
جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من
خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض

ثمن

وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي
الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى
تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به و
يلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من
الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش و
تزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ان كنا
فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي شاننا ان نغلب الحق الذي
من جملته الجد على الباطل الذي من عبادة اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف
وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة الرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه
المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وهو ضعيف ويحمل على المعنى والعطف على الحق
فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما
تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او
موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه
لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم
لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ
وخبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما
جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من
الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة بل اتخذوا والهمزة
لانكار اتخاذهم من الارض صفة لالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها
التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية
فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك
زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله غيره وصفت بالا
لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة
فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز

الرفع

الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا
فسبحان الله رب العرش لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانهما ان توافقت
في المراد تطاردت عليه القدرتان وان تخالفت تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش
المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية و
السلطنة الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام
اتخذوا من دونه الهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا
لجهلهم او ضما لانكار ما يكون سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى او جدوا
الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب
الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على
فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من
العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا
ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال
الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل يعني بمواعظه ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم
لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على انه مع اسم وهو ظرف كقبل وبعد
وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على
انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع
الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر الامم الاشارة مخصوص بالموجود
بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيها له عن ذلك بل عباد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدخل الوهم
وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان
السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون
لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية

بما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من
خشيته عظمته ومهابته واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء و
الاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
مشفقون مرتعدون ومن يقل منهم من الملئكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم يريد نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملئكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا
وقرئ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم
والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت
السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرج
بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات
سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا في الامطار والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب
ابتداء او توسطا واستفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان
المراد جماعة السموات والارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق
كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه بعينه
او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء ولا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف
لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي
ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف
لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا
وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا
فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون
وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم
بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته
وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعي والهيئة معرضون

غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم
المراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح
على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما
وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره
بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما
انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر
من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء
بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به يقولون اهذا
الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن
هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص وحيلولة الصلة
بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته
كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له
ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انه نزلت
في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت
عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيمة
ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول يعلم
اي لا يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار
من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان
يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم
حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم
العدة او النار او الساعة بغتة فجاءة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم

أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة
ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما
كانوا به يستهزءون وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالرسل ما فعلوا
يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
إن أراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته بل هم
عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه
عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من
العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب
فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد لا يستطيعون نصر
أنفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على نصر نفسه
ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم
العمر إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما
قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تع متعهم بالحياة
الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك
عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال أفلا يرون أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها
من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تع على أيدي المسلمين أفهم
الغالبون رسول الله والمؤمنين قل إنما أنذركم بالوحي بما أوحي إلي ولا يسمع الصم
الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وإنما سماهم
الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون إذا ما
ينذرون منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم
وتجاهرهم ولئن مستهم نفحة أدنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى
القلة فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي
ينذرون به ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم
ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة

ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم
نفس شيئا من حقه أو من الظلم وإن كان مثقال حبة من خردل أي وإن كان العمل
أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة أتينا بها أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى
جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فإنهم آتوه بالأعمال وآتاهم بالجزاء
وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة وكفى بنا حاسبين
إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى
أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة
وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر
وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين أو مدح لهم
منصوب أو مرفوع بالغيب حال من الفاعل أو المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك
كثير خيره أنزلناه على محمد أفأنتم له منكرون استفهام وتوبيخ ولقد آتينا إبراهيم رشده
الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله وأن له شأنا وقرئ رشده وهو
لغة من قبل من قبل موسى وهارون أو محمد وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال إني وجهت
وكنا به عالمين علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق وفيه
إشارة إلى أن فعله تع باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه متعلق بآتينا
أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي أنتم
لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع
واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف
لها ويجوز أن يأول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين
فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم
عليها قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على
عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق قالوا
أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين لأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله
على وجه الملاعبة فقالوا أبالجد تقوله أم تلعب قال بل ربكم رب السموات والأرض
الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض
أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين

نصف

من المحقين والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشي وحققه وتالله وقرئ بالبا
وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن
في كسرها ولفظة الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد
ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال
بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف و
خفيف وقرئ بالفتح وجذاذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام
كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه
انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم
او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد
فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها
او بتوريطه نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكرهم ثاني مفعولي
سمعنا وصفة لفتى مصحح لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو
ابرهيم ويجوز نصبه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث
تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون
عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما
لو قال من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أانت كتبت هذا بل كتبته انت او حكاية
لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما روي انه عليه السلام
قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم
وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما
لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم
انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشي
مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر

فانه ينافي

فانه ينافي الالوهية أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين
واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا
آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل
من اكراد فارس يدعونه هيون به خسف وقيل نمروذ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد
وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة
واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب
سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه وروي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فاججوا فيها
نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما
اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة
ولم يحرق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة
الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس
ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع
عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره
فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم
على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنياوية وقيل كثرة النعم
والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما يوم وليلة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة عطية فهو حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا
باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم
بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى
الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة
ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي

علما للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها
بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم
سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا
انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى من قبل اذ دعا
الله على قومه بالهلاك من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب
العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه
منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود
وسليمن اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت
فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين
عالمين ففهمناها سليمن الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم
بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمن وهو اثني عشرة سنة غير هكذا ارفق بهما ادفع الغنم الى
اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود
الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني
مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي
وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي
عليه الصلوة والسلام لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها
بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ
لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد
لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل
لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع
داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها
وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل
الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها و
سردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال

باعادة الجار والضمير لداود او اللبوس وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تأويل
الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه
في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمن الريح وسخرنا له الريح ولعل اللام فيه دون
الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمن نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود
وبالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال
غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي
باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه
الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف
على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون
ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى
جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من
مرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصفه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى
بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله
وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في
بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته
ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افراثيم قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة
الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم
بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او
لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل
يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته او له ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من
الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعم

الاخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن
كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما
برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم
ياتهم لميعادهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة
او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا وظن ان
لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ
مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء
وقرا يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين من ان يعجزك شي لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه
الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل
غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام ننجي ولذلك
اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على
ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول
اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور
والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني
وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت
حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون
الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة
او في الطاعة خائفين في العقاب او في المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال
والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا

من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلناها وابنها اي قصتهما
او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
ان هذه امتكم ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها
فكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع
وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئ بالرفع على انهما خبران وانا
ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرف الى الغيبة
التفاتا للنعي على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيحا لفعلهم الى غيرهم كل من
الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله
فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي
الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام
على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها
هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا
خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم
او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الاية
ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى هي التي
يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم
يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب ينسلون يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها
تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر
بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا
ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون
الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام
لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملئكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين

ثمن

التوا بهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مما ولا يرد وبما يعمهم ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من
حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون
استئنافا او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل
فيها خالدون لا خلاص لهم لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض
الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة
او التوفيق للطاعة او البشرى اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان
عليا رضي الله عنه خطب وقرئ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون
حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت
يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص
والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت
وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي
كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او
حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو
عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء
والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او
كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه
وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده
اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا من العدم او جمعا من
الاجزاء المتفرقة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي لهما

المصحح للمقدور وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول
لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد
مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر
بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا
فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اي التوراة والزبور
جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها
عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
او امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا
لكفاية او سبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همتهم العبادة دون العادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم
قيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل
انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد
مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم على سواء اعلمتكم ما امرت به
او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم او على سواء
اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن
في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او
امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قال رب احكم
بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ
حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ ربنا احكم بالضم ورب
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان
المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لكم وان راية الاسلام تخفق
اياما ثم تسكن وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم
ونصر رسوله عليهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا

وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك
الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجراء
الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها و
اضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة
ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير
لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت
التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية و
تضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم
بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب
تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب
الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر
انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة
بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة
او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان
انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه
اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه
يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين
الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان
كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالحلب
فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ
خلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة من النطف وهو الصب ثم

من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة
لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان
من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه
يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى
اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب
وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة
وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا و
نصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او
للدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل
جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري
الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على
نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي
ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج من كل صنف حسن وهو اشارة الى دلالة
ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها
وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء
وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على
كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على
قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب
فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى
وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما
نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي

الاولى في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى و
الكتاب الوحي عليه **ثاني عطفه** متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا
عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه **ليضل عن سبيل الله** علة للجدال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على
الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له **له في الدنيا**
خزي وهو ما اصابهم يوم بدر **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** المحرق وهو النار **ذلك**
بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب
بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي **وان الله ليس بظلام للعبيد** وانما هو مجازيهم على
اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد **ومن الناس من يعبد الله على حرف** على طرف من الدين لا
ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر **فان اصابه خير اطمأن**
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة
فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت
الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت **خسر الدنيا**
والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع
على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف **ذلك**
هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه**
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع **ذلك هو الضلال البعيد** عن المقصد مستعار من ضلال
من ابعد في التيه ضالا **يدعو لمن ضره** بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في
الآخرة **اقرب من نفعه** الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام
معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء
له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين استضراره به او مستأنفة على ان يدعو
تكرير للاول ومن مبتدأ خبره **لبئس المولى** الناصر **ولبئس العشير** الصاحب **ان الله**
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد من اثابة الموحد الصالح ومعاقبة المشرك لا دافع له ولا مانع **من كان يظن ان**
لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا و

والآخرة

والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير
لمن **فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع** فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل
كل ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى
يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر
اللام **فلينظر** فليتصور في نفسه **هل يذهبن كيده** فعله ذلك وسماه على الاول كيدا
لانه منتهى ما يقدر عليه **ما يغيظ** غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم
مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين **وكذلك** ومثل ذلك
الانزال **انزلناه** انزلنا القرآن كله **آيات بينات** واضحات **وان الله يهدي** و
لان الله يهدي به او يثبت على الهدى **من يريد** هدايته او ثباته وانزله كذلك مبينا **ان**
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيامة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي
كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد
ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله **الم تر ان الله يسجد له من في**
السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره
ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله **والشمس والقمر والنجوم**
والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب
بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع بين الساكنين **وكثير من الناس** عطف عليها ان جوز
اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار
الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل
عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة **و**
كثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة
في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده و
قرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله **ومن يهن الله** بالسعادة **فما له من مكرم** يكرمه بالسعادة
وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام **ان الله يفعل ما يشاء** حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما
المؤمنون والكافرون من الاكرام في حديثه والاهانة **هذان خصمان** اي فوجان مختصمان ولذلك
قال **اختصموا** حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون **في ربهم** في دينه

بع

او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو
المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم
وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم
الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود
اى يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم
والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط
منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف كلما ارادوا ان
يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اى
فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى
اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة
في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات غير الاسلوب فيه واسند الادخال
الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم جنات تجري من تحتها
الانهار يحلون فيها من حليت المراة اذا البستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من
اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب ولؤلؤا عطف
عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على
محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو
الهمزة الاولى وقرا لولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولِيليا
بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله
الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة
او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان
يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل
عليه اخر الاية اى معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اى المقيم والطارئ على عدم جواز

بيع دورها

بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى
عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا
من الهاء والا فالحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به
وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول
وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او
الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابرهيم مكان البيت اى واذكر اذ عيناه
وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى اذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء
او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا
تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوانا من حيث
انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اى فعلنا ذلك
لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة
باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك
بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ واذن بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه
صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك في حجة الوداع
ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقيام وقائم وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان وعلى كل
ضامر طريق ياتين بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق نوع من المنافع مخصوص بهذه
العبادة منافع لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وقيل كنى بالذكر عن النحر
لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام
معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل
بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها
امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم
وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس اى الذي اصابه بؤس اى شدة الفقير
المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص
الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون
في البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرا ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي

به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول
بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما
الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اى الامر ذلك
وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله وسائر ما لا يحل هتكه
او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام و
المحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى
عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا
تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا
الرجس الذى هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير
عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما
حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم
الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور وهو من الانحراف كما ان الافك من
الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما
حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى
حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرا نافع بفتح الخاء وتشديد
الطاء او تهوى به الريح فى مكان سحيق فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما
فى قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة ولكن على بعد فيجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج
ومواضع نسكها او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها
حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وآله وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل
فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى
القلوب فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
الى من وذكر القلوب لانها منشا التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى
ثم محلها منتهية الى البيت العتيق اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها
الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى
الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاول وليس

المتصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون
بها الى اجل مسمى هو الموت منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه
ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت
المراجعة ثم وقت الخروج منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل
دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك
ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب
ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك
وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب
والمقيمى الصلوة فى اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون
فى وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها
الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا
بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدا من
شعائر الله من اعلام دينه التى شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا
اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك و
اليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على
ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلث وصوافيا بابدال
التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصوافى على لغة من يسكن
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية
عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسالة ويؤيده انه
قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال والمعتر والمعترض
بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها
قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة
قوائمها ثم تطعنون فى لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن
ينال الله لن يصيبه رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها

التراقه بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه
من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل
الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك
سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما
هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى
متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه
ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي
يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته
كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير و
ابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والماذون فيه
محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بفتح التاء اي للذين
يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم
اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال في نيف وسبعين
اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا
من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على
طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت
باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية
وبيع بيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها
صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة
للاربع او للمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف
للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك

نصف

غيرهم من

غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه
تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان
هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه
بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع
فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان
نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية
على عروشها ساقطة حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مظلة
عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي
ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال ظلمها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها
وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي
تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية مع
بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا
لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
في الارض حث على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا
لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما
يحصل لهم من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي
والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع
اليها والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد
وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي
يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى
افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله
وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة

وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء بيان
لتناهي صبره وتانيه حتى استقصروا المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان
ايام الشدائد مستطالة وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذفت المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه في الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء
وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من
الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى املت لها كما امهلتكم وهي
ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس
انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب
وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هو الجنة والكريم
من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين
للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فعجزه واعجزه سابقه فسبقه لان كلا من المسابقين
يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب
الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول
من بعثه بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني
اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل
عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا
وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا
زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما
قال صلى الله عليه وآله وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما
يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم
يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال الناس
حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان
الناس ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ
يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها
بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية

وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى
قرا كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل فاسمعه قراءته والقاء الشيطان فيها
ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد رد
بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في
قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع
الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين
الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا
به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهاد الذين امنوا فيما
اشكل عليهم الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق ولا يزال الذين كفروا
في مرية في شك منه من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها
بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيمة او اشراطها او الموت بغتة فجاة او ياتيهم
عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه
فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال
الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك
يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في
جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال
الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب
الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن
مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان
متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا

يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل
في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص
انما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج ولانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة
الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو
والمغفرة فانه مع كمال قدرته تعالى شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على
انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض
جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد
فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك
باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما
ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده
فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته
وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه
الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول
فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر منه
سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض
مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك
فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان
ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة
له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها
مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على
الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من
ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته
وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فيكون

ربع

قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيا لهم اسباب الاستدلال
وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر
ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع
ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم
ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم
بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى
قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن
منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت
في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع
الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان
جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فمجازيكم
عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين
بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء ان
ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان
ذلك الاحاطة واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات
على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما
ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا
من القران بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه
الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا
منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو
النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا
وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استئنافا كما اذا اعربت خبرا او حالا

ثمن

منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك
سماها مثلا او جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه
استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ
به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون
على خلقه مع صغره ولان لن بما فيها من تاكيد النفى على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر فى موضع حال جئ به
للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين و
ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها
قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك
بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد
الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه
السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم
اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه
ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوى على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شئ
والصنم الذى يدعونه عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفى من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه وبين الانبياء بالوحى ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه
لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات
لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و
الملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها
بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
فى صلاتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما
اعظم اركانها واخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا
الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم

الاخلاق

الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على
اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا فى الله لله ومن اجله اعداء دينه
الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه رجع عن غزوة
تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه
فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص
بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وفيه تنبيه على
المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف
ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى
اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما
استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم
ابرهيم منتصبة على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم ابرهيم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول صلى الله عليه
وآله وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على وجه المعتد به فى الآخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل
القرآن فى الكتب المتقدمة وفى هذا وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم
وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول
يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا
على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل
اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف
واعتصموا بالله وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم
ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا
نصير سواه فى الحقيقة عن النبى صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها
او عمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى والصلوة على محمد سيد الاولين والآخرين

سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمان عشرة عند الكوفيين

الجزء الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته إذا دخل الماضي ولذلك يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرئ قد أفلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وأفلحوا على لغة أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وأفلح اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه كذلك قوله والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الأول لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه أو الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي أو حال أي حفظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزويج أو التسري أو بفعل دل عليه غير ملومين وإنما قال ما إجراء للماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه وإفراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطرا فإنهم غير ملومين الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوها لأزواجهم وإمائهم فإنهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لأماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق راعون قائمون بحفظها وإصلاحها وقرأ ابن كثير لأمانتهم على الإفراد لأمن الالتباس أو لأنها في الأصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها

أولئك

أولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وإن كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون أنث الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لأنه صفة لسلالة أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلولة فيكون ابتدائية كالأولى والإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه نطفة ثم جعلنا نسله فحذف المضاف أو السلالة والمسلول والماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بأن أحلنا النطفة علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بأن صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليه مما يصل إليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر ثم أنشأناه خلقا آخر هو صورة البدن والروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم إنكم بعد ذلك لميتون لصائرون إلى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقرئ لمائتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة والكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات أو عن جميع المخلوقات غافلين مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال أو الاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وأنزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم فأسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الأرض

إنا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه
لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد
ولذلك جعل ابلغ من قوله قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فأنشأنا
لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم
من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما
انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام
تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة
تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ
القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين
اذ لا فعلاء بالالف للتأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب
فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت
بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتنبت بالدهان
وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر
اي تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه
الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة
تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان
اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها
واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه
كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها
سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في بطون
بدهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة

وما حاق بهم

وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر
على اللفظ أفلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته
الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من
قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل
عليكم ويسودكم ولو شاء الله لارسل رسولا لأنزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في
آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله
غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا
رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى
حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما آيس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز
ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فأوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا
امرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه
قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب ومحله
في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر
ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال الله تعالى
ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين
مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد واهلك واهل
بيتك او من آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله بهلاكه لكفره وانما
جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون
لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل
الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد
الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق
لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق
به ان يستويه هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم

فانه محيط بهم إن في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار
والاعتبار وإن كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم ومختبرين عبادنا بهذه الآيات
وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود
فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرآن موضع الارسال ليدل على
انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم أن اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا على لسان الرسول اعبدوا الله أفلا تتقون عذاب الله و
قال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول
بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاد الحيوة الثانية بالبعث وأترفناهم ونعمناهم في
الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا إلا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني
منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا
مثلكم فيما يأمركم إنكم إذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذن جزاء للشرط وجواب
للذين قاولهم من قومهم أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن
اللحوم والاعصاب أنكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم
تكرير للاول اكد لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم
او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم ثم اخراجكم
ويجوز ان بعد التصديق او الفتحة هيهات هيهات لما توعدون او بعدما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا بالتنكير وبالضم
منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ
الوقف وبابدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا
فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن
عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة الدنيا
لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس وكانت مثل لا التي
تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت إن هو ما هو إلا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له
وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم

واشتم

واشتم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما
صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا
العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها
قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له
او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم
في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم
الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب
بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد واظهار من دعي اليه بالبعد
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة
للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد
واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة
وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا كل ما جاء امة رسولها
كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو
مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
أحاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما
يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا
بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا
افردها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات موسى كانقلابها حية وتلقفها
ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها وصيرورتها شمعة و
شجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد بهما المعجزات فانها آيات الحجج وان يراد بهما
المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا
عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا
ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فإما ترين من البشر احدا
ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه
المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر
للمستبصر بادنى تامل بان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها

متبانية الاقدام فيها وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكونوا
في طرفها الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما
لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد
فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر القلزم ولقد آتينا موسى الكتاب
التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم
يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس
فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه
آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض
بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم
بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من الارض منبسط وقيل ذات ثمار
وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن
الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه
اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه
وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم
خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه
فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم
يكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات
او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء
له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال
ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل و
اعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان
هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون
وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم
ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان
والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة
فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا

وامرهم

وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها زبرا قطعا جمع
زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او
مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا
ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين
بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم
حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا أيحسبون انما نمدهم به ما نعطيهم ونجعله مددا لهم
من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان
ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان
الذي نمدهم نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا
شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة
وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم
من خشية ربهم من خشية عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا
والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون
ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على
الوجه اللائق فيؤخذوا به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم
اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او
يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فآتاهم الله
ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون
السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقوها اي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها
يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب
يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم
لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة
في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب
الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه

المرء هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والشرط
والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول
اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا
تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت اياتي تتلى عليكم
يعني القران فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها
والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنتهم عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين
لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا
اي يسمرون بذكر القران والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل
كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان
اي تعرضون عن القران او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون
من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القران ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز
لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب
او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه من الرسول
والكتاب فامنوا به وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة و
الصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له
منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما
يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم نظرا
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته
وعدم فكرته لا كراهية للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع الهتان
لفسدت السموات والارض ومن فيهن لما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى

ولو اتبع

ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط
غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين
وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله
ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير
لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به
عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو
خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد
العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة و
ازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا
كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا واللجاج التمادي في الشيء
في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون
عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه و
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف و
الابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم والاستكانة من السكون لان المفتقر ينتقل من
كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد
على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر و
القتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك
وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة
لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم

نصف

اتهامهم

بالتناسل وإليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله
اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة
الى الشمس حقيقة او مجازا اولامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا
تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها
وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال
الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون
لم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل
فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض و
من فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة
لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم
انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعدما قالوه افلا تذكرون فتعلموا
ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من
اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها
اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه
لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على
بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو
يجير ولا يجار عليه يغيث احدا ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون من ان تخدعون فتصرفون عن
عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور
وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما
كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على
بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما يقولون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم
التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد

سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب و
الشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب وحفص على
الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه
فتعالى الله عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون
للتأكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة
ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به
فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم
او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم
له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح
عنها بالاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد و
السيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه
من التنصيص نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على
المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القران وحلول الاجل لانها
احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما
لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله
انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون
ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا
لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان والطاعة لما اطلع
على الامر واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا عاين المؤمن
الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر
فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب
ارجعون الى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة

تسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة
الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة
والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم
تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون
ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت
موازينه موزونات عقايده واعماله اى ومن كانت له عقايد واعمال صالحة يكون لها وزن
عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه
اى ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين
خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها
في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها
واللفح كالنفخ الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص
الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال
لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة و
الكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق
ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا
فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ولا
تكلمون في رفع العذاب ولا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا
وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده فيقولون الفا يا ملك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ربنا اخرجنا
فيجابون اولم تكونوا فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب
ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا
امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرأ

نافع وحمزة

نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزء والمضموم بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكرى من فرط تشاغلكم بالاستهزاء
بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي على الامر للملك ولبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في
القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها
بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية و
المنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا
لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس
ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اى القدماء
المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين ان لبثتم الا قليلا لو انكم
كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا
حال بمعنى عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم
وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من
عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه
عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك
وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها
اخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد
بناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او
اعتراض بين الشرط والجزاء ولذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه مقدار ما يستحقه انه
لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ
السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره
ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت و
عنه انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر ورد

ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها وانقطع بما بعد من اخرها فقد نجا واد ركه

سورة النور مدنية وهى اربع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها او خبرها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون لها محل الا اذا قدرت اتل ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرايضها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزانى اى فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتدا والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله صلى الله عليه واله وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الاية ما يدفعه لينسخ احدهما الاخر نسخا مقبولا او مردودا الى فى العبد لقوله اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه صلعم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة فى دين الله فى طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه فلذلك قال صلى الله عليه واله وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئ بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شىء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق كان حق المقابلة ان يقال والزانية لا ينكحها الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهن لان الاية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى

وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها اى لا يحمل على التنزيه بل على حقيقته والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه واله وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحلال والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية ان لا يزنى بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوف بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هاهنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة والزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة ولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفترٍ وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كان ونحالة قبل الحد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابى حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط هذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له والاستحلال وفى محل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخير ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت فى هلال بن امية راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على انه مصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين

اى فيما رماها به من الزنا واصله على انه حذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فى الرمى
وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين وهذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم المتلاعنان لا
يجتمعان ابدا وتفريق الحكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت
حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اى الحد ان تشهد اربع شهادات بالله
انه لمن الكاذبين فيما رمانى به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها
حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان
الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا
بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد
ما افك به على عائشة وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم استصحبها فى بعض الغزوات
فاذن ليلة القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كى يرجع اليها
منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها
فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهى
من العشرة الى الاربعين فكذلك لما العصبة يريد عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان لا تحسبوه شرا لكم مستانف و
الخطاب لرسول الله صلوات الله عليه وآله وابى بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو
خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله وانزال ثمانى عشرة
اية فى برائتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به
والذى تولى كبره معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو
ابن ابى فانه بدا به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او هو وحسان ومسطح
فانهما شايعاه بالتصريح به ومعنى الذين له عذاب عظيم فى الاخرة او فى الدنيا بان جلدوا
وصار ابن ابى مطرودا مشهودا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر

لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من
المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة
مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى حسن الظن بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم
وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف
اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن
المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب
عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى
الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى
الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الاخرة بالعفو والمغفرة المقدرين
لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه
يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون
كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس بعبارة عن علم به فى قلوبكم كقوله
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله
عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك
بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغى وما يصح لنا سبحانك هذا
يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم
شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهتان
عظيم تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه
مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرم نبيه فاجرة فان فجورها
ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها

أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا لمثله او في أن تعودوا أبدا ما دمتم احياء مكلفين
إن كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم
في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها إن الذين يحبون أن تشيع ان تنتشر
الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك
والله يعلم ما في الضمائر وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه
يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة
بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وأن الله رءوف رحيم
على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره يا أيها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي
وابو عمرو وحمزة والكسائي بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا
فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها
ما زكى ما طهر من دنسها منكم من أحد أبدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على
التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او
ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على
مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين أولو الفضل منكم في الدين والسعة
في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه أن يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان
يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات
اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا لما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض
عنه ألا تحبون أن يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء
اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه صلى الله عليه وآله وسلم
قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته إن الذين يرمون المحصنات العفائف
الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي
لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم
كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو

فتشت القرآن وعيداته لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من
معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور
آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق
ويعلمون لمعاينتهم الامر أن الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في
ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر عدله ومن كان
هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك
اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله أولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة
وصفوان مبرءون مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات
والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرءون مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول
اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغات
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا
من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف
انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا على أهلها
بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان تقول السلام عليكم أأدخل ثلاث
مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستئذان والتسليم خير لكم من ان
تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا
وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله
عليه وآله وسلم أستأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري أستأذن عليها كلما دخلت قال
أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فإن لم تجدوا فيها أحدا يأذن
لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول

ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه
محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على
الباب عنه من الكراهة وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم
ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من
الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة
وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على
عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نظره محرم ويحفظوا فروجهم
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه
وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم
انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة
ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه
في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان
النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل
ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا
وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو
الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة
لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل
له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى
جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى
مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان
ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى
الاخوان او لان الاحوط ان يتستروا عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات

فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن والعلماء في ذلك خلاف
او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم اتى فاطمة
بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم
يبلغ رأسها فقال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل
المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي
الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين
يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على
الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء
بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة
وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون وقرأ ابن عامر ايه بالضم
لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم في الجاهلية
فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم
تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم
لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة
المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب
للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار
بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى
جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم
اتايم وتخصيص الصالحين للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من
فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في
فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وآله
وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق
ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف الذين ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين
لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه

يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو
ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا
ادى المال ولانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما
بضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ
خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب
عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية
باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال
يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على
اداء المال بالاحتراف وقد روي مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر
لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم من مال الله الذي
اتيكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو
للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي عليه السلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث
وقيل ندبهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالدائن والمشتري
ويدل عليه قوله صلى الله عليه واله وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن
على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكت بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من
عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة
التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف
ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة
لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من
قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة كقصة يوسف ومريم وموعظة
للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل

المراد

المراد بالايات القران والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل
كيفية يدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين
على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف
كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه
تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عليها من الانوار او بالملئكة والانبياء او مدبرهما
من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدهما فان النور
ذاته ظاهر ومظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى
موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة
لتعلقها به او بمشاركتها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها
وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها
بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب
يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملئكة والانبياء ولذلك سموا انوارا
ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة
على سعة اشراقه ولاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما
وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه
دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة
فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة
المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلألئ
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او
بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة
ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا توقد من شجرة مباركة اي ابتداء ثقوب
المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها
بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول
من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية
يقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء
واسعة فان ثمرتها يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في مشرق المعمورة ومغربها بل في وسطها

وهو الشام فان زيتونها اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مفنأة
تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار اى يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور
المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكوة لاشعته وقد ذكر في معنى
التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكوة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات
اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكوة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق
من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكوة المنبث
فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى
الدراكة الخمس المترتبة التى نيط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس
والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التى
تدرك الحقائق الكلية وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التى
تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهى المشكوة
والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة فان محلها كالكوى ووجهها
الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول
صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات
والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة
لتاديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لا تكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة في القبيلين منتفعة
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف
من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث
تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان بقوة
قدسية فكالذى يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله
النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها

كان نورا

كان نورا على نور يهدى الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته
لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا
والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها
ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اى كمشكوة في بعض بيوت فيكون تقييدا للمثل
به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيل لصلوة المؤمنين او ابد
انهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار
وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او
بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير
للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة
في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه اى يصلون له
بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل
وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد
الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على
اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن
ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة
فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها او مبدؤها وقيل
الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة من العين الساقطة بالاعلال شعر واخلفوك عد الامر الذى
وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر
والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها
فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من
توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من
الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء
بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى تحسبونها
صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة

لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب ويجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستويه وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه الظمآن ماء اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روى انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي ذي لج اي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه يغشى البحر موج من فوقه موج اى امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله شعر اذا غير النأي المحبين لم يكد ❊ رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء والملئكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة والصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد تهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه

الخالق

الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يولف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتديا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة على الاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت

البارده

على ابدع بتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف
الصور في الاعضاء والهيئات والطبائع والحركات والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق
بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط
مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله و
بالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي
وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اي واطعنا
لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما
اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم
والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله
تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم
بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم
يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين و
تقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك
تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة
بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم
ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا و
كلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان
قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك
هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره
لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على
معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله
على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا

يا، وابو عمرو

نصف

ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه بكتف فخفف فاولئك
هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انها بالامتناع عن حكمه لئن
امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا
على الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية
المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله
خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما
خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل
من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما
على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم وقد ادى وانما بقي ما حملتم
فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره
وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من
قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الاعداء امنا منهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر
سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله
وعده واظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم
بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون
بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد
ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث
ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلاة و
آتوا الزكاة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله
فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة
بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين

كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين عن ادراكهم واهلاكهم وفي
الارض صلة معجزين او ولا تحسبن الكفار في الارض احدا معجزا لله فيكون معجزين في الارض
مفعوليه او ولا تحسبنهم معجزين فحذف المفعول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفي
بذكر الاثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات ومأويهم
النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود
من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها
الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجع الى تتمة احكام السالفة بعد
الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليه و
الوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام
اسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهر ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات
علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فوجده وقد انزلت عليه والذين
لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه
اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من
المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا
لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي ثيابكم لليقظة
للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت اوقات يختل فيها
تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل
اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان
فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون
عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها
عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما
يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم

الذين بلغوا

الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان البالغ على سيدته
وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك
يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد
من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء لان اللام
في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر
باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه
شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع
لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا
من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم
او اولادهم وما قال لهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت
باذن او قرينة وكان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا
على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها
بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله صلى الله عليه واله وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او
بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة
او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه
او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم يرضون بالتبسط في اموالهم وسروره ويقع على الواحد والجمع كالخليط
هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد
التبسط بينهم او كان ذلك في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم
ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني
ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا

يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف في الطباع في القزازة والنهمة
فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة
تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون من صلة للتحية فان طلب
الحيوة وهي من عنده تع وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها لا يرجى بها زيادة
الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضه انه صلى الله عليه واله وسلم
قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك وصل صلوة الضحى فانها
صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم
الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه وقال
لعلكم تعقلون اى الحق والخير في الامور انما المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين
آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد
والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيأذن لهم واعتباره في كمال الايمان
لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم
في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا
على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر فأذن لمن شئت
منهم تفويض للامر الى رأي الرسول واستدل به على ان بعض الكلام والاحكام مفوضة الى
رأيه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فأذن لمن علمت ان له
عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا
على امر الدين ان الله غفور رحيم لفرطات العباد رحيم بالتيسير لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض
والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه
محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء
الحجرات ولكن بلقبه المعظم يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او
لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا
دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله

ربع

الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا
ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه و
انتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون عن امره بترك
مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون
المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف
والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم
فتنة محنة الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه
يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام
المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم
عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد
الوعيد ويوم يرجعون اليه ويوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب
ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة
عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء
وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان
لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام
الماء فيها لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا
فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه
مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وامته كقوله تع لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون
العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه
الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي
له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا
ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا

الفرقان

ونفي ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه
احداثا مراعيا فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال
معينة فقدره تقديرا فقدره وهياه لما اراد منه من الخصايص والافعال كتهية الانسان
للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة
الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق لخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شي فقدره للبقا الى اجل مسمى في ايجاده حتى لا يكون
متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد
على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا
يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا ادفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك
فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان
يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه
عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل
جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما وزورا بنسبة ما هو
بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي
واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم
حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها
فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء
مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما
فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما يقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم
صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل
الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما
باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز
الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله قل
انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه

نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز يستظهر به وليستغني عن تحصيل
المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز
فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون
وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون
الا ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا
انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي
ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل
الجزاء وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع
كقوله شعر وان اتاه خليل يوم مسئلة : يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا
بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت
انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك
كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك
بما وعدك الله لك في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان
اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تراءى ناراهما اي لا يتقاربان
بان يجب يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان
بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت
غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك
لزبانيتها اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا
ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله
الجنة بان عرضها كعرض السماء والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا
هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم وادعوا ثبورا كثيرا

لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد
للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح
او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده
الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء
لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب
لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على الحق
رتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا
تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير
في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او
مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا و
ادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء
الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على العهد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم
للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله
يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شيء ومن او
لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها
او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان
الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن
عامر بالنون أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح و
اعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير
النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب ۵
وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون
او جمادات لا يقدر على شيء واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال
عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرك ان نتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء
للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء

ومن التبعيض

ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في
الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لالائك والتدبر في اياتك
وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما
ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات
الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون
في قولكم انهم الهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء
على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
ولا نصرا يعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار
والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين
عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا
اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ
يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما قالوه بعد نقضه وفيه دليل
على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم
ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك
بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا
بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء
ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول
لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل
فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم
اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تعالى في
اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى

الجعل التأثيري

رايته حيث عاينوا المعجزات الباهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم كقوله شعر وجارة جساس ابانا نابها كليبا علت ناب كليب بواءها
يوم يرون الملئكة ملئكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ
للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى ويعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان
او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى والموجب لما بعدها ويقولون حجرا محجورا عطف على
المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون
عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملئكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ
حجرا محجورا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك
لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى
الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه
حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها
اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا
صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن
نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر
بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر
فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح با
الازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا
اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل
من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في
الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر و
يعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام والملئكة ونزل الملئكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد
وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزلت ونزل الملئكة وتنزل الملئكة بحذف نون الكلمة الملك

يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن
صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن و
كان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض
اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد
بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعاه
الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة ومات
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق
ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
يعني اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر
عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان
الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالفته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من
جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من
الخذلان وقال الرسول يا رب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ او في الدنيا بثا الى الله تعالى
ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وآله
وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول
يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا
انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر
كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب و
كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه
خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا
لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا
يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان
الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك

معلقا

لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه
جملة لتعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب
الوقايع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال ليثبت به فؤاده
ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالة اللفظية فانه
يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول
عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف
عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف و
رتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شىء على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة او ثلث و
عشرين واصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كأنه
مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له فى جوابه و
احسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا وما هو احسن
كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين
اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على
الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا و
المفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك
مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين
كذبوا بآياتنا يعنى فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما
فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل و
استحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمرانهم

على التأكيد بالنون المشددة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا
وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل كالبراهمة مطلقا اغرقناهم
بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا و
ثمودا عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على
تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه
فبيناهم حول الرس وهى البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة
بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها
من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكان يسكن جبلهم الذى يقال له فتخ او دمخ وتنقض
على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه فى بئر وقرونا واهل
اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من
قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه
تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا
والثانى بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية
التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت مطر السوء عليها
الحجارة افلم يكونوا يرونها فى مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا
لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا
يخافونه على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع
هزؤ او مهزوا به اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار
واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما و
استهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن
آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى
الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا

فى مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه
هويه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية
به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون فتجدى لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله
حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر
استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام فى عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم و
عدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد
من يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا
لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون
اعظم العذاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه
او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه
وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئى فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو
اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر و
لذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها
ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن
ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما مبادى اوقات
ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت السماء عليها ظلها ولو شاء
لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع

الدليل

الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام
المظلة والمظل عليها وهو الذى جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس فى ستره
والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفيكم
بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
وعن لقمان يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح اى الرياح وقرا ابن كثير الريح
نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به و
عاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويتوقد به قال
صلى الله عليه وآله وسلم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا
احديهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث
بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه
وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على
ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا بالنبات
وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر الابنية المبالغة فاجرى مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون
بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وساير الحيوانات تبعد فى طلب الماء
فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد
انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعليه معايشهم منوطة بها ولذلك قدم
سقيها كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ ونسقيه من سقى واسقى لغتان
وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف الياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان
اصله اناسين فقلب النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس فى
القرآن وساير الكتب والمطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة
من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء
وتلا هذه الاية او فى الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك

ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة
وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان
كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو شئنا
لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا عليك اجلالا
لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة
واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به
بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك
فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج
اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم
او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين قامع العطش
من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما
يقول للاخر ما يقول المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري
في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر
الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان
مقتضى طبيعة كل عنصرين تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من
الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة ادم وجعله جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل
الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي
ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل
بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد
بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف
ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسالكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا و
نذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه و

يطلب

يطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله
واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك
بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود اليه بالثواب من حيث انها بدلالته صلى الله عليه واله وسلم وقيل الاستثناء منقطع معناه
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا
ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف
الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما
بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه
حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتاني في الامر
فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان
جعلته مبتدا او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة
للحي فاسال به خبيرا فاسال عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى
او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه على الله فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز
ان يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء
لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا
اي للذي تامرناه بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان له وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا
بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك
الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا
بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم
مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف

كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر او اراد ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان
لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما
فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر
وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ
خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص و
التفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا
هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء
والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخ لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل
احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو
ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون
الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت
مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير
محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة
الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تع والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في
المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون بضم التاء ونافع وابن عامر بلم يقتروا من اقتر وقرئ
بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين
كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان
او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى
غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق
متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت
لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك و
تعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق

اثاما

اثاما جزاء اثم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق
لانه في معناه كقوله شعر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ
ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت
مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف
منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات
ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما
فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع اليه بذلك متابا مرضيا
عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع
بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون
الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة
فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم
عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما و
عميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها
سامعين باذان واعية ومتبصرين بعيون راعية فالمراد بالنفي نفي الحال دون الفعل كقولك
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه
اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم
به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين
وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر
الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم
طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد
طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك

يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس مراد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون وللقراءة
بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي
يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل
آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع
بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان
وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا
دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل اي عبء
يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال
اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما
وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق
بكم لا محالة او اثره لازما لكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على
انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم
كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن
بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية
الا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه
حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته
والاشارة الى السورة او القرآن على ما في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل
البخع ان تبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا
او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحم
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء
اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ

خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما
يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد
انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا واصرارا على ما
كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى
الاستهزاء المخبر عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء
ما كانوا به يستهزئون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او
يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان يكون مقيدا لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان يكون مبينا منبها على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي في انبات تلك الاصناف او في كل واحد
لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في
علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب
القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب
وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت
القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف
بيان ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه
ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم
زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن
تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا
ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاءه ضم اخيه واشراكه له في الامور الثلثة
خوف التكذيب وضيق القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق به لانها اذا اجتمعت
للحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة لا تختل دعوته ولا تنبتر
حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله
وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما
خاف عليه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي

وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار لقصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به
قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك
استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين
بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا على تغليب
الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قال ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري
بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا
لامدادا اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء
للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا
فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك
بين المرسل والرسالة قال الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم كل واحد منا ان ارسل
معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا
معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا
وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قال لبث فيهم
ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق
سبعين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما
عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى
عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى
التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالالهية او بنعمته لما عاد عليه
بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين
وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او
الذاهبين عما يؤل اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد
اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان
صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا و
هي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك

وحصول

وحصوله في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل
ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة والجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك
اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت تلك عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة
تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار
منه ومن ملئه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك
شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن المرسل قال رب السموات والارض وما
بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله
ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة
ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ
لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات
عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف
بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جواب
سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو
مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى
ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند
المتأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر
وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه
يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على
وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم
فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا
ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله الا
تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره
بقوة طالعة استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني
فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو
جئتك بشيء مبين اي افتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها
الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحا

وليها الهمزة بعد حذفها لفعل قال فأت به إن كنت من الصادقين أي في دعواك
في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة لا بد له من حجة فألقى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر ونزع يده
فإذا هي بيضاء للناظرين روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده
قال فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق قال للملإ
حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال إن هذا لساحر عليم فائق في علم السحر
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى
الربوبية إلى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه
على ملكه قالوا أرجه وأخاه أخر أمرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا
يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع
السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم
الزينة وقيل للناس هل أنتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم إليه
كقول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق أي ابعث أحدهما
إلينا سريعا لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا والترجي
الترجي لاعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا
السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن
المقربين التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن غلبوا فإذن على ما يقتضيه من الجواب
والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي بعدما قالوا له
إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الإذن في تقديم
ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به إلى إظهار الحق فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم
وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف تبتلع
وقرأ حفص بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون
حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فألقي السحرة
ساجدين لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل
لا حقيقة وأن التبحر في كل فن نافع وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما

رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا وطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من
التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من ألقي بدل الاشتمال أو حال بإضمار قد رب
موسى وهارون إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجرى على
أيديهما قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم
شيئا دون شيء ولذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه أراد به التلبيس على قومه كيلا
يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح أآمنتم بهمزتين
فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم
أجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك إنا إلى ربنا منقلبون
بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله أو بسبب من أسباب
الموت والقتل أنفعها وأرجاها قالوا ربنا إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا
لأن كنا أول المؤمنين من أتباع فرعون أو من أهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان
لنفي الضير أو تعليل للعلة المتقدمة وقرئ إن كنا لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة
المدل بأمره إن أحسنت إليك وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي وذلك بعد سنين
أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع
أن اسر بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ أن سر من السير إنكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث
لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه
عليهم فأغرقهم فأرسل فرعون حين أخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعهم
إن هؤلاء لشرذمة قليلون على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا
بالإضافة إلى جنوده إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنه ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل وإنهم
لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وإنا لجميع حاذرون وإنا لجمع من عادتنا
الحذر واستعمال الحزم في الأمور أشار أولا إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى ما يدعو
يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه أو اعتذر بذلك إلى أهل
المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والأول للثبات
والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو أيضا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرا
وقرئ حادرون بالدال أي أقوياء قال شعر أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو

حاذرون او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حذاره في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا
داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعني
المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل
ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى
الجمعان تقاربا بحيث راى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا
لمدركون الملحقون وقرئ لمدّركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة
سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما كان بين
يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي
اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي
فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ
فرعون وقومه حتى دخلوا على البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم
ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن
بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه
واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم
ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا
جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون
عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد
قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على
الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء العابدين لهم من حيث انهم يتضررون

من جهتهم

من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغري بعبادتهم اعداء اعدائهم وهو الشيطان لكنه
صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانه نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء
منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو
يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة و
التنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق
واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة
ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على من يطعمني ويسقين لانه من
روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض
اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به
لا ضرر فيه انما الضرر في مقدمته وهو المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر
دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط
من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة
انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا بقدرة العزيز الحكيم والذي
يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط
منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله
كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في
العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل
لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل
لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما
من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما
كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في
الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين

طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما
فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب
عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى
الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او الضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل
المعاصي وساير افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر
وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة
وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن
سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف
فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون
اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون
الله من الالهة الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة
وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى
يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد
للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه
في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق
الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق
العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة
والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء
ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا
صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان
الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل
مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمني للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما

في معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي
لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم عليه السلام لاية لحجة وعظة لمن اراد ان
يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة
علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
ومخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر
قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال
لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر
على قويمة وتكذيبهم الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم
الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله
واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من
الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد
والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف
اذا اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع ارذل
على الصحة وقرئ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا
من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا
عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر و
بصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا
او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم
الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه
حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا
رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي
طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي
ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني

بينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او من شوم عملهم فانجيناه
ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه
ان في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم
ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله و
اطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير
القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو
الى ثوابه ويبعده عن عقابه فان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع
مبرؤون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه
ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في
اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او
قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بطشتم جبارين متسلطين
غاشمين بلا رأفة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء و
اطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على
امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد
والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها
بالاجمال في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام
وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في
الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة في
قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او
ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر و
عاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله
او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا عادة الاولين ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه
من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل عليها الناس وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان

اكثرهم

ثمن

اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال
لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا
آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعم في تخلية الله اياهم في اسباب تنعمهم آمنين ثم
فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او
لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها
غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من فاتقوا الله و
اطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او
نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين
سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهو الرئة من الاناسي فيكون ما انت الا بشر
مثلنا تاكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة
اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم
ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم
عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم
لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان
قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اي اتأتون من بين من عداكم من
العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث
فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث

أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا فإنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
أيضا بل أنتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات
أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه
الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه أو عن نهينا أو تقبيح أمرنا لتكونن من المخرجين المنفيين
من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من
القالين من المبغضين غاية البغض لا أقف على الإنكار عليه بالإبعاد وهو أبلغ من أن يقول إني
لعملكم قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم رب نجني وأهلي مما يعملون
أي من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم
من بينهم وقت حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين
في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت
فيمن بقيت في القرية فإنها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا
قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع
المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين الأيكة غيضة تنبت
ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان
أجنبيا منهم فلذلك قال إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة
شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت هاهنا وفي ص بغير الألف
اتباعا للفظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس
بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وإن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس
بتكرير العين وإلا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم
لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين وذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين
وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وإن نظنك لمن الكاذبين في دعواك
فأسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد

وقرأ حفص بفتح السين إن كنت من الصادقين في دعواك قال ربي أعلم بما تعملون وبعذاب
منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة
على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على
تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع أن يقال إنه كان بسبب اتصالات
فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الأمين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه
وآله وسلم فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيا من الله عز وجل والقلب إن أراد به
الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولا على الروح ثم
تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة
والروح الأمين جبرئيل فإنه أمين الله على وحيه لتكون من المنذرين عما يؤدي إلى عذاب من
فعل أو ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل
ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب
ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإنه لفي زبر الأولين وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة أولم
يكن لهم آية على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلمه علماء بني إسرائيل
أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها
الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه خبر ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر
أن يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الأعجمين كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك
سلكناه أدخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل
الآية على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به
عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان فيأتيهم بغتة في الدنيا
والآخرة وهم لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا أفبعذابنا
يستعجلون فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب

النظرة أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم
ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما أهلكنا من
قرية إلا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة
او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى
لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين و
قبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على
الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع
لكلام الملئكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور
الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق
ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملئكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين
تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فا
لاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا
اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض
الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على
ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي
يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل
على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين و
ترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر
الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم و
انما وصفه تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه و
نصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران
لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
لا يصلح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال

الانسان

الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وآله وسلم على
خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها
اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة
لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على
معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع
الى الملا الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون
مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت
به الملئكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع
محمد صلوات الله عليه وآله ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم
في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب
بالحرم والغزل والابتهال وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون فكانه
لما كان اعجاز القران من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي
اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول
لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى ويكون اكثر اشعارهم في
التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة
هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين ومن كعب بن مالك الانصاري صلى
عليه وآله وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان صلى الله عليه وآله
وسلم يقول لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي
اي منقلب اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر حين عهد اليه وقرئ اي
منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب
الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا

سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح عليه السلم وكذب به وهود
صالح وشعيب وابرهيم عليهم السلم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى اى السورة والكتاب المبين اللوح
واباته انه يخط فيه ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقدمه
في الجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه
على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ كتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل
فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران لها او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
من تتمة الصلوة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم
الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير
الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زينا اعمالهم القبيحة بان
جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب
المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين
لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد
الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من
لدن حكيم عليم اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة
الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها
ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله
اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم
منها بخبر اى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته
لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان ابطأ او
آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا
وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس

والعدتان

والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على انه
لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على
عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودي ان بورك بورك فان النداء فيه معنى القول وان بورك على انها مصدرية او مخففة
من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف
غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها
مبعث الانبياء وكفاتهم ومحط رحالهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها
موسى وقيل المراد موسى والملئكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قضى له امر
عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به
لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه
من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره
والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي
القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير وألق
عصاك عطف على بورك اى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك
ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله فلما رآها تهتز
تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اى من غيري
ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون اى حين يوحى اليهم من فرط
الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله تعالى او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك
به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض
موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم
بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل

الجيب القميص لانه جيب اي قطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في
جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
متعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين نحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين
تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول
اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر
من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها
وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها
وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا
ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق
في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم و
الشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطف بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في
مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير
من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف
اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي
لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل
على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه
في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي
علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به
عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت
الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للخيالات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه
ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه
به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ولعله كان صوت البلبل عن

شبع

شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا
له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي
كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد
وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم
على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى
اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا
اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى
الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها وصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال
فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله
فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث
يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة
الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من
ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه التي
انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وتعميما لها فان النعمة عليهما نعمة
والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة
للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف
الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة
كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك وقال اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف
ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه
ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة
على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف
عليه بعطفه عليهما فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا
منه فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه على ان

فی ادنی خلق الله تنبیه لمن احاط علما بما لم یحط به لتتحاقر الیه نفسه ویتصاغر لدیه علمه وقرئ
بادغام الطاء فی التاء باطباق وغیر اطباق وجئتك من سبإ وقرأ ابن کثیر وابو عمرو غیر
مصروف علی تأویل القبیلة او البلدة بنبإ یقین بخبر محقق روی انه علیه السلام لما اتم بیت المقدس
تجهز للحج فوافی الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الی الیمن فخرج من مکة صباحا فوافی صنعاء ظهیرة
فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم یجد الماء وکان الهدهد رائده لانه یحسن طلب الماء فتفقده
لذلك فلم یجده اذ حلق حین نزل سلیمن فرأی هدهدا واقعا فانحط الیه فتواصفا وطار معه
لینظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحکی ما حکی ولعل فی عجایب قدرة الله وما خص به خاصة
عباده اشیاء اعظم من ذلك یستکبرها من یعرفها ویستنکرها من ینکرها انی وجدت امرأة
تملکهم یعنی بلقیس بنت شراحیل بن مالك بن الریان والضمیر لسبإ او لاهلها واوتیت
من کل شیء یحتاج الیه الملوك ولها عرش عظیم عظم بالنسبة الیها او الی عروش امثالها
وقیل کان ثلثین ذراعا فی ثلثین عرضا وسمکا او ثمانین فی ثمانین من ذهب وفضة مکللا با
لجواهر وجدتها وقومها یسجدون للشمس من دون الله کانهم کانوا یعبدونها وزین
لهم الشیطان اعمالهم عبادة الشمس ونحوها من مقابح اعمالهم فصدهم عن السبیل سبیل
الحق والصواب فهم لا یهتدون الا یسجدوا او زین لهم علی انه بدل من اعمالهم او لا یهتدون
الی ان یسجدوا بزیادة لا وقرأ الکسائی ویعقوب الا بالتخفیف علی انها للتنبیه ویا للنداء
ومناداه محذوف ای یا قوم اسجدوا کقوله شعر وقالت الا یا اسمع نعظك وعلی هذا صح ان
یکون استئنافا من الله او من سلیمان والوقف علی لا یهتدون فکان امرا بالسجود وعلی الاول ذما
علی ترکه وعلی الوجهین یقتضی وجوب السجود فی الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتین هاء
والا یسجدون وهلا یسجدون الذی یخرج الخبء فی السموات والارض ویعلم ما
تخفون وما تعلنون وصف له بما یوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بکمال
القدرة والعلم حثا علی سجوده وردا علی من یسجد لغیره والخبء ما خفی فی غیره واخراجه اظهاره
وهو یعم اشراق الکواکب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فی الشیء
بالقوة الی الفعل والابداع فانه اخراج ما فی الامکان والعدم الی الوجوب والوجود ومعلوم
انه یختص بالواجب لذاته الله لا اله الا هو رب العرش العظیم الذی هو اول الاجرام
واعظمها والمحیط بجملتها فبین العظیمین بون عظیم قال سننظر سنعرف من النظر بمعنی
التأمل اصدقت ام کنت من الکاذبین ای ام کذبت والتغییر للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب
بکتابی هذا فالقه الیهم ثم تول عنهم تنح عنهم الی مکان قریب تتواری فیه

ربع فانظر ماذا یرجعون ماذا یرجع بعضهم الی بعض من القول قالت ای بعد ما القی الیها
یا ایها الملأ انی القی الی کتاب کریم لکرم مضمونه او مرسله او لانه کان مختوما
او لغرابة شأنه اذ کانت مستلقیة فی بیت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من کوة والقاه
علی نحرها بحیث لم تشعر به انه من سلیمن استئناف کأنه قیل لها ممن هو وما هو فقا
لت انه ای ان الکتاب او العنوان من سلیمن وانه وان المکتوب او المضمون وقرئا بالفتح علی الابدا
ل من کتاب او التعلیل بسم الله الرحمن الرحیم الا تعلوا علی وان المکتوب بعد المضمون
وقرئا بالفتح ان مفسرة او مصدریة فیکون بصلته خبر محذوف ای هو او المقصود ان لا تعلوا
او بدل من کتاب واتونی مسلمین مؤمنین او منقادین وهذا کلام فی غایة الوجازة مع کمال
الدلالة علی المقصود لاشتماله علی البسملة الدالة علی ذات الصانع وصفاته صریحا او التزاما
والنهی عن الترفع الذی هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل ولیس الامر فیه بالانقیاد
قبل اقامة الحجة علی رسالته حتی یکون استدعاء للتقلید فان القاء الکتاب الیها علی تلك
الحالة من اعظم الدلالة قالت یا ایها الملأ افتونی فی امری اجیبونی فی امری الفتی واذکروا
ما تستصوبون فیه ما کنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتی تشهدون الا بمحضرکم
استعطفتهم بذلك لیمالئوها علی الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا بأس
شدید نجدة وشجاعة والامر الیك موکول فانظری ماذا تأمرین من المقاتلة
والصلح نطعك ونتبع رأیك قالت ان الملوك اذا دخلوا قریة افسدوها تزییف لما
احست منهم من المیل الی المقاتلة بادعائهم القوی الذاتیة والعرضیة واشعار بانها تری الصلح
مخافة ان یتخطی سلیمن خططهم فیسرع الی افساد ما یصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب
سجال لا تدری عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخریب دیارهم
الی غیر ذلك من الاهانة والاسر وکذلك یفعلون تأکید لما وصفت من حالهم وتقریر بان
ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصدیق لها من الله عز وجل وانی مرسلة الیهم بهدیة بیان
لما تری تقدیمه فی المصالحة والمعنی انی مرسلة الیهم بهدیة ادفعه بها عن ملکی فناظرة بم
یرجع المرسلون من حاله حتی اعمل بحسب ذلك روی انها بعثت منذر بن عمرو فی وفد
ارسلت معهم غلمانا علی زی الجواری وجواری علی زی الغلمان وحقا فیه درة وثقب الدرة ثقبا
مستویا وسلك فی الخرزة خیطا فلما وصلوا الی معسکره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت الیهم نفوسهم
فلما وقفوا بین یدیه وقد سبقهم جبرئیل بالحال طلب الحق واخبر بما فیه فامر الارضة فاخذت
شعرة ونفذت فی الدرة وامر دودة بیضاء فاخذت الخیط ونفذت فی الجزعة ودعا بالماء وکا

للجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به
وجهه ثم رد الهدية **فلما جاء سليمن** اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا **قال
اتمدونن بمال** خطاب للرسول ومن معه او للرسل والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب
بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء **فما آتاني الله** من النبوة والملك الذي
لا مزيد عليه **خير مما آتاكم** فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي **بل انتم بهديتكم
تفرحون** لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة
اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتقليله
الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها **ارجع**
ايها الرسول **اليهم** الى بلقيس وقومها **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها** لا طاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم **ولنخرجنهم منها** من سبا **اذلة** بذهاب
ما كانوا فيه من العز **وهم صاغرون** اسراء مهانون **قال يا ايها الملؤا ايكم
يأتيني بعرشها** اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في
دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره **قبل ان يأتوني مسلمين**
فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها **قال عفريت** خبيث مارد **من الجن** بيان
له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا **انا آتيك به قبل ان تقوم
من مقامك** مجلسك للحكم وكان يجلس الى نصف النهار **واني عليه** على حمله **لقوي
امين** لا اختزل منه شيئا ولا ابدله **قال الذي عنده علم من الكتاب** آصف بن
برخيا وزيره او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله تعالى به او سليمن نفسه فيكون التعبير عنه
بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة بسببه والخطاب في **انا آتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك** للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجز في نقله
فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب
جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك
الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والارتداد
فالمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه **فلما رآه** اي العرش **مستقرا عنده** حاصلا بين يديه **قال** تلقيا للنعمة بالشكر
على شاكلة المخلصين من عباد الله **هذا من فضل ربي** تفضل به علي من غير استحقاق

والاشارة

والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه
او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء **ليبلوني ءاشكر** بان اراه فضلا من الله
تعالى بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه **ام اكفر** بان اجد نفسي في البين او اقصر في ادائها
ومحلهما النصب على البدل من الياء **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** لانه به يستجلب
دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران **ومن كفر فان
ربي غني** عن شكره **كريم** بالانعام عليه ثانيا **قال نكروا لها عرشها** بتغيير هيئته وشكله
ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف **اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون**
الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته
مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس **فلما جاءت قيل اهكذا عرشك** تشبيها عليها زيادة
في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل **قالت كانه هو** ولم تقل هو لاحتمال ان
يكون مثله وذلك من كمال عقلها **واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** من تتمة كلامها
كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار المعجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله
وصحة نبوتك قبل هذه الحالة والمعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمن وقومه عطفوه
على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا
غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الانبياء واوتينا العلم
بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه
التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له **وصدها ما كانت تعبد من
دون الله** اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها
بالتوفيق للايمان **انها كانت من قوم كافرين** وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول
اي صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل له **قيل لها ادخلي الصرح** القصر وقيل
عرصة الدار **فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** روي انه امر قبل قدومها فبني
صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في
صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها حملا على جمع ثوبها
قال انه ان ما ظننته **صرح ممرد** مملس **من قوارير** من الزجاج **قالت رب اني
ظلمت نفسي** بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمن فانه حسبت انه يغرقها في اللجة **واسلمت
مع سليمن لله رب العالمين** فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من
ذي تبع ملك همدان **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله** بان

فاعله

اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والا
ختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة
فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا
يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم
ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت
علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء و
الضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان
في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين
النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض
ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص من شوائب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا
بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله
ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم
لنقولن فيه القراءات الثلث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا
اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا
كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا
لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل
مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا
مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في
شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا
الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقون
في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم و
قومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف
لا خبر كان لعدم العائد وان جعلت تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم
بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها
معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك

لآية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم
تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض
لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة
وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر
من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها
او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى
المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من
الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والصلوة على المصطفين من عباده شكرا على ما
انعم عليهم وعلما بجهل من حالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بأن يحمد
على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير
اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى
يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن خلق السموات
والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم
لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به من الغيبة الى التكلم
لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة
الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة ءاله مع الله اغيره يقرن به
ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ ءالها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون
وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي
هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها
من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها

أنهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل
بين البحرين برزخا تقدم بيانه في الفرقان أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون الحق
فيشركون به أمن يجيب المضطر إذا دعاه المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجأ إلى الله
من الاضطرار وهي افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس والاستغراق ولا يلزم منه إجابة كل
مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الإنسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الأرض خلفاء فيها بأن
ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة و
الخاصة قليلا ما تذكرون أي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم
أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف
الذال أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الأرض والظلمات ظلمات الليالي
أضافها إلى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح السبب الأكثري في تكون الرياح
معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الأسباب
الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على
مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ
الخلق ثم يعيده والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم
من السماء والأرض أي بأسباب سماوية وأرضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا
برهانكم على أن غيره يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشراككم فإن كمال
القدرة من لوازم الألوهية قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله لما بين اختصاصه
بالقدرة التامة العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع
رفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض ففيها من
يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه
بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف
وما يشعرون أيان يبعثون متى ينشرون مركبة من أي وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن
وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآل لهم لا
محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في أمر لا يجد عليه
دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وإن اختص بالمشركين

من في السموات والأرض نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل والإضرابات الثلاث تنزيل
لأحوالهم وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في الآخرة
تهكما بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لأنها تلك غايتها التي عندها
تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع
من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك وأبو بكر ادّرك وأصله تفاعل وافتعل وقرئ بل أأدرك
بهمزتين وآأدرك بالألف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى أدرك وأم أدرك وأم تدارك وما
فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير للإدراك
على التهكم وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها
بل إنهم منها عمون ردا لشعورهم وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا
لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لأن كلا
من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار والمراد بالإخراج
الإخراج من الأجداث أو من حال الفناء إلى الحياة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
وعد محمد وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث نظرا
إلى الاهتمام إن هذا إلا أساطير الأولين التي هي كالأسمار قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل
ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا
تحزن عليهم على تكذيبهم وإعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد
وهما لغتان وقرئ ضيق أي أمر ضيق مما يمكرون من مكرهم فإن الله يعصمك من الناس
ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون
ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل
دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى
ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها إظهارا لوقارهم وإشعارا بأن الرمز
منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وإن ربك لذو فضل
على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الإفضال وجمعها فضول وفواضل
ولكن أكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه
وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت أي سترت
وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والأرض خافية فيهما

وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة
وعافية إلا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه
واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به إن
ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه
وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
إنك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره إنك لا تسمع الموتى
تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى
لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا
مدبرين فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر إن تسمع اي ما يجدي اسماعك الا
من يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله وإذا
وقع القول عليهم إذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب أخرجنا
لهم دابة من الأرض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش
وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل من اين تخرج فقال من
اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ
تكلمهم وروي تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة
بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه أن الناس كانوا
بآياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن لا يوقنون لا يتيقنون و
هي حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار
ويوم نحشر من كل أمة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي
فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين
فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى إذا جاءوا الى المحشر قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم
بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب
او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها أماذا كنتم تعملون
أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا

يقدرون ان يفعلوا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم
في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار
لشغلهم بالعذاب ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب
النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على ابدال
الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان وان من جعل
النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم
ومعادهم أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا
فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها إن في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة النوم والقرار والابصار ويوم ينفخ في
الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع
من في السموات ومن في الأرض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه إلا من شاء
الله أن لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة
وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل أتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل
وقرئ اتاه على توحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها
جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت
في سمت واحد فلا تكاد تبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة
المتقدمة كقوله وعد الله الذي أتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي إنه
خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة و
قيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به
خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم
لذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم
وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم
والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار
فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريد بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم
هل تجزون إلا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرمها امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما
بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا
الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم
لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين
او الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه
في تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فإنما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من
المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل
الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا
كما قد بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن لا ينفعكم
المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ
بالياء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق سليمن وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب نتلوا عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله
مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبئهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون به إن فرعون علا في الأرض استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر
وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
استعمل من كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله
يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود
في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب
فما وجهه إنه كان من المفسدين فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل
فاسد ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه
ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال
من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق الارادة

تعلقا

تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن
ونجعلهم أئمة مقدمين في الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه
ونمكن لهم في الأرض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير
للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا
يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان و
جنودهما بالرفع وأوحينا إلى أم موسى بالهام او رؤيا أن أرضعيه ما امكنك اخفاؤه
فإذا خفت عليه بان يحس به فألقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة
ولا شدة ولا تحزني بفراقه إنا رادوه إليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من
المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع
موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته
ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في
النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته
ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم
ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد
خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الى الخطا وقالت امرأت
فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما
راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري
يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه
الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه أو نتخذه
ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له
اي وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري
نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه وأصبح فؤاد أم موسى
فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وأفئدتهم
هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم
لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي

به انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا
على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه
لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ موسى اجرا للضمه فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها
همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم
قصيه اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع
من المرضعات جمع مرضع وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى من قبل من قبل قصصها اثره
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
فى رضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله
فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى بمن يكفله فاتت بامها وموسى على
يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى
كل ثدى الا ثديك فقالت انى امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها
ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد عليه
نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة وان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على
راس الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء و
العلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصه
لان استنباءه بعد الهجرة فى المراجعه وكذلك مثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين
ودخل المدينة ودخل مصر اتيا من قصر فرعون وقيل منفا او حابين او عين الشمس من نواحيها
على حين غفلة من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت
القيلوله وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا
من عدوه احدهما من شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والاخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب
به صدره فقضى عليه الموت فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك

نصف

الاخرين

١

قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر
منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال
رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب
عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت على قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة
وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون
معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله عنه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح
فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه
يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين بين الغواية لانك تسببت
لقتل رجل وتقاتل اخرى قال له موسى انك لغوى مبين بين الغواية لانك فلما ان اراد
ان يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا
اعداء بنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلى
لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قولهما انه الذى قتل القبطى بالامس
لهذا الاسرائيلى ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا
انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من ال فرعون وهو ابن عمه
ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل
من اقصى المدينه صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا
ياتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين
يامر الاخر وياتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة
للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينه خائفا يترقب
لحوق طالب قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما
توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن فى
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربى ان يهدينى سواء
السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ فى اوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كان يسقون منها

وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء
لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض
هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي يصدر
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج
للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على
رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب ثم تولى
الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله
الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت
الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه
اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية
متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها موسى
قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ليكافئك جزاء سقيك لنا ولعل موسى
انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه
طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص
عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي
الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير
اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها
وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها
بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر
نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به
على الثالث باضمار مضاف اي رعيه ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك
فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله
جرى على اجرة معينة بمهرها او برعية الاجل الاول ووعده ان يوفي الاخر ان تيسر قبل العقد

كانت الاضافة للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك وما اريد ان اشق عليك
بالزام تمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
فان ما يصعب عليك تشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان
شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك
بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او
اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدى علي بطلب الزيادة عليه فكما لا
اثم علي وهو المبالغة في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر
فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي
الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار
باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشرا اخرى ثم عزم على الرجوع
آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه
نار او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والتي على قبس من نار
جذوة شديدة عليها خترها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة
بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او
صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان
يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ
فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا
واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من
الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء
من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك بيديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف
الفزع بادخال اليمنى تحت العضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض
آخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر

جناحيه واذا امر بالطعن ضمها اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف
فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون
الهاء وقرئ بضمهما وبالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد
وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا
جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال
من قولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين
فكانوا احقاء بان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما
يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف
الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع
على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص
بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنها باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما
سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا
باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جواب لا يصلون او
بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة
له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا
سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر مفترى بالافتراء
كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين كائنا
في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون
وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن
الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان
المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها
بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه
لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون
يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي

ياهامان

يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما
في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد
منها اوضاع الكواكب فيرى فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي
المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه ما ليس فيهن وهذا
من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك
الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما
فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الاخذ واستحقار للماخوذين كانه
اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر
قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من
المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوار القلوب تبصر
بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها
نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت
وما كنت بجانب الغربي بجانب الوادي او الطور الذي كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب
الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى
موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه
او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من
قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة
بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به

تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك مخبرين
لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاولى
حينما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة و
قرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم من نذير
من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بها
بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم
العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا
هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى
انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعنى الرسول المصدق بنوع
من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل
ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل يعنى ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان
فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنى موسى وهرون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا
باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين
مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا
انا بكل كافرون اى بكل منهما او بكل من الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى اضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وفي
هذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم
يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون
اهواءهم اذ لو اتبعوا الحجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير

هدى

هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا
يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ
بالمواعيد والنصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل
اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران كالمستكن
في واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اى بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب
ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه
حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول
القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على
ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران
قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون
بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي
الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في
الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلوات الرحمن عليه
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني
اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها
نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال نحن
نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا
من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة
البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرا
نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا
حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه

عرب

تتعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من الله اذ لو علموا لما خافوا غيره
وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر
بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله
عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا
يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا
نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعول
على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث
فى امها فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا
لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل
والعتو فى الكفر وما اوتيتم من شىء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه
من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدى افلا تعقلون فتستبدلون الذى
هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء وهو ابلغ فى الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده
ولذلك عطف بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو
مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من
المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية
الكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك
رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين
اغوينا اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا
اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم
لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل اتصال

بفائده

به فائدة زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم
ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا
ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة
فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا
يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى
تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ
فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة
على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره
والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك
من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه
معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم
بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل
فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب
بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما
كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم راسا والامر
كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم
قيل المراد ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل
فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع
اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله
تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة
ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون
كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى
والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا
بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله و
التذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل شىء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم

ج

إن جعل الله عليكم الليل سرمدا دايما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص
الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغاير من اله غير الله
ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره اله وعن ابن كثير بضياء
بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما
يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما
يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من
استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا
من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه
عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء
اجلب لغضب الله من الاشراك او الاول لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند
وانما كان محض تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق
لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضايع ما كانوا يفترون
من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به
فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه
فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى
اصبر واتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما
يفتح به وقيل خزاينه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة
صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة
واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه
منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها و
الذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم
عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهي
ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ
فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة

ربع

اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتاخذ
منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن
بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي له عما كان عليه من الظلم
والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت
به على الناس واستوجبت التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان
اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف
وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او
رد لادعاء العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه
تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله
ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين
كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا كما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه
حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة
للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن
وعمل صالحا لا اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي تكلم
بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة
والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل
الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه
بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه
ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون
انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا
على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض

التفوق

خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسف به وكان قارون
يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي
وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره و
امواله فما كان له من فئة اعوان ينصرونه من
دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من
عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب
يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى
مشيته لا الكرام يقتضي البسط والمعنى شبه الله الامر ان الله يبسط وقيل ويك بمعنى ويلك و
ان تقديره ويلك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا
لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون
رسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت
خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة
وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين
ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع الظاهر موضع المضمر تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة
اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون
مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة
التي اعتدت بها على انه من العادة ورده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين و
اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي انه لما
بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما
يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه
من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت
ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى الكتاب اليك وما كنت ترجوه
الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال
وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل
عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله الى عبادته وتوحيده ولا تكونن

من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع
المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه
ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء
بالحق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى و
كذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب
الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين
متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه
احسبوا تركهم غير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب او
انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة
ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص
من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان
مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العقاب روي انها نزلت
في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى
عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في
الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه
وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي
وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام
حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان
يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب
وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء
ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان
يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث و

والثواب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على
احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت
المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر
ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم
بعقائدهم واعمالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما
يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما
كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعة ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائهما فعلا ذا
حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن
بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو وفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا
بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في
ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم
مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان
لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام وكذا التي في لقمان والاحقاف
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس
من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء
نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد
المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم و
ليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان

بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل
بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم
بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين و
الثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال
ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال و
الحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيامة سؤال
تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على رأس
اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة
للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف
من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة
فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم
ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده و
اتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابراهيم
عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه
اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلنا حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر
الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم
عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو شر مما هو خير او كنتم تنظرون في الامور
بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على
شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق
للتكليف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي
بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين

الى مطالبكم بعبادته متقيدين لما حفكم من النعم لشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه
ترجعون وقرئ بالفتح بالتاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم
من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا
تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق
ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون
اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء
صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلوة والسلم و
التنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله
فيهم بحال ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها حمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف
على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة
مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك
الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا
في الارض حكاية كلام الله لابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلم فانظروا كيف بدأ الخلق على
اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي
الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله
مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون
والكلام في العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرافة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته و
نسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب
من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين
ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في
مهاويها ولا التحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان شعر
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء او يدفعه عنكم والذين كفروا بايات الله
وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييئسون منها يوم القيمة فعبر عنه
بالماضي للتحقق والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم
بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا

اقتلوه

اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها
عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها
مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها
والتامل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان
يكون المفعول بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها
نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي
ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة
صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت
مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم وبين الاوثان على
تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم
منها فامن له لوط هو ابن اخته اول من آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني
مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم
الذي لا يامرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه
الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا و
نافلة حين ايس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة
فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة واتيناه اجره على هجرته
الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل
الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى اخر الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في
الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر
لفاحشتها من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها
لخبث طينتهم انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل
واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث
واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم المنكر في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا
لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف

الصادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
في استقباح ذلك او في دعوة النبوة او المفهوم من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية
لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في
ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او
معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه و
اهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل
بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته
كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع
وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا
امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر في الثاني وموضع الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل
او بعطفه على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا
منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون
بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها
الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعده وقيل بقية انهارها
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا
او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا
ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في
الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل
لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل

اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من
مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الذي بين
الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين
ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان
معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من
المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها
حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم
من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان
الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بالتعرض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما
اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل
بنى بيتا من حجر او جص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعناكيب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى
علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه
به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان وعاصم ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او
نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون
عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز
الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا من هذا شانه وان الجماد بالاضافة
الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر
على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من
افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء

على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود
بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية
للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه
واستكشافا لمعانيه فان القاري المتامل قد ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان
يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له
فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات
وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية
عن السيئات ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه
ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ
باية السيف وقيل هو منسوخ اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد
منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة او نبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو
من المجادلة التي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم و
الهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلوات الله عليه وآله
من الكتابين من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها
الا الكافرون المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيدهم صدقها لكونها
معجزة بالاضافة الى الرسول صلوات الله عليه وآله كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم

الشرعيه على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق العادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي التجوز
في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت من يخطه ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه
من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز
المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم
باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه اية من
ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص ايات
قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير
مبين ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة
لا تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت
دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة
عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا
من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم
ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه
حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم
بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب
او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم
يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت
ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر

البصريون بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة
فإياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى
حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلوة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة
وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي
واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله
لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي
لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصابها باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف
المؤقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم
والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين
الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين من دابة
لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها
وإياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم
الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا
بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم
اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود
فأنى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب
وان يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم
يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض
من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم
انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك
من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون
فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون
ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند
الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون

به ساعة

به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان
الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله
حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب
اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها
عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا متصل بما دل عليه شرح حالهم
اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر في الفلك كائنين في صورة من اخلص دينه
من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما
نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجئوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام
فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة
الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون
عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاينون اولم يروا يعني
اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن
القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله
تغاورو وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله
بالصنم والشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين
للاهتمام والاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم شريكا
او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا
قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين
تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل
هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترءوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم
جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول
الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون وتسع او ثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في أدنى الأرض أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم أو في أدنى
أرضهم من العرب واللام بدل من الإضافة وهم من بعد غلبهم من إضافة المصدر إلى المفعول
وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين روي أن فارس غزوا الروم
فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر
إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر لا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاها مائة
قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلوات الرحمن عليه وآله بعد قفوله من أحد
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي وجاء به إلى رسول الله صلى
عليه وآله وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح
وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة
التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون إضافة الغلب إلى الفاعل
لله الأمر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
إلا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل قبلا وبعدا أي أولا
وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له
لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم
وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين بإظهار صدقهم أو بأن ولى بعض أعدائهم بعضا حتى
تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده
بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في
معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ما يشاهد
منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون
لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على

الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور إدراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فإن من العلم
بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها
وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا وأما باطنها فإنها مجاز إلى الآخرة ووصلة إلى نيلها وأنموذج
لأحوالها وإشعارا بأنه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا أولم يتفكروا في أنفسهم
أولم يحدثوا التفكر فيها أو لم يتفكروا في أمر أنفسهم فإنها أقرب إليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها
للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات بأسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها قدرته على إبدائها
ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق متعلق بقول أو علم محذوف يدل
الكلام عليه وأجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء
جزائه عند انقضاء الأجل المسمى أو قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون أن
الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم إلى آثار المدمرين قبلهم كانوا أشد منهم
قوة كعاد وثمود وأثاروا الأرض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور
وغيرها وعمروها وعمروا الأرض أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد
غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها
وهم أضعف حالا فيها إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في
أقطار الأرض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون إلى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات أو الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم
من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم ثم
كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أي ثم كان عاقبتهم العقوبة أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر
موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن يكون تلك عاقبتهم وأنهم جاءوا بمثل أفعالهم والسوأى
تأنيث الأسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت بها أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤن علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى أو خبر كان والسوأى مصدر أساؤوا أو مفعوله
بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا
بها ويجوز أن يكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للإبهام والتهويل
وأن يكون أن مفسرة لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى
القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وأن كذبوا على الوجه المذكورة

الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض التي تظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها بعد يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب للحيوة بالموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء

ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا يكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله

الا ايهذا اللائمي احضر الوغى … وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

او الفعل منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما … اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون

ثمن

عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته
أن تقوم السماء والأرض بأمره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين
من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الالة ثم إذا دعاكم دعوة
من الأرض إذا أنتم تخرجون عطف على أن تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته
قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا
والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة
ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق
بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية
للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والأرض كل
له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد
هلاككم وهو أهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى
ان يعيد وله المثل الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول
لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الأعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات
والأرض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته
الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من أنفسكم منتزعا من
احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من مماليككم من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فأنتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه
كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم
أنفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات
نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين
ظلموا بالاشراك أهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه
فمن يهدي من أضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة
ويحفظونهم من آفاتها فأقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل
للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما
دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة

الاسلام

الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل
لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له
او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس
لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين إليه راجعين من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى
وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية
خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت
بخطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين و
تفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم
الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون
مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا وإذا مس
الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين إليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة إذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم
بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد
لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ
بالياء على ان تمتعوا ماض أم أنزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه
برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون
باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته وإذا أذقنا الناس رحمة نعمة من صحة
وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وإن تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم بشؤم معاصيهم
إذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء فما لهم
لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج الحنفية
على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وصف لهما من الزكوة و
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير
للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم
من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما
جئتم به من اعطاء ربا ليربو في أموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله

فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب اى لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما آتيتم
من زكوة تريدون وجه الله يبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذووا
الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او
اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات
فيه للتعظيم كانه خاطب به الملئكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او
فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا
عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع
عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكونوا شركاه سبحانه وتعالى عما
يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم
المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل
المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم
اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة
غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة
وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك
وتحقيق صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو
الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك
للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد
قوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته
القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاختصار

على خواص المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين
فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك
ضميرهم من ترك الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله
بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا
والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات
وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب
عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها
باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد
ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين
اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم
حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن
عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه
متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة
في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون
جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه
مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة
على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين
فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه
ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده
الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر
على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون
من الكائنات الراهنة ما يكون مواده تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة
وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا

فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان
مصفرا لم يمطر واللام موطية للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم
وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا على الله
ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم يياسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر
والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب
زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان
لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهاد العمى عن ضلالتهم سماهم
عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم
مسلمون لما تامرهم به الله الذى خلقكم من ضعف ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف
اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل
من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم اقوى
لقول ابن عمر قراتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضعف فاقرانى من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء
من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير فان الترديد فى الاحوال المختلفة
مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم
فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام
غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة او نسيانا كذلك مثل
ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون فى الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه او قضائه او
ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث
فهذا يوم البعث الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى

ما بين

النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين
بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان
المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون
لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا
من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس
فى هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة
كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من
الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق
الرسول ولئن جئتهم باية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم
وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل
ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
ولا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اى لا يزيغنك
فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الروم كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته

سورة لقمن مكية وقيل الا الآية وهى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل
الا ثلثا من قوله ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وهى اربع وثلثون آية وقيل
ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه فى يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان
من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص
لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادهم بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح
ومن الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها

الاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث
المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه
وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او
بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة
والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق
باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن
لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل
لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن
في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه ان العذاب يحيقه لا محالة وقرا
نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي
لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به
اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس
كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استئناف وقد سبق في الرعد وألقى
في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضي
تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين
وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم
من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال
العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من
دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما
مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن
تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب
او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية

واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا
وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل
فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق
صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب
شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى
القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود
نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو
يعظه يا بني تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على
لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي
تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ
بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل و
الفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال من
ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاق الاشراك تقليدا لهما
وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا
صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد
والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم
تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية
لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة
في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في
الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم
تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك

مثقال حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة
الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة
كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة فتكن فى صخرة او فى
السموات او فى الارض فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله
كمقعر وقرى بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنه يات بها الله يحضرها فيحاسب عليها
ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفى خبير عالم بكنهه يا بنى اقم الصلوة تكميلا لنفسك
وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد
سيما فى ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور
اى قطعه وقطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم
الامر اى جد ولا تصعر خدك للناس اى ولا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله
المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعترى البعير فيلوى عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى
ولا تصاعر وقرى ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه ولا تمش فى الارض مرحا اى فرحا
مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال
فخور علة النهى وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا لتوافق رؤس الاى
واقصد فى مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام سرعة المشى
تذهب بهاء المؤمن وقول عايشة كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرى بقطع
الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان
انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال
طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة
وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكر دون الاحاد او لانه مصدر فى الاصل الم
تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما
فى الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط وغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة و
باطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة
وقرى واصبغ عليكم بالابدال نعمة بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل فى الله فى توحيده
وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير
انزله الله كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد فى الاصول او لو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون

الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤل اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره
اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى
باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن فى عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل
فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صاير اليه ومن كفر
فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك فى الدنيا والاخرة وقرى فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض
الينا مرجعهم فى الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم
بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان
ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ
او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح
الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم
الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله
ما فى السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر
المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وامدها
ورفعه بالعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستانف والواو للحال ونصبه
البصريون بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرى بالياء والتاء ما نفدت كلمات
الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل
فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شىء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب
لليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او امروا وفد قريش عن قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شىء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة
مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع
يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق
الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر

كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه إلى أجل مسمى إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة
والقمر إلى آخر الشهر وقيل إلى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى أن الأجل ههنا
منتهى الجري وثم غرضه حقيقة ومجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وأن الله بما
تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع
واختصاص الباري بها بأن الله هو الحق بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته
أو الثابت الالهية وأن ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا
يتصرف إلا بجعله أو الباطل الالهية وقرأ الكوفيون والبصريون غير أبي بكر بالياء وأن الله هو
العلي الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه ألم تر أن الفلك تجري في البحر
بنعمت الله بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
إنعامه والباء للصلة أو الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز
في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله إن في ذلك لآيات لكل
صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر والآفاق والأنفس شكور يعرف النعم ويتعرف
مانحها أو للمؤمنين فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وإذا غشيهم علاهم و
غطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة
وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الخوف الشديد فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي
هو التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره الانزجار وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار
غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو لما كان في البحر والختر أشد الغدر كفور للنعم يا أيها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه و
قرئ لا يجزئ من أجزأ إذا أغنى والراجع إلى الموصوف محذوف أي لا يجزي فيه ولا مولود
عطف على والد أو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على أن
المولود أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة
إن وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي
إن الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال متى قيام الساعة وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر و
حمل امرأتي ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه مفاتح الغيب خمس وتلا هذه

الاية

الآية وينزل الغيث في إبانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بالتشديد ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أتام أو ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا من خير أو شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس بأي أرض تموت كما
لا تدري في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمن فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه
فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل
فقال الملك كان دوام نظري إليه تعجبا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وإنما
جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على أنه إن
عمل حيلة وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم
ينصب له دليلا عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن إن الله عليم
يعلم الأشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلوة والسلم من قرأ سورة
لقمن كان لقمن رفيقا يوم القيمة وأعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم إن جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على أن التنزيل بمعنى المنزل
وإن جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من
رب العالمين حالا من الضمير في فيه لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا
ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله أم
يقولون افتريه بإنكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فإنه تقرير له
ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولا إلى إعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر
ذلك بنفي الريب عنه ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكارا له وتعجبا
منه فإن أم منقطعة ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال
لتنذر قوما ما أتيهم من نذير من قبلك إذ كانوا أهل الفترة لعلهم يهتدون
بإنذارك إياهم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى
على العرش مر بيانه في الأعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم إذا
جاوزتم رضا الله أحد ينصركم ويشفع لكم أو ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم
وينصركم في مواطن نصركم على أن الشفيع متجوز به للناصر فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر أفلا
تتذكرون بمواعظ الله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية

ربع

كالملكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه
موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة
يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به
الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة
فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم
يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة
وقيل يدبر المامور به الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم يعرج اليه خالصا كما
يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص وقرئ يعرج ويعدون ذلك
عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد
في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه
موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل
علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرا نافع و
الكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا
خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تسيل منه
اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما
ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان لشانه
له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع و
الابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون
شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا
فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل
فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو يبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب
انا على الخبر والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي
ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها
شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته
واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى
ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من
الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا

الى الدنيا

الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع و
لا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ و
الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن
سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يرد عليه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم
فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له
انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها
تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به
من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر
العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا
بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث
بحمد ربهم حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على نعمه الاسلام واتمام الهدى وهم
لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا
في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل
من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم وقرا حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى و
الفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او
استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاء
لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان

التنبيه

سجده

فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى
اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فان المأوى الحقيقي والدنيا
منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر
دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون من الكفر
روي ان وليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها فلا يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها و
ارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا
ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل
ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من
لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه
فليس ذلك ببدع فلم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقاء موسى
عنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال
شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي
لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيقضي فيميز الحق من الباطل تميز المحق من المبطل
فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من
جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من
اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني
اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي
قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه
من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون

به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا
افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل
يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منه فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال
القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم
فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم
ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك
وقرئ بالفتح على انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام والله اعلم

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به
الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما
يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي
كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل
ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم
الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على
ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق
للنفس الانساني ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية
والامومة في امرأة ولا الدعوة والنبوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب
الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر وجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة
المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن محمد والمراد نفي الامومة والنبوة عن المظاهر عنها و
المتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادا
ئهما الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا
ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو اللاي بالياء وحده على
ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل
تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام و
الكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى
عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر
باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا
في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى
حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في
التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه
بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه **ذلكم** اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير **قولكم بافواهكم**
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي **والله يقول الحق** ما له حقيقة عينية مطابقة له **وهو**
يهدي السبيل سبيل الحق **ادعوهم لآبائهم** انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله
الحقة وقوله **هو اقسط عند الله** تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق **فان لم تعلموا آباءهم** فتنسبوهم
اليهم **فاخوانكم في الدين** فهم اخوانكم في الدين **ومواليكم** واولياؤكم فيه فقولوا هذا
اخي ومولاي بهذا التاويل **وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به** ولا اثم عليكم فيما
فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان **ولكن ما تعمدت**
قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح **وكان الله غفورا رحيما**
لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة به عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب
لمجهوله الذي يمكن لحاقه به **النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم** في الامور كلها فانه لا يامرهم
ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون
احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي
انه عليه الصلوة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال اناس نستاذن آباءنا وامهاتنا
فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين كل نبي اب من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صا

المؤمنون اخوة **وازواجه امهاتهم** منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما
عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء **واولوا الارحام**
وذووا القرابات **بعضهم اولى ببعض** في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من
التوارث بالهجرة والموالاة في الدين **في كتاب الله** في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية
او اية المواريث او فيما فرض الله **من المؤمنين والمهاجرين** بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي
اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة **الا ان**
تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل
المعروف التوصية او منقطع **كان ذلك في الكتاب مسطورا** كان ما ذكر في
الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم**
مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم **ومنك ومن نوح و**
ابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما
له **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف
ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين
صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان
مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين شهدوا على انفسهم عن صدقهم عهدهم
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة
المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين **يا ايها الذين**
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا **فارسلنا عليهم ريحا** ريح الصبا **وجنودا لم**
تروها الملئكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة
الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم
واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملئكة في جوانب
العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير
قتال **وكان الله بما تعملون** من حفر الخندق وقرا البصريون بالياء اي بما يعمل المشركون من
التحزب والمحاربة **بصيرا** رائيا **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من اعلى الوادي من قبل
المشرق بنو غطفان **ومن اسفل منكم** من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش **واذ زاغت**

الأبصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا
فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله
منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب و
المنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع
وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو
القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون و
الذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين
الا غرورا وعدا باطلا وقيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي و
اتباعه يا اهل يثرب اهل مدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام
لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بضم الميم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا
الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها و
يستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل و
يجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل
هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم
دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء
المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة
الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيون بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما
تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة
بعد الارتداد ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا مسئولا
عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل
شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا
قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي ويصيبكم

بسوء ان اراد بكم فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد
يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا
وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم
يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولا يقاتلون الا قليلا وقيل انه
من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة
عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او
مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا
ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون
الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله
اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك
الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة
وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى
عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا
قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة
من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او في نفسه قدوة يحسن التأسي
به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم
الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة
او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل
فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر
على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة

رفع

الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم الاية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم
وقوله عليه الصلوة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله و
ظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم
للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا والخطب والبلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما
لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع
الرسول والمقاتلة لاعداء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن
عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من
ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روى
ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه
الصلوة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق
والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات و
الوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة ان الله كان
غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين
لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملئكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين
ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من
حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ
بضم السين روى ان جبرئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليلة التي انهزم
فيه الاحزاب فقال انزع لامتك والملئكة لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة
وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او
خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ
فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او سبعمائة واسر سبعمائة وأورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه
صلى الله عليه وآله وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال
عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم
وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر على
ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها
وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا
من غير ضرار وبدعة روى انهن سالنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة
فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول
يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين
عن علي عليه السلام ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخترناه ولم يعده
طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت
بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف
في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات يا نساء
النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها يضاعف لها
العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه
تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء
بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل
ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل
ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن
رضا النبي عليه الصلوة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل
بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا في الجنة زيادة
على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع

في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء في الفضل إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض
فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن
الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر
وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني عن همزة
الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار
اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء
في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت
المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم وقيل الجاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية
الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلوة والسلم لابي الدرداء ان
فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وءاتين
الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس الذنب المدنس ولذلك عمم الحكم تعليل لامرهن ونهيهن من الاستيناف
اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم من المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وابنيها
رضي الله عنهم لما روي انه عليه السلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة
عليها السلم فادخلها فيه ثم جاء علي عليه السلم فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين عليهما السلم
فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم
وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي
انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ءايات الله والحكمة
من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط
الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على
الانتهاء فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكونوا اهل بيته ان المسلمين
والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين

بما يجب

بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين و
الصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي و
الخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات
بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات اي صوم الفرض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم
مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن
ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلى الله عليه واله وسلم
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرءان بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل فيهن ما نزل قال النساء
المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وذكر الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
وعطف الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
ما صح له اذا قضى الله ورسوله اي قضى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وذكر الله لتعظيم
امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عليه التحية الابدية فزوجها من زيد امرا ان يكون
لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق
النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه
للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن
حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلم ابصرها بعد
ما انكحها اياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب التسبيحة
فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال
اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها
لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا
وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة
طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى

والوا والحال اوليست المعاتبة على الاخفاء فانه وحده حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس
واظهار ما ينافي في اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى
زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها
منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ان الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل
وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر
لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما
اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوبا او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم
وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول
ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه
وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي
ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذين ختموا
به وعلى قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلام
في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه
مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف
ينبغي شأنه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو
اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار
وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح

الصلوة

الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما
يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل
الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع
والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم
مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان و
الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك
ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة
واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم و
نجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به
الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات
الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع
الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا
تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله
فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه
بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما
بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة
باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا
على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته
فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم
وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه

ربع

على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان
تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن
مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يؤول
التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن
اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز
تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد
الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل كتقييد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق
بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تعالى هذه الاية فلم احل له
لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ونصب بفعل
يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال
الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك
نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة
الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح اي لان وهبت او مدة
ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول
في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانه جار مجرى
القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة
لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة
لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص
عليه الصلوة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة
مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك
او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت

ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا
يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين
في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة
وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي
من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد
ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من
ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك
التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه
سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن
نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد نون
يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان
الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك
النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريون بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه
كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لا يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل
بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو
اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو
من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة
او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها
قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص
على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء
من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا
فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى
يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير
ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ
بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين

وقد اماله حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم
والا لما جاز ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين
لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر
بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي
لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله
لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك الله ترك الحيا فامركم بالخروج وقرئ
لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به
فاسألوهن من وراء حجاب ستر روي ان عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض
اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلوات الله عليه وآله ذلك فنزلت ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن من خواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا
رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه
وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها
فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح
نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا
وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه
في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم وفي هذا التعميم مع البرهان
على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب
عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونكلمهن ايضا
من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في
قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفا لابنائهما
ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من
الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء
شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار

شرفه وتعظيم

شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا
اللهم صل على محمد وآله وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل انقادوا
لاوامره والاية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره
لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده
فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلاة على غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف
صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون
الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم
شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره
بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا
مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا وقيل انها نزلت في منافقين
يؤذون عليا عليه السلام وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة
ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا
يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده
حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين
في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين وفجورهم و
المرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم
لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على
لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وآله اعظم ما
يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او
الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن
قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة
الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل
الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله

كلما

يميزن

تبديلا لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها
استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان
يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين ان الله
لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار
تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب
ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا
ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا
كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه و
مضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس
بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء
فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا
سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها و
يغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انه واجب الاداء والمعنى انها
لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعفه ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا

وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها و
الامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه
اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن
مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك
فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالعقل
العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي
هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا
لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد
العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات و
يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب في
ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات و
كان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الآية وآيها اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى
تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق
فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية فقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم
الدنيوية قد تكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم
امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع
في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء
العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق
وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في
شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا

لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات
لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا بوصف المقسم به
بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة
ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده
القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في
موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل
المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء
الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما
يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في
آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو
معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب أليم
ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن
شايعهم من الامة او علماء اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن
رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف
للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي و
ليعلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد
الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب
اذا مزقتم كل ممزق انكم تنشؤون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث
تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده
فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان ومزق يحتمل
ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى
فاعل من جد فهو جديد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على
الله كذبا ام به جنة جنون توهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة

بالمخبر عنه

بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب
والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في
الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم والبعد في الاصل صفة الضال ووصف
الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينوه مما يدل
على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا
عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا
ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ
حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان
في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى
ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر
بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والصوت الحسن يا جبال أوبي معه
رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على
التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما
رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها بالحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على
فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد
آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة
شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته
فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلات او بقوته
ان اعمل امرنا ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات
وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له
الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر
ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له

عين القطر النحاس المذاب اسال من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا
وكان ذلك باليمن **ومن الجن من يعمل بين يديه** عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة
من مبتدا وخبر **باذن ربه** بامره **ومن يزغ منهم عن امرنا** ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة
سليمن وقرئ يزغ من ازاغ **نذقه من عذاب السعير** عذاب الاخرة **يعملون له ما يشاء من**
محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها **وتماثيل** و
صورا وتماثيل للملئكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد روي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما **وجفان** وصحاف **كالجواب** كالحياض
الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة **وقدور راسيات** ثابتات على
الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود شكرا** حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي
اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به **وقليل**
من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك
لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
فلما قضينا عليه الموت ما دل الجن وقيل اهله **ما دلهم على موته** اي الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا
مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا **تاكل منساته** عصاه من نسات البعير اذا
طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها
بين بين ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضاة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة
القوس وفيه لغتان كما في قحة **فلما خر تبينت الجن** علمت الجن بعد التباس الامر عليهم **ان لو**
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل
منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عم فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمن عم فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد
اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له
باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما
وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة

منسأته

وملك وهو

وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبا**
لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة
وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب **في مساكنهم** في
مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرا حمزة وحفص بالافراد
والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع **آية** علامة دالة على وجود
الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازي المحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمن **جنتان** بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان
وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال** جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل
منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** حكاية لما قال
لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك **بلدة طيبة ورب**
غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت
اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة **فاعرضوا** عن الشكر **فارسلنا عليهم**
سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم اذا شرس خلقه وصعب او
المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء
الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة
والسلام **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط** ثمر بشع فان الخمط كل نبت
اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان **واثل وشيء من سدر قليل** معطوف
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل
جنتين للمشاكلة والتهكم **ذلك جزيناهم بما كفروا** بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه
بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص **وهل نجازي الا**
الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب **وجعلنا بينهم وبين القرى التي**

باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او
راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادى فى قرية
ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال
ليالى واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا
آمنين وان تطاولت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل
بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله
تخريبا لقرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو بعد ويعقوب ربنا بالرفع وباعد بلفظ الخبر على انه
شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم ومثله قراءة من قرأ
ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او
لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا
ايدى سبا ومزقناهم كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان فى ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصى شكور
على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى صدق فى ظنه او صدق يظن بمثل فعلته
جهدك ويجوز ان يعدى الفعل بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين رأى انهماكهم فى الشهوات او ببنى آدم حين رأى اباهم النبى ضعيف العزم او ما
ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم و
لاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فريق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم
من سلطان تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها فى شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن
من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة
لا تخفى وربك على كل شىء حفيظ محافظ والزنتان متآخيان قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى لقيام
صفته وهى من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا

انهاكم

يملكون لانهم

يملكون لانهم لا يزعمونهم والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون
مثقال ذرة من خير او شر فى السموات ولا فى الارض فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى او
لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب
القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك
من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة
عنده فلا ينفعهم شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان
يشفع او اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى
الثانى كاللام فى جئتك لزيد حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا و
انتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن
وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ
فرغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة قالوا
الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق
وهو العلى الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من
يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار
بانهم سكتوا وتلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون من الموحدين بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى و
الضلال وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من
التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم الشاغب ونظيره قول حسان شعر اتهجوه ولست
له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد
منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس فى
ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا
بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل فى
القضايا المنغلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به شركاء لارى
باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم

زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم
الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول
العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من
الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون
المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد
واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من
التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول عليه الصلوة والسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض
يتجاوبون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا
للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه
الصلوة والسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم
الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على
الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم
اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل
من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلالة و
اخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب
كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها
بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يفعل بهم ما يفعل

الاجزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في
قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما مني به من
قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا
الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب
فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك
فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ولذلك يختلف فيه
الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبان لم يكن بمشيئته
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا
ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
قربة والتي اما لان المراد وما جماعة الاموال والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة
وقرئ باللذي اى بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم
اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم
جزاء الضعف اى يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ
بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر
لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء و
سكونها وفي الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا
في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرار وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه
لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك و
اصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا
وبينهم كانوا بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على

الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل
كانوا يتمثلون ويخيلون انهم الملئكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
ولا ضرا اذ الامر فيه كله لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا
ما هذا يعنون القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار
معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير
الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما
من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم
اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية
التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا
معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا
رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم
فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول
مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم و
انصحكم بخصلة واحدة هى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام فى مجلس رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم والانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى
وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم
تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر
على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا به
جنون يحمله على ذلك او استئناف على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا
يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس
الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك كيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية

والمعنى

والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدام
لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة
فهو لكم والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع
دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او لغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما
موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم
وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى و
خلوص نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به
الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب
صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور وبالفتح كالصبور
على انه مبالغة غايب قل جاء الحق اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل
اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال
اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم ولا يبدئ خلقا ولا يعيده
او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت
عن الحق فانما اضل على نفسى فان وبال الضلال عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى
اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا
يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا
على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد مر ذكره
فى قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من
مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد
ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة و
قرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشئ اذا طلبته
قال رؤبة شعر اقحمنى جار ابى الجاموش * اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا
تأخرت ومنه قوله شعر تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى * وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى

التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل من قبل ذلك أوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام
من المطاعن أو في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من أمره وهو الشبه
التي تمحلوها في أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل
لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون
على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو
على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوا من الإيمان في الدنيا وحيل
بينهم وبين ما يشتهون من نفع الإيمان والنجاة به من النار كما فعل بأشياعهم من قبل
في موقع الريبة بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة إنهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة أو
ذا ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم بإخراجهما
منه والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين أنبيائه و
الصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه وبين
خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي أجنحة متعددة متفاوتة
بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها لما روي أنه عليه الصلاة
والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة
على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر يستدعيه ذواتهم لأن اختلاف
الأصناف والأنواع بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة
وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت و
حصافة العقل وسماحة النفس إن الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل
دون بعض إنما هو من جهة الإرادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب
للمسبب من رحمة كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل
له يطلقه واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها و

الغضب

الغضب في ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد إمساكه وهو العزيز
الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه الحكيم لا يفعل إلا بعلم وإتقان ثم لما بين أنه الموجد
للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر إنعامه فقال يا أيها الناس
اذكروا نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر
أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والأرض ولذلك عقبه لا إله إلا هو فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك
غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف أو بدل فإن الاستفهام بمعنى النفي أو لأنه
فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق
أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الأخير يكون إطلاق هل من خالق مانعا من إطلاقه على
غير الله وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع
فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية
والحث على المصابرة وإلى الله ترجع الأمور فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب يا أيها الناس
إن وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع
بها عن طلب الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار
على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة
وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود إن الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه
عدوا في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم إنما يدعو حزبه ليكونوا
من أصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون
إلى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
وأجر كبير وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة وبناء للأمر
كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له أي أفمن زين
له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن
لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب
لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب والفاءات
الثلث للسببية غير أن الأولين دخلتا على السبب والثالثة على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف

اهتمام

اهتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة
المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم
عليه والله الذى ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية
الحال الماضية واستحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار
الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او
بالسحاب فانه سبب السبب او الصاير مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من
الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل احياء
الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى
المقيس والمقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من
تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة
جميعا اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان
العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله
تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه
الصلوة والسلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك
الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات
المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دار الندوة وتداورهم
الرأى فى احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يعبؤ دونه بما يمكرون
ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله
والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم
ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر
من معمر وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان
يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه
او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق

وقيل الزيادة

وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان
يكون فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد ما يمر من عمره وينقص فانه
يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل الا فى كتاب
هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص
وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل
المؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق
بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل
والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوايد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود
بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر
وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى
لبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب
من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك فيه فى كل مواخر تشق الماء
بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق
بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه
ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك
الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار
المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران والذين تدعون من دونه ما
يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم
قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مثل خبير اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر
المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله فى انفسكم وفيما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كانهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار ساير الخلايق بالاضافة الى فقرهم غير معتد

ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا **والله هو الغني الحميد** المستحق على الاطلاق المنعم
على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** بقوم آخرين
اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر او متعسر **ولا تزر وازرة**
وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي
الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء
من اوزار غيرهم نفس اثقلها الاوزار **وان تدع مثقلة الى حملها** تحمل بعض اوزارها **لا يحمل**
منه شيء لم تجب لحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها **ولو كان**
ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر
وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام **انما تنذر الذين يخشون ربهم**
بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه **واقاموا الصلوة**
فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر **ومن تزكى** ومن تطهر من دنس المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم و
اقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي **والى الله المصير** فيجازيهم على تزكيهم **وما يستوي**
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل **ولا الظلمات ولا**
النور ولا الباطل ولا الحق **ولا الظل ولا الحرور** ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد
نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا **وما يستوي الاحياء ولا الاموات** تمثيل آخر للمؤمنين
والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء **ان الله يسمع من يشاء**
هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته **وما انت بمسمع من في القبور** ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطهم **ان انت الا نذير** فما عليك الا
الانذار واما الاسماع فلا عليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم **انا ارسلناك**
بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله **بشيرا ونذيرا**
اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق **وان من امة** اهل عصر **الا خلا** مضى **فيها**
نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد
قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة **وان يكذبوك فقد كذب**
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم **وبالزبر**
وبصحف ابراهيم **وبالكتاب المنير** كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز

يراد بهما

يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين **ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير** اي
انكاري بالعقوبة **الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا**
الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها له اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة والخضرة
ونحوهما **ومن الجبال جدد** اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء
على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح **بيض**
وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف **وغرابيب سود** عطف على بيض او على جدد
كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنه غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده
فان الغرابيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار **و**
من الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال **انما**
يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن
كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا
اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس
الامر وقرئ برفع ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون
مهيبا **ان الله عزيز غفور** تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب المصر على طغيانه
غفور للتائب عن عصيانه **ان الذين يتلون كتاب الله** يداومون قراءته او متابعة ما
فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء
على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين **واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم**
سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة
للتجارة وقوله **ليوفيهم اجورهم** علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله
ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم
او عاقبة ليرجون **ويزيدهم من فضله** على ما يقابل اعمالهم **انه غفور** لفرطاتهم **شكور**
لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو
انفقوا **والذي اوحينا اليك من الكتاب** يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن
للتبعيض **هو الحق مصدقا لما بين يديه** احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال
مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام **ان الله بعباده**

خبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل
هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك
الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك
اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن
بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل
به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم
والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم
والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير
حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه
لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق
عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق جنات عدن
يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس
وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء
المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية
من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور و
لباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف
العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا
لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله
من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا
فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل

كفور

كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ نجازي
وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد
العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر يمكن
المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى ستين وعنه عليه الصلوة والسلم
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه
قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب
فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض
فلا يخفى عليه خافية فلا تخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي
اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفاء بعد خلف وجمع الخليفة خلائف والخلفاء جمع خليف
فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا
يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين باقتضاء قبحها ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله
وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله
يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا
خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني
اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق
السموات فاستحقوا بذلك الالهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم
شركاء فهم على بينة على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون
ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف
او الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا

ربع

لان الامساك بنفع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من

احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه

كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن

منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من

احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى

لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم

او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما

جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه

الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر

السيء اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر

ثم اضيف ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر

وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله

فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ

لا يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا

في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه

في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان

الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها

قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض

من دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن

يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده

بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب

الجنة ان ادخل من اي سورة يس وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى باب شئت

المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة

وهي مكية وآيها بسم الله الرحمن الرحيم ثلث وثمانون

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره

لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب

على اتل يس باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس

واماله الياء حمزة والكسائي وحفص وروح وادغم النون في الواو والقرآن الحكيم ابن عامر و

الكسائي ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على

صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز

ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة

صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر

على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما

غير منذر آباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله

او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا آباؤهم

على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك

لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على

اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم

ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم

بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلها بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال

واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم

في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين

ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون بمن احاط بهم سدان

فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون

عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما

كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان

في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه

حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه

فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله وسواء عليهم أأنذرتهم

ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرام

من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه

قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولم يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار

فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية

ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه
وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد
اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا أصحاب القرية
على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان تقتصر على واحد وتجعل
المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية إذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب
القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين
لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا
وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر
المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا إنا إليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة
اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما
فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه
فبرئ فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا
اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فأنس به
فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون
من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا
الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعتا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا
يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في
جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا لا مزية لكم
علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ودفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما أنزل
الرحمن من شيء وحي ورسالة إن أنتم إلا تكذبون في دعوى رسالته قالوا

ربنا يعلم

ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام
المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا إلا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات
الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا إنا تطيرنا بكم تشاءمنا
بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو
سوء عقائدكم واعمالكم وقرئ طيركم أإن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل
تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين همزتين وفتح ان بمعنى أتطيرتم
لان ذكرتم وإن بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو
ابلغ بل أنتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال
ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
وبينهما ستمائة سنة وقيل في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون
الى خير الدارين وما لي لا أعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة
خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال وإليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة إني إذا لفي ضلال مبين فان
ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال
بين لا يخفى على عاقل إني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب
للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا
بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون
المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء
ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله
ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء

الجزو الثالث والعشرون

في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على
حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة غفر اي بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة
عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه
من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك
فيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه الصلوة والسلم وما كنا منزلين وما
صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا
لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم
من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة
واحدة صاح بها جبرئيل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار
رمزا الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب
وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من
حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسر عليهم وقد
تلهف على حالهم الملئكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل
الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق
بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف
وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة و
اللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون
ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة
وقرأ نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفتها اذ لم يرد بها معينة
وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استيناف لبيان كونها آية واخرجنا منها حبا الحب
فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها
جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان
الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق

الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر خلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين
وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ
منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول
قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف
مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون
وازواجا لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر
المسافر اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك
وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم
من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع
وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم
وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك جري
هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على
كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل
او سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو
بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي
يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بالنصب حتى عاد
كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون
وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها
يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش

ع

ليحول او في اماراته ومنافعه ومكانه بالنزول الى محله وسلطانه ويطمس نوره وايلاء حرف
النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها **ولا الليل سابق النهار** يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره **وكل** وكلهم
والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا
ما في الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها **في فلك يسبحون** يسيرون فيه بانبساط **وآية**
لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين
يستصحبونهم فان الذرية يقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن
اشق وتماسكهم فيها اعجب **في الفلك المشحون** المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم
فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في
الامتنان وادخل في التعجيب مع الايجاز **وخلقنا لهم من مثله** من مثل الفلك **ما**
يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق **وان نشأ نغرقهم فلا**
صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون**
ينجون من الموت به **الا رحمة منا ومتاعا** الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة **الى حين** زمان
قدر لاجالهم **واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم** الوقائع التي خلت والعذاب
المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر **لعلكم**
ترحمون لتكونوا راجين الى رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله **وما تأتيهم من آية**
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم
اعتادوه وتمرنوا عليه **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** على محاويجكم **قال الذين**
كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة **للذين آمنوا** تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور
بمشيته **انطعم من لو يشاء الله اطعمه** على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم
فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط
جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له **ان**
انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله
لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين**
يعنون وعد البعث **ما ينظرون** ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** هي النفخة الاولى **تأخذهم**

وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرا ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو
به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني
مدغما وقرا حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله **فلا يستطيعون توصية** في شيء من امورهم
ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم **ونفخ في الصور** اي
مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين **فاذا هم من الاجداث** من القبور جمع جدث وقرئ
بالفاء **الى ربهم ينسلون** يسرعون وقرئ بالضم **قالوا يا ويلنا** وقرئ يا ويلتنا **من بعثنا**
من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه
ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا
على من الجارة والمصدر **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** مبتدأ وخبر وما مصدرية
او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف
اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملئكة او المؤمنين عن سؤالهم
معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال
عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل
فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو
البعث الاكبر ذو الاهوال **ان كانت** ما كانت الفعلة **الا صيحة واحدة** هي النفخة الاخيرة
وقرئت بالرفع على كان التامة **فاذا هم جميع لدينا محضرون** بمجرد تلك الصيحة وفي
كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ
تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون**
متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ
وتنبيه على انه اعلى من ان يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون
في شغل صلة لفاكه وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين على الحال من المستكن
في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات **هم وازواجهم في ظلال**
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل **على الارائك** على

الدرر المرتبة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان او
متكئون والجار صلة له او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون
من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه
او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة
اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب
على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا
كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك
مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون
انفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا
يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم
تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته
الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر
حرف المضارعة واحهد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق
الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان
مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب
بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون
مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه
جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها
اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم ونمنعها من الكلام وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها

على افعالها

على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة
فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او
بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف
فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا من غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون
عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي ومضيا كالصبي
والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول
الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة
ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس
والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم
القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد
قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه
الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز
شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي
وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب
سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول
عليه الصلاة والسلام ويؤيده قراءة ابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما
فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه
المنتفع ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين وجعلهم في مقابلة من كان
حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تاملهم اموات في الحقيقة اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيره وذكر الايدي

واسناد العمل اليه مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها
من بدايع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون
من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال الصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس
البعير ان نفرا وذللناها لهم فصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ
ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها
ركوبهم ومنها يأكلون اى ياكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف و
الاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله فى ذلك
اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون
الله آلهة اشركوها به فى العبادة بعدما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة
وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب
عنهم او محضرون اثرهم فى النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم فى الله
بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
عليه وكفى ذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولون بالنسبة الى انكارهم
الحشر وفيه تقبيح لهم بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة
لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها وهى خلقه
من اخس شىء واهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه
وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعدما رم فقال عليه الصلوة والسلام نعم و
يبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا
مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفى القدرة
على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسى خلقه خلقنا اياه قال من يحيى
العظام وهى رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشىء صار
اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر
فيه الموت كساير الاعضاء قل يحييها الذى انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات
وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق

تميزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث
مثلها الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على
العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون فى
انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها
بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا وبلى وقرئ من الشجر الخضر على المعنى كقوله فمالئون
منها البطون اوليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على
ان يخلق مثلهم فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها
وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه
وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول
المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهى
قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول فسبحان
الذى بيده ملكوت كل شىء تنزيه له وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله
قادرا على كل شىء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن
ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه عليه الصلوة
والسلام ان لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما
قرا القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف
منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله
ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو
ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة والصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين فى مقام
العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام
العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن
التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المدبرة

كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون
الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق
بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرايعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او
العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب او الصفة كما في
تكميل تكميلا بالمنع من الشر او الاشارة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلوة
والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهنا بالعكس وادغم ابو عمرو
وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد
جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم
اما تحقيقه فقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها
وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها
من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق
كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة
وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا
السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده
قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول
فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب
على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة
وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح
في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال
مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا
خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي
الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى مستانف لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز
جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة
للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايها الزاجري
احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه

معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب
من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه و
القذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه
القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم
عذاب اي عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة
استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة
ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف
فاتبعه شهاب تبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى
الاثير فيشتعل فتخمين وان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في
قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو
العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير
الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان
ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وآله ان صح فلعل المراد كثرته او مصيره دحورا
لا يختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع ويحترق به لكن قد يصيب الصاعدة مرة وقد لا نصب
كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار القوية
اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب يضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم
فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من
الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب
العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا ام من عددنا وقوله انا خلقناهم
من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات
المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك
اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء
الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما
لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على
ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت

ثم

الصافات

من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي
بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها
او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على
الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه
الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون لبلادتهم وقلة فكرهم واذا رأوا
آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او
يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في
الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من
قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او آباؤنا الاولون
عطف على ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة
الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون
صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه
وقرئ قال اي الله والرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط
مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي
غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابتداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء
احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل
الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله
وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا
يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص
بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم
الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون
من عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم ما لكم لا تناصرون

بلاهتم

لاينصر بعضكم

لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون
لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كأنه يسلم بعضهم
بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين عن اقوى الوجوه وايمنه او عن الدين او الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم
وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون
لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان
بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا
بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين
الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان
ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا
بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في
الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل
نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
يعنون محمدا عليه الصلوة والسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء
به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب
الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بالنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون
الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون
لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع
ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة
ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس
واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة
وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات

النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان
لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون
وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر
او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او
خارج من العيون وهو صفة وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار
بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء
لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ
بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية
الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول
ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله
افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر
الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه
كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن
عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد
فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في
الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول اانك
لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل
هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل فتعلموا اين منزلتكم من
منزلتهم فاطلع عليهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل
اطلاعهم من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد او خاطب الملائكة ووضع المتصل موضع
المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فراه اي قرينه في سواء الجحيم
وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي
الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين

عطف على محذوف

عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها
على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك
تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى كلام جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعريضا
للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير
قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل
العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة
الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم التي هي نزل اهل
النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما
يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك مما تقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك و
النار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق
الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن
بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم
لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها
ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون
ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع
امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم
لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم
خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا
اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد
الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم
بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر

الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين أنبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة إلا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح شرع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه وأهله من الكرب العظيم من الغرق واذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات كل من الامم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة على احسانه إنه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم أغرقنا الآخرين يعنى كفار قومه وإن من شيعته لإبراهيم ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح إذ جاء ربه متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة وقيل بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او من الحزن من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم أئفكا آلهة دون الله تريدون اى تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى نفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او فى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال إني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكان يخافون العدوى او اراد انى سقيم لكفرهم او خارج عن

الاعتدال

الاعتدال خروجا قل ما يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد شعر فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ إلى آلهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال أي للاصنام استهزاء ألا تأكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم فأقبلوا إليه الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرح فى قوله من فعل هذا بآلهتنا يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم قال أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فأرادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الأسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال إني ذاهب إلى ربي الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني إن

شاء الله من الصابرين وقيل ما بعث الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلم
وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه **فلما بلغ معه السعى** اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى
اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان
بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب
اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ
ثلث عشرة سنة **قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك** يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما
هو تعبيره وقيل راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى
انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله فى ليلة الثالث
فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثالثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب
اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا
الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه
عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل
خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنة الدية مائة ولان ذلك كان بمكة
وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان
البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انه
صلى الله عليه وآله وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرئيل
الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت **فانظر ماذا ترى** من
الراى وانما شاوره وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع و
يامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله **قال
يا ابت افعل ما تؤمر** اى ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور
به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا
الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة
ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع
لتكرر الرؤيا **ستجدنى ان شاء الله من الصابرين** على الذبح او على قضاء الله **فلما
اسلما** استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم
هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه **وتله للجبين** صرعه على شقه فوقع

جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا
يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر
فيه اليوم **وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا** بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى
انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما
ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك **انا كذلك نجزى المحسنين** تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل الفعل فانه عليه السلم كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم
يحصل **ان هذا لهو البلاء المبين** الابتلاء المبين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة
البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها **وفديناه بذبح** بما يذبح بدله فيتم به الفعل **عظيم**
عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين
قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابرهيم وانما قال وفديناه
لانه المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح
ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه **وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابرهيم**
سبق بيانه فى قصة نوح **كذلك نجزى المحسنين** لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى
هذه القصة **انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين** مقضيا نبوته
مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت
البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا
حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان توجد اسحق نبيا من الصالحين
ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول
واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيث يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها
معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق **وباركنا عليه** على ابرهيم فى اولاده **وعلى اسحق**
بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرئيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا **ومن ذريتهما محسن** فى عمله او على نفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى **مبين** ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهدى

والضلال وان الظلم في اعقابهما لايعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى
وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من
الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم
الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في
الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان
لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى
اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة
او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من
المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسيناء و
سينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او
للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة
آل ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم
او القرآن وغيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص انا كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه و
اهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم اهل مكة
لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في
الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين و
قرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن
اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار
من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم

قبل ان يامره

قبل ان يامره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا هيهنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا
الابق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا

حزب

وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه
بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار
مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار
بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر
ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء
غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال
اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه
الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان
اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين
الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا
باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص
موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم
البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء
على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا
اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك
وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار
ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى
طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون

وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته
بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا
خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه و
انهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء
اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او
على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابدال من ولد الله ما لكم كيف
تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة
واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذى انزل عليكم ان
كنتم صادقين فى دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعنى الملائكة ذكرهم
باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجنة ان فسرت
بغير الملائكة لمحضرون فى العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا
عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما
اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله
بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق فى علمه انه من اهل النار
يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما
تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها
ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال
بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب
كشاك فى شائك والمحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية
وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما
منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف
الموصوف واقيم الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم
ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك و
قالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان
بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها وانا لنحن الصافون فى

اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول
اشارة الى درجاتهم فى الطاعات وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسط الفصل من التاكيد
والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله
عليه وآله وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيمة
وانا لنحن الصافون له فى الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش
لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التى نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد
فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح
وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك قريب كانه قدامه فسوف
يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم
فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل
على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت
فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه
يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا
والثانى لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه
على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد
ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى
من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره من التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه
ويسلمون على رسله وعن على كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن
آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ والصافات

اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
برئ من الشرك وشهد له حافظا يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قري بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى
فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح كذلك او لحذف حرف القسم
وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة و
بالجر على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل اسما للحرف مذكورا
للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل
مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي
انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق
اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف
لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره
بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقري في غرة اي غفلة عما يجب عليهم
النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا
فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي
المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم
الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل
والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص حاصلا لهم ولا حين مناص كاين لهم وبالكسر كقوله
اطلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر
الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة
اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد
اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها
بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في
الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره
الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص

المناص اصله

المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم و
قال الكافرون وضع فيه موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على القول
هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل
الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه
اباونا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقري مشددا وهو ابلغ
ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هولاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاحضر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال هولاء قومك يسئلونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه
الصلوة والسلام ماذا يسئلونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارايتم
ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم و
عشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش
من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امشوا قايلين بعضهم لبعض
امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق
عن المجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة
اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقري بغير ان وقري يمشون ان اصبروا ان هذا
لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم
يطلب ليوخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة التي ادركنا عليها
اباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا
اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كاينا في الملة المترقبة ان هذا الا
اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو
مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوية
بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس
في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب وان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا
عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم
العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم

خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز
اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك ام لهم
ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف فى نبوة بان ليس عندهم
خزائن رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء
يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان
كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم
فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد
بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف
فى الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم
على الهزء وهو الاملائم لما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل
هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت
بالاوتاد كقوله   ولقد غنوا فيها بانعم عيشة   فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت
المطنب باوتاده او الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل
نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم
من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب
ولذلك رتب عليه فحق عقاب   وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم
تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر او حضورهم فى علم الله الا صيحة واحدة هى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار
فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة
التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس
وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك
استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيم المعصية

فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته
ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى
اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات
الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشى والاشراق ووقت الاشراق وهو
حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه الصلوة والسلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق و
عن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما
لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه متدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء
والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله
انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح
وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا
ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى
قتلت اباه فاخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة
وكمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام
المخلص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل
والعطف والاستيناف والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه
يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار
مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصل لا نزر ولا
هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل
مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم
من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع
فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل
لا باتيك لان اتيانه الرسول عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ اذ دخلوا على داود بدل من الاولى
او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب

لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزى زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا
لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض
على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهود فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا
تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد
يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى في الخطاب وغلبنى في مخاطبته اياى
محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياى في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها
هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف وقصد به المبالغة في انكار
فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر
مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء
الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون
الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب
من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها
فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود
راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في
هذه الاشعار بانه عليه الصلوة والسلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه
القصة فاستغفر ربه واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها و
ولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبة او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا
فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر
ان يقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال على عليه السلام من حدث بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه

فتسوروا

فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك
اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة
ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى
ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الاخر قبل مسائلته
فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان
تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات و
الارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من
التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر
مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيه للانكار والتسوية بين الحزبين التي هي من
لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر
التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على
صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة
فيها او في غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك
مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر
ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اى
انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذو العقول السليمة او ليستحضروا ما
هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية
بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر
للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد اذ ما بعده تعليل للمدح وهو
من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب

او النعم والضمير لسليمان عند الجمهور **بالعشي** بعد الظهر **الصافنات** الصافن من الخيل الذي
يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا تكاد تكون الا في العراب
الخلص **الجياد** جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد
روي انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها
منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم
لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** اصل
احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى
تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل
التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلوة والسلام الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيمة **حتى توارت بالحجاب** غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة
بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها **ردوها علي** الضمير للصافنات **فطفق مسحا**
فاخذ يمسح السيف مسحا **بالسوق والاعناق** اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته
اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق وقرئ بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس **ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم
اناب** واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل والذي نفس
محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله
فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه
بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها
فكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشيطان فمثل لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع
ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة
باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه
فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمن عن هيئته فاتاها لطلب
الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما
عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة
فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا

الجسد صخر

الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافل
عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره **قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي** لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي
مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي
لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان
لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين
ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة **انك انت الوهاب** المعطي ما تشاء لمن تشاء
فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح **تجري بامره رخاء** لينة
من الرخاوة ولا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد **حيث اصاب** اراد من قولهم اصاب
الصواب فاخطأ الجواب **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء وغواص** بدل منه **وآخرين
مقرنين في الاصفاد** عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر والاقتران في
الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرق بين فعليهما فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة **هذا عطاؤنا** اي هذا الذي اعطيناك
من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا **فامنن او امسك** فاعط من شئت
وامنع من شئت **بغير حساب** حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض
التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد
يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
في القيد **وان له عندنا لزلفى** في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا **وحسن
مآب** هو الجنة **واذكر عبدنا ايوب** هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب
اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له **اني مسني الشيطان
بنصب** بتعب **وعذاب** الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه وفي
الاسناد الى الشيطان لما لا يحسن به ذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله
او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا
لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه
من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء و
القنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة

كالرشد والرشد بضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض
هذا مغتسل بارد وشراب اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب
منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى
ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له
مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولى
الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء اليه فيما يحيق بهم وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى
ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطأت فحلف
ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود انا وجدناه صابرا
فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى
العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين نعم العبد انه
انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير
عبدنا على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولى الايدى
والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر
بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض
بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة
لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان
مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار
للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضافة نافع بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر
بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم
جنسهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
فى جمع ميت وميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل
ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائى والليسع
تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته
ولقبه فقيل فر اليه مائة من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم
مائة صلوة وكل اى وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف
لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم وان للمتقين لحسن

مآب

مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات
عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها
ما فى المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب متعاقبتان او متداخلان من الضمير فى لهم
لا من المتقين للفصل والاظهر انه يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره و
الاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة
وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين
الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد
هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا
او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابها ما سبق يصلونها حال
من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق
وهو على الاول خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين
اذا سال دمعها واخر اى ومذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان اخرى اى ومذوقات او انواع عذاب اخر
من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب
الشامل للحميم والغساق وقرئ بالكسر وهو لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع
بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم اى اذا دخلوا النار او قربوا منها معهم
فوج تبعهم فى الضلال او الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين
على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة انهم صالوا
النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم
احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا
على ما قدمته من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع
ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم

بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين أم زاغت مالت عنهم الأبصار فلا نراهم وأم
معادلة لما لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار
كناية عنه على معنى انكارهما او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ
ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم إن ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به
ثم بين ما هو فقال تخاصم أهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على
البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين إنما أنا منذر انذركم عذاب الله وما من إله إلا الله
الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والأرض وما
بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار يغفر ما يشاء من
الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين
وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير
من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم
أنتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج
الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ
يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير
سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ
الأعلى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين اي لانما كانه لما قرر ان الوحي ياتيه بين بذلك ما هو
المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية
إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التي دخلت اذ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر
في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود ههنا وهو انذار المشركين
على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون
مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فإذا سويته عدلت
خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه و
طهارته فقعوا له فخروا ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد
الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين

باستكباره

باستكباره امر الله واستنكافه عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا إبليس ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه
من مزيد القدرة او لاختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي
للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص أستكبرت أم كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن
علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف
الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال أنا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار
وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء
او من الصورة الملكية فإنك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وإن عليك لعنتي إلى يوم
الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت
المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على
اختلاف القراءتين قال فالحق والحق أقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه
بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لأملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم أجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم
وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق مني او قسمي والخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف خبر
الاول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني
للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا
والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين
واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما أسألكم عليه من أجر اي على القرآن او تبليغ
الوحي وما أنا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل
النبوة واتقول القرآن إن هو إلا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه
من الوعد والوعيد وصدقه باتيانه او ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام
وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية إلا قوله يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول
صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول
السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله
مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل
الامر وتعليل تقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم
المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان
تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا
من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف
الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا
يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدكم
الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه
يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم
فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب
كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
اذ لا موجود سواه الا هو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا
الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه
هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية
وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة و
التعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك
بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف
باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال آخر بما اوجده في

العالم

العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث
دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما و
ثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم
جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة
دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم
فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم بأسباب نازلة
كأشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان و
المعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها
من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد
خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه
افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه
في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني
عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا
يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء
لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها
ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل
منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما
كان يدعو اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثل
الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل
عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعل
صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر
نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب
النار على سبيل الاستئناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته
وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن

بضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا
وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه في موقع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل
العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون و
العاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل
يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي
للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا
هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه
التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة
من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب
الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها
اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في
الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان
بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص
وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا لما يقتضيه لما يلزم من السبق في الدين ويجوز ان يجعل
اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه
بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك
والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه
مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة
من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه
تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال
واهليهم بالاضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران
وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة

في خسرانهم

في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسط الفصل وتعريف الخسران ووصفه
بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار
هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما
يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ
غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف
به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله
واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور
الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير
الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول
السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول
النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على
محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه فكررت
الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة
على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه
وسلم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون فانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار
اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله
الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه
ينابيع في الارض في عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع
فنصبها على الظرف او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ثم يجف فانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن
منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه
لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به
غيرهم افمن شرح الله صدره حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد
لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام

فادخله

فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان الصحابة رضي الله عنهم ملوا ملة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي بها نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مضمرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر

في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله شعر وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذو ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع ولان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأه ما علم مجيء الرسول به صلوات الله عليه وآله بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق

بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه
وصُدِّق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم فى الجنة ذلك جزاء
المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان
غيره اولى بذلك وللاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان
ما يفرط منهم من الصغاير اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى
مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذى كانوا يعملون
فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف
عبده استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه
يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا الى
العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد
منزلة تخويفه عليه الصلوة والسلم لانه الامر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن
كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهدى الله فما
له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذى انتقام ينتقم من اعدائه
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده
بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره
اى ارايتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبنى بضر هل يكشفنه
او ارادنى برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عنى قل حسبى الله كافيا
فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير وشر
روى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات
على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل
منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير
هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار
وللمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة
ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم

ملتبسا

ومعادهم بالحق متلبسا بالحق فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما
يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى
منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك
عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها
الى البدن ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا
وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحيوة فيتوفيان
عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرنا ان فى ذلك من التوفى والامساك
والارسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون فى كيفية
تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها
من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى
آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم
جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك
فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم فى امره
دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر
الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت
واذا ذكر الذين من دونه يعنى الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلى قلبه سرورا حتى
ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلى غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجأة
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت
فى امرهم وعجزت عن عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال
كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان
تحكم بينى وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص وبدا لهم

من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزئون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب
فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم
يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون
من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه
اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه
لما لي من استحقاق او من الله بي واستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد
شيء منها بل هي فتنة امتحان بها ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ
النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها
الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين
من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة
رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر
صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها
من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في
المعاصي واضافة العباد تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد تعذيب
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على الاطلاق فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد
المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين
للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على
الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها
بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان

اهل مكة

اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له ولم يهاجر وقد عبدنا الاوثان
وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب
ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة
والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
القران او المامور به دون المنهي عنه والعزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو الانجى
واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
فتتداركوا ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى : ورب بقيع لو هتفت بجوه : اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء
على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق
البربري : اما تتقين الله في جنب وامق : له كبد حرى عليك تقطع : وهو كناية فيها مبالغة كقوله
ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة
وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى
الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا
بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد
من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق
القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية
ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه
كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا
على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما
يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير
عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون
كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ ينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها
بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون
غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم

السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير و
شر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض
لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة
على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او
مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ وكذا كبرى وعن عثمان انه سأل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله و
بحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي و
يميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم
الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد
مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك
الكافرين ان خسروا انفسهم والتصريح بالوعيد والتعريض بالوعد قضية الكرم او بما يليه والمراد بآيات الله
دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان
غيرهم له حظ من الثواب والرحمة قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون افغير الله
اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده
قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها
تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة
والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان
للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد
بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به
ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة
الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه
حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته

يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال
العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه
على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة
الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او
بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد
بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه
قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى
فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله
قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعده وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى
نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع
واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على
ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه
الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف و
جيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي
بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم
فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض
على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى اذا جاؤوها
فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع

من حيث انهم علموا بحجيتهم بانبائنا الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال
لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره
بان مثويهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان
تكبرهم وساير مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلوة والسلام ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة واهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب
بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها حذف جواب اذا وجعل فتحت حالا باضمار قد للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة
والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم وقيل مجيئهم منتظرين وقال لهم
خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي
فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم
وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث
والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها
تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة
حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية
لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال
ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم
بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب
تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون
من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه الصلوة والسلام
يقرأ كل ليلة [illegible]

سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم
لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي
كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن
من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على
ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد
العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله
وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب
وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر
فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة
وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع
والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على
المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال
فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا
فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم و
تقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من
قبلهم كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا
بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء
لهمهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب
وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم
اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين
يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم

حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم
في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام
جعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان
اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين
امنوا واشعارا بان حملة العرش وسكانه في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم
شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان
توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة
ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم
الرحمة لانها المقصود بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم
التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار
للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وعدتهم اياه ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي وادخلهم
ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم
بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما
تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو
تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلحوا او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ
فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما
سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين
كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة
حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن وتعليل الحكمين وزمانا
المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا
امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير و
التكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختار الفاعل
احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الاخر واحييتنا اثنتين الحيوة الاولى وحيوة البعث

وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والحياتان
ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك
تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل
الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم
تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده
متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك
به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة
هو الذي يريكم اياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر
بالايات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى
الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما
ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم
رفيع الدرجات ذو العرش خبران لهو للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس
الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال
وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات
مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع
بالنصب على المدح يلقي الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره
باظهار اثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه
امر بالخير او مبتداه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل
على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد
الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه يتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض
والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او
ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم
لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون
وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه
في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط

واما حيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة
لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذاتها لذتها والمها لكنها
لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت
لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله
شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اى القيامة
سميت بها لازوفها اى قربها او الخطة الازفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب
لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها
فى الذى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او مفعول انذرهم على انه حال مقدرة وما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع يشفع والضماير لو كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير محرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضماير
والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرا نافع بالتاء على الالتفات او اضمار
قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون
ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا
هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة
افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وآثارا فى الارض مثل القلاع والمداين الحصينة
وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريده
غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعنى المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او
لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر

كذاب

كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد
الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا
كى يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا فى ضلال الا فى ضياع ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير لتعميم الحكم او الدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه
عن قتله ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته
بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف من قتله او ظن
انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه انى اخاف
ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك
والهتك او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر
ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن عامر والكوفيون
غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اى لقومه لما سمع بكلامه انى عذت
بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا
على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية
واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم
فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على
القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى عذت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال
رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل
اسرائيلى او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان
يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل فى امره ربى الله وحده وهو فى الدلالة على
الحصر مثل صديقى زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات
من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم
بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج
فى دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم
بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه
كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد شعر تراك امكنة اذا لم ارضها ۞ او يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه اراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف احتجاج ثالث ذو وجهين
احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما
ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني
لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الثواب [الصواب] وطريق النجاة
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه
احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح
لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اعلمكم
الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطيان عليه وما اهديكم الا سبيل الرشاد طريق
الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه
مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف
عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع
الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه
دايبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم
التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض
كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل
فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من
هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او نسبة احوال
الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول
مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم تقرر بعضا بنفي البعث كذلك
مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب فيما تشهد به البينات
لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول

لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة كبر مقتا
عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان فاعل كبر كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا
للدلالة على الموجب لجدالهم وقرئ قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت
عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب
السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق السامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في
موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى
هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان
وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك
ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على
الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الكوفيان ويعقوب وصد
وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات و
يؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون
وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه
الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة
الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من
عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها و
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم
العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل
العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما
لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار بدلا وبيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في
التعدية بالى واللام تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم بربوبيته والمراد نفي المعلوم والاشعار

بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم و
الارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه و
جرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة
اي حق عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم
دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك
الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى
القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الالوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويويده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد و
الرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك
الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب
ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد
فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون واهله واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمنين من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة والنار خبر محذوف ويعرضون
استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الال وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار
فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض
على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على
بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل
لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او عذاب
جهنم وقرا نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ
يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء
للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في خادم او ذوي تبع بمعنى
اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا

مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف
نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف
اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون
المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
اراد به الزام الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا
فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء
الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام
لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم
من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد
بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملئكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم
اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى
به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم
بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي
العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى
وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار
فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على
التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا
ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزل في
مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر
وتسير معه الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم
او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات او المراد

فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان
ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد والبعث ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباع اهوائهم وما يستوي الاعمى
والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء
فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود
نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه
على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون
اي تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او
الالتفات او امر الرسول عليه الصلوة والسلام بالمخاطبة ان الساعة لاتية لا ريب فيها
في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني
اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس
والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
الى الحال ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس
لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه يصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين
كانوا بايات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتاملها
الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة
وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات

معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه
في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الحمد لله رب
العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي من الحجج والايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم
لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم
ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله
ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم
من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا
اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج
في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي
قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى
يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا
بالكتاب بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب والوحي و
الشرايع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على
الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون
في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم
في الاغلال واضمار الباء ويدل عليه القراءة به وعطف الفعلية على الاسمية ثم في النار
يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ به
والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد
منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا
بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال
يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو
تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون

بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين
الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما
كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق بهلاك الكفار
كائن لا محالة فاما نرينك فان نرينك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل
ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا
يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة
اشد العذاب ويدل على شدة الاقتضاء بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية
الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم
اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا
والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون
باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون فان جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها
منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم المسافرة عليها
وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة
وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب
والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة
ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي فاي اية
من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا
بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر
منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل
اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات

بالمعجزات

بالمعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا
نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم
والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون
الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال
لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم
والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية الباس مسببة
عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنت الله التي قد خلت في عباده
اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي ثلث او اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل
خبر محذوف او مبتدا لتخصيصه بالصفة كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر اخر
او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان
الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح
الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل
بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون يعلمون العربية
او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاولى اولى لوقوعه
بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به وللمخالفين وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او
الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كنان مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر صمم و
اصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة

على ان الحجاب مبتدا منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ هذه تمثيلات
لنبو قلوبهم عن ادراك ما تدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم و
موافقتهم للرسول فاعمل على ديننا وفي ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا
لا يمكنكم التلقي منهم ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا
في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما
انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم
واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم
الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم
وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم
في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد
بالارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا
ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما
وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما
هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار
ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او
اقواتا تنشا منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في
اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في
خمس عشرة ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح
على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب
بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق

بمحذوف

بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها
الاقوات للطالبين ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه
اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله
والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني
ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما
من التاثير والتاثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في
الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منهما الاخرى في حدوث ما
اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما
طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات
والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة
المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه
الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع
سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر
والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا
او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها
يرى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له
على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة
فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة
عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم
الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين
ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه
على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين الى الايمان

بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
ألا تعبدوا إلا الله بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لأنزل
ملائكة برسالته فإنا بما أرسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فأما
عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من أشد
منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم وقيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده
أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر
على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق و
ينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة
بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في أيام
نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون
على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة أخزى وهو في الاصل صفة
المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم وأما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب
بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
فاختاروا الضلالة على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم
واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة
على الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء
الله إلى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة
وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة
اهل النار حتى إذا ما جاؤوها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها
آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال
توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء اي ما نطقنا
باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق
كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم

أول مرة وإليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم
تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن
الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما
استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم
اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم خبران له و
يجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فأصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به
في الدارين سببا لشقاء المنزلين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وإن
يستعتبوا يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره
قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا
ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا
من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين أيديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
في امر الآخرة والصنيعه ما وكانوا في اخرت قد ادركوا وهو حال من الضمير المجرور وما انكاره وحق
عليهم القول اي كلمة العذاب في أمم في جملة امم كقوله ان تك من احسن الصنيعه ما وكا
في اخرين قد اهلكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقد عملوا
مثل اعمالهم إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغي ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة
الكفار ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى
الاسوأ جزاء أعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار
دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على
ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو
سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس يعني شيطاني
النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ نجعلهما تحت أقدامنا

ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او
ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل
وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة ولانها عسر قلما يتبع الاقرار
وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم
الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم
على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى
الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا
به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك
وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه واله وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي احسن
ادفع السيئة حيث عرضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا
او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال
كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه
السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك
من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل
النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم
واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا

بانهم من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع
السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تحركت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت اي
زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء
والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة ~~يخفون~~ بالطعن في التحريف والتأويل [في آياتنا]
الباطل والالغاء فيها علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا
يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم انه
بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين
يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبره محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون
والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده على كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال
اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او
ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة
والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير
للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي ومخاطب عربي انكار مقرر
للتخصيص والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وللكلام وقرئ اعجمي وهو منسوب الى العجم وقرئ على
الاخبار وهو على هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم
والمقصود ابطال مقترحهم باستلزام المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات
كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم
عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على
عاملين عطف ذلك على الذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم
في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب

فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين
وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او القرآن مريب موجب
للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام
للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اذا سئل عنها اذ لا يعلمها
الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص
من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق
ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى
ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي
بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما
عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء
اي ما منا يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل
لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا
يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء الخير وان مسه
الشر الضيق فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته هذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحققته لما لي
من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك
لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا
بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب
غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه
وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب
في قوله في جنب الله فاذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار
بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما
ظنك بطوله قل ارأيتم ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع
دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير

الجزء الرابع والعشرون

من حالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور
على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل
بهم او في بدن الانسان من عجائب الصنع الدال على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق
الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء مزيدة
للتوكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء
شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار
الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان
رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية في شك وقرئ
بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط
عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة السجدة اعطاه سورة حم عسق مكية وتسمى الشورى وهي ثلث وخمسون بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل
ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز
الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى
الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان
ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر
ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقرران لعلو
شان الموحي به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده
اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم
خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن
والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن
اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات و
ادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى
وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون

لمن في الارض بالسعي في مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة
وذلك في الجملة تعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما
من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة الا الكلمة
الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط رحمته وغفرانه والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء و
اندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم
بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى
مصدر يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا
وقرآنا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب و
تنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال
وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد
جمعهم في الموقف يجمعون ثم يفترقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه
وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين
في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي
ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام
في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب شرط
محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق فالله الولي بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين
او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما
اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه
توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر
اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر بدلا من الضمير او الوصف لالى الله
من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها
ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث و
في معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء فيه

بد وما اختلفتم

فيهذا

في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير
ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في
قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده
كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر
لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله
صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات
والارض خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه
بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد
ومن بينهما من ارباب الشرائع عليهم الصلوة والسلام وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان
اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل
من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به
ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي
اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق
من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم
بمبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا
اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل
مسمى هو يوم القيمة او آخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين
افترقوا لعظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا
في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ
ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من
القرآن مريب اي مقلق مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي
اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في
موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله
ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة

خلاف الكفار والذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع و
الحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله
ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى
العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في
الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون
في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد
ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم
ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به
بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به
الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك
لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم
الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها
مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في
الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من
المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله
لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه
فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر
في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما
فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة
من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير
والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا بالتزيين لهم من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد

الشرع اليها

الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة
الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي
بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة
لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا
او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها
وانزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما
للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم به فحذف الجار ثم
العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر
قل لا أسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى
متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في
الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال صلى الله عليه وآله وسلم
علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام وقيل القربى التقرب الى الله اي ان تودوا الله ورسوله في تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة
سيما حب آل الرسول صلوات الله عليه وآله وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله تعالى وحسنى ان الله غفور لمن اذنب
شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على
الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء
عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان
ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه و
قيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم و
يمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء
عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه
الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان

اتعاطاه

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول
ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي عليه السلام
هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن كثير
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات الثواب بشرهم به فحذف الجار ثم العائد وذلك التبشير الذي يبشر الله
عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو اي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة
الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا او استحقوا
او استجابوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض
استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية
ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا
امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب
كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب
ولذلك خص بالنافع وقرا نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ
بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي
يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض
فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او
الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم السبب على المسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين
يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اي في اي وقت يشاء متمكن منه واذا كما
يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم
والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى
السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما
اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض
فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا
نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على
ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل
همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك
اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله
ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ
ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم
منهم ويعلم على الجزاء ونصب نصب الواقع جواب الاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر
بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم
وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من
حيث ان ايتاء ما اوتي سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية
وعن علي عليه السلام تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على للذين آمنوا ومدح منصوب او مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاخصاء حال الغضب والذين استجابوا لربهم
نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون براي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك
من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو
وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه
ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه
اجراء واغراء على البغي عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها
وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين
عن الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل
بعد ما ظلم وقد قرئ به انما السبيل على الذين يظلمون الناس بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل

على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون
في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر
ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان
بدرهم للعلم ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله
اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل
الى مرد من سبيل الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم ينظرون من طرف خفي اى يبتدئ نظرهم
الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول
في الدنيا او لقال اى يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم
تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله
ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى والنجاة استجيبوا لربكم من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة بياتي اى من
قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ مفر وما لكم من نكير
انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم يشهد عليكم السنتكم وجوارحكم فان
اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد
بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة
راسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس
لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث
انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع
المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة
على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى والصنفين جميعا ويعقم اخرين و
لعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق

به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن
بلاء او لتطييب قلوب اباءهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير و
تغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك
بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح
ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف
مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما
وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء
حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام و
الالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى
الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقع نعت
احوالا انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة
بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحى
اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع و
قيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه نورا اى الروح او الكتاب او الايمان
نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط
مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما
في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط و
التعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم عسق كان ممن يصلي عليه الملئكة ويستغفرون له ويترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا وهو
من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله
بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى

وما يحتاج اليه في الدنيا والدين بلغة العرب يدل على تعالى صبره كذلك لعلكم تعقلون لكي
تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب
في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير
لعلي رفيع الشأن في الكتب السماوية لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه
غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او
حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب
الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء
للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر
عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى
الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى
صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما
مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان
بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا
من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه
صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مخبرا عنه ومضى مثل الاولين وسلف
في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول عليه الصلوة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم
مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في
مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف
الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل
من السماء ماء بقدر بقدر ما ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء
وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون
من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك و
الانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت
الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك

لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ
الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلوة والسلام انه
اذا كان وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله الذي على كل حال
سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك
لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان
لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي
وقد جعلوا بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما
سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين
ان الانسان لكفور ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله من فرط الجهل به والتحقير
لشأنه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب
من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير
لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد
ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو
قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود
ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشؤ في الحلية اي
اوجعلوا له واتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين
مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر
اي اومن هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ
حمزة والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعالاه
بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع
به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ
الحجازيان والشامي ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم واناثا جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا
خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع
أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمدة بينهما ستكتب

شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ
سيكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وانه بنات وهن الملائكة ويساءلون من
المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم العبادة على امتناع النهي
عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا
حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون
تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى
شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم
سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق
على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية
وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت
بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك
في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم
وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي
اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير
او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا
فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث
بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل
او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما
تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد
والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او
متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما
موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني على الهداية
او سيهديني الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد

كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من
اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى
الله عليه وآله وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات
وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم
حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات
او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر
وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستحقار به فسموا القرآن سحرا
وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من
احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان
الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية يستدعي عظم النفس بالتحلي
بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة
ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا
امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها
من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام
ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا
في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها
خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون
الناس امة واحدة ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا
فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد
جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير و
ابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في
سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا
وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع

لحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافيه
وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم
هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على
الايمان وهو انه يتمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل
من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط
اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان
في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا
فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع
يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين
للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة
الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر
جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
اي بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم
اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم
في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين
في امر صعب تعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته
وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من
ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار
صممهم مقرونا بالعمى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم
لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير
الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك
اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم
او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتونا فاستمسك
بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على
صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف

تسألون

تسألون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسئل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اي واسئل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا
بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد
والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد
باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها
وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث
يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت
رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها
الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه
الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الماهر ساحرا ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك
او ان تكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا
لمهتدون اي ان يدع لنا فيكشف عنا العذاب فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم
وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك مصر
وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على
الملك فتجري حال منها او واو الحال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون
ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد
للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة
وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام
السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة
من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا

سوره وطوقوه بسوار وطوق من ذهب في اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء
اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة
والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به
انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في
العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم
مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف
او سالف كصبر وسلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت
ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون
ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب و
هم يعبدون عيسى يزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او محمد يريد ان نعبده كما عبد
المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود
اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا االهتنا
خير ام هو اي الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن الهتنا معه او الهتنا الملائكة
خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك او الهتنا خير ام محمد
فنعبده وندع الهتنا ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل و
الخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان
هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا
كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم
لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون
ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تع قادر على ما هو
اعجب من ذلك فان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز
خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى

لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل
على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل
عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به
وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها
واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا هذا الذي
ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم
عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات
بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله
واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه
وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع
الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف
الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه
المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم القيامة هل
ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى
هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور
الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون لانقطاع
العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله
تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما
ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين حال من
الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اثره على وجوهكم او تزينون
من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة

وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ
الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما عدد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها
خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه
عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او
الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا
باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها
ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما
كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين
بالآيات وحكى عنهم ما يخص الكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف
متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم
فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله
غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم
لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك سل ربنا ان يقضي
علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال
انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا بغيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة
الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه فكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن
اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب
الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار
بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعهما
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب
تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته اذ المحال قد
يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو
ثم مشعر بانتفاء الطرفين وان ههنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم
لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان

اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول
الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف
به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم و
يلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل و
اتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو
حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه
ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدا محذوف يكون حجة
للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية و
الارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة
التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وعاصم وروح بالتاء
على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد
من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من
خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى
يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم
او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع
على انه مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف
وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمي وان
هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء
على انه من المأمور بقوله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له
فيمن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب
قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة
الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجوما وبركتها لذلك فان
نزول القرآن سبب المنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة
وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله
فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور الحكيمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل
فيه القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل
على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها بقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا
الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او
ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او
لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا به انا
كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انزلنا القرآن لان من عادتنا
ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت
ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او يصدر
الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع
اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته فانها لا تحق الا لمن هذه صفاته
رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك
ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا
سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله
الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين
وقرئا بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب يوم
تأتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة
الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب
يسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى

السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي
انه عليه الصلوة والسلم لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان و
قوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا و
انا مؤمنون وعد بالايمان ان كشفت العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون
بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون
انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانه دعا فرفع القحط
قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف
ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد
الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل
الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى
اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم
وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان
ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة
يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم
رسول امين غير متهم بدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا
تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى في الوجهين اني
آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن
لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل
مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد
ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به
ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا فقال اسر فقال ان كان

الأمر كذلك فأسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى إنكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه
بعصاك ولا تغيره ليدخله القبط إنهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم كم تركوا
كثيراً تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة و
تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الإخراج أخرجناهم
منها أو الأمر كذلك وأورثناها عطف على الفعل المقدر أو على تركوا قوماً آخرين ليسوا
منهم في شيء وهم بنو إسرائيل وقيل غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى مصر فما بكت عليهم السماء
والأرض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت
لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الأخبار أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل
عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض فما بكت
وما كانوا منظرين ممهلين إلى وقت آخر ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين
من استعباد فرعون وقتله أبناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله
عذاباً لإفراطه بالتعذيب أو حال من المهين بمعنى واقعاً من جهته وقرئ مَن فرعون على الاستفهام
تنكيراً له لنكر ما كان عليه من الشيطنة إنه كان عالياً متكبراً من المسرفين في العتو
والشرارة وهو خبر ثان أي كان متكبراً مسرفاً أو حال من الضمير في عالياً أي كان رفيع الطبقة من
بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني إسرائيل على علم عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم منا بأنهم
يزيغون في بعض الأحوال على العالمين لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم وآتيناهم
من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية
أو اختبار ظاهر إن هؤلاء يعني كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة
على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والإنذار عن مثل ما حل بهم ليقولون إن هي إلا موتتنا
الأولى ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه إلى
إثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا إن هي إلا موتتنا الأولى أي ما الموتة التي من شأنها ذلك
إلا الموتة الأولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إن كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه أهم خير
في القوة والمنعة أم قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل
هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلوة والسلام ما أدري

اكان تبع

أكان تبع نبياً أو غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون والذين
من قبلهم كعاد وثمود أهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار
قريش أو حال بإضمار قد أو خبر من الموصول إن استؤنف به إنهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي
للإهلاك وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الأنبياء وغيرها ما خلقناهما إلا بالحق إلا بسبب الحق
الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء ولكن أكثرهم لا يعلمون لقلة
نظرهم إن يوم الفصل فصل الحق عن الباطل أو المحق عن المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه
وأحبائه ميقاتهم وقت موعدهم أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أي إن ميعاد
جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه
الفصل لا للفصل مولى من قرابة أو غيرها عن مولى أي مولى كان شيئاً من الإغناء ولا هم
ينصرون الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام إلا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من أراد تعذيبه
الرحيم لمن أراد أن يرحمه إن شجرة الزقوم قرئ بالكسر ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الأثيم
كثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى
يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للطعام
أو الزقوم لا للمهل إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما كغلي الحميم غلياً مثل غليه خذوه
على إرادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ
الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان إلى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق
رأسه من عذاب الحميم كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا
النوع ذق إنك أنت العزيز الكريم أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً على ما كان يزعم
وقرأ الكسائي إنك بالفتح أي ذق لأنك أو عذاب لأنك إن هذا إن هذا العذاب ما
كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه إن المتقين في مقام في موضع إقامة
أمين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على
نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس وإستبرق
خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ
منه معرب أو مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الأمر

كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء
البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل
فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا
زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما
والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها
بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الاستثناء
فكأنه لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم
وقرئ ووقّاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع
اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه
بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما
يحل بك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان
جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب
صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على
ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا
يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه
استجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول
على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة
والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين
في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف
الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله
نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث

بعد الله

بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني
زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن و
العطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل
لكل افاك اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا
عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها
كأن لم يسمعها اي كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا
بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآيات وفائدته
الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على
ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم
متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال
والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب
عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم
لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله
الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه
لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد
وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا
منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منه على المفعول له ومنه على انه
فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه
قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي
يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم
او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه
شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا
يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير
او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون و
قرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد

اليه سيما مع المفعول بضعف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب
العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل
الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة
اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ و
فضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة
في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل ايات من امر النبي عليه الصلوة والسلام مبينة لصدقه
فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة و
حسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة
ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له
ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين
فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم
وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح
الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات مثلهم
وهو ثاني مفعولي نجعل سواء محياهم ومماتهم بدل منه اذ كان الضمير للموصول الاول
لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما في المؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف
او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما
فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك
المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف و
مماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء
ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض
بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي
انتصاف المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان في الممات
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل

بها على

بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك
ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت
من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ الهة هواه
لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم
عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في
الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرا حمزة والكسائي
غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما
الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها
ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت
والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان
وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه
وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال
او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه على التقليد والانكار لما
لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات
له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونه به الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع به
لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت
عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة
اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها وان كان كذلك
امكن الاتيان بابائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد
تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب
وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة
اعمالها وقرا يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون
محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها
اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نكتب

الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب
واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم ألم يأتكم رسلي فلم تكن
آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم
عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل
الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود
وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا
ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما
نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي
لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر
الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة
عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم
نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء
الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم
بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم
ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا
هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات
والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه
وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع
الحكيم والبعث للمجازات على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل
وهو يوم القيامة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا
معرضون هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا

يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام
لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها
مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم
ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب
يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم
ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة
فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء
فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل
ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا
عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم
ويراعي مصالحهم الى يوم القيامة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات
واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم
وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله
ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا
للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع
ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين
ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب
عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض
فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف
اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون
فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق و
البلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد
بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل
بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل

على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله
ان اتبع الا ما يوحى الي اى لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من
الغيوب واستعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير من عقاب الله
مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارأيتم ان كان من عند الله
اى القران وكفرتم به يجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل لانها تعطفه بما عطف عليه على ما جمله ما قبله والشاهد
هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول على مثله
مثل القران وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه
من عند الله فآمن اى بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان
ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم
ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم
لو كان خيرا الايمان او ما اتى به محمد ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او
اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله
فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل
القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب
مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا
للتورية كما دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان
عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد
الاخير قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور
التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية
والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا
جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا

حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو
بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة
حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهى به ولذلك عبر به بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده
ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل
على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان
يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق
ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين
سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك
يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه
وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل
واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها
نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك
نتجاوز عن سيئاتهم اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعتهم فان المباح
حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما
في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين وعد الصدق مصدر مؤكد
لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اى في الدنيا والذي قال لوالديه اف
لكما مبتدأ خبره لكما والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه
فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني
ان اخرج ابعث وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله
يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور للحث على ما يخاف على تركه امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار
وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان الاسلام في
امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين
تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من
الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبات وهنا جاءت على التغليب وليوفيهم

أعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة
عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب
مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض أذهبتم أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بهمزتين
طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها فاستمتعتم بها فما بقي لكم منها
شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير
الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى وقرئ
يفسقون بالكسر واذكر أخا عاد يعني هودا إذ أنذر قومه بالأحقاف جمع حقف وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانوا يكونون بين رمال مشرفة
على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده
والجملة حال أو اعتراض ألا تعبدوا إلا الله أي لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا فإن النهي عن الشيء
إنذار عن مضرته إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا أجئتنا
لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك إن كنت
من الصادقين في وعدك قال إنما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه
فأستعجل به وإنما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به وما
على الرسول إلا البلاغ ولكني أراكم قوما تجهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض في أفق من السماء مستقبل أوديتهم
متوجه أوديتهم والإضافة لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا أي يأتينا بالمطر بل
هو أي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز أن يكون بدلا
فيها عذاب أليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم بأمر ربها إذ لا
يوجد نابضة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته وفي ذكر الأمر والرب وإضافته إلى الريح فوائد سبق
ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء في ربها
ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة على أن لكل ممكن وقتا مقتضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون
الهاء لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم أي فجاءتهم الريح فدمرتهم
فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك
نجزي القوم المجرمين روي أن هودا لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح
الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم

ذلك

في البحر ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه إن نافية وهي أحسن من ما هاهنا لأنها لا توجب
التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد
مكناهم في الذي أو في شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أو صلة كما في قوله شعر يرجي المرء ما
إن لا يراه ۞ وتعرض دون أدناه الخطوب ۞ والأول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم
وأشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها
على مانحها ويواظبوا على شكرها فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من
الإغناء وهو القليل إذ كانوا يجحدون بآيات الله ظرف لأغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث
إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب
ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وأول مفعولي اتخذوا الراجع إلى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو
عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل
ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك
إفكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وأفكهم أي
جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك أي ذو الإفك وما كانوا يفترون وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن أملناهم إليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار يستمعون القرآن حال محمولة على
على المعنى فلما حضروه أي القرآن أو الرسول قالوا أنصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي
أتم وفرغ من قراءته وقرئ ببناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا إلى قومهم منذرين أي منذرين
إياهم بما سمعوا روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من
الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى قيل إنما
قالوا ذلك لأنهم كانوا يهودا أو ما سمعوا بأمر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق من
العقائد وإلى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فإن المظالم لا تغفر بالإيمان و
يجركم من عذاب أليم هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة باقتصارهم على المغفرة و
الإجارة على أن لا ثواب لهم والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الأرض إذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه أولياء يمنعونه منه

بولي النفر دون

اولئك فى ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذى خلق
السموات والارض ولم يعى بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا ينقص ولا
ينقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر على ان يحيى الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر
والباء مزيدة لتاكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه
على كل شىء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة
بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب
بمضمر تقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا
العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين
فيها لقوله تع فى ادم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وابرهيم
موسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم
على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب و
السجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى
على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب
فانه نازل بهم فى وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذى وعظتم به
او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما
بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ
بالنصب اى بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة
وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلى
الله عليه واله وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه واله وسلم وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية آيها سبع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او
منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش والمصرين من اهل الكتاب اضل اعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة

مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله وابطل ما عملوه
من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا
وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما
نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه
وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا وحقيته بكونه ناسخا
لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم
سياتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق و
التاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان
الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء
الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب
الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل
اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير
السيات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار
والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة
حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون
منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عنه
عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند
الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى
تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب
ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب
او الشد او المن والفداء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين
بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو
المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا

وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل أعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل
ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها
لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف
وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت أقدامكم في القيام بحقوق الاسلام
والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال
الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين
كفروا او مفسرة لناصبه وأضل أعمالهم عطف عليه ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله
القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته انفسهم تخصيص وتصريح بسبب
الكفر بالقرآن التعس والاضلال فأحبط أعمالهم كرره اشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك
عنه بحال أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله
عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين أمثالها من وضع
الظاهر موضع المضمر أمثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او
السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم
وأن الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما
تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية
هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك على حذف المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب
أهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية أفمن كان على
بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين
له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة
مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو
خالد في النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمن هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد
تعرى من حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصوير المكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو

خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز
من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها أنهار من ماء غير آسن استئناف
يشرح المثل او حال من العائد او خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على
معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا خازرا وأنهار
من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار ما هي الا تأنيث لذ او مصدر نعت
به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وأنهار من عسل مصفى
لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بما يستلذ
منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها
من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ
خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع
امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين
كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين
اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا
له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف
وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك استهزؤوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم
هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآتاهم تقواهم
بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها
أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة فقد جاء أشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه
شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها
كمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة
وحينئذ لا يضره ولا ينفع فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين
وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها و
افعالها وهضمها باستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض
على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم
وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما من ترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها
مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا

لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت
سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم مرض
ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة
فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم
المكروه او يؤل اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف
خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر و
اسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على
الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس
وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على
الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم و
يقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان
توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من
القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون
القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب
لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها
مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس
الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه
من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان
سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول
وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم
هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم واملى لهم وامد
لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم وانا املي لهم
فيكون الواو للحال او للاستيناف وقرا ابو عمرو واملي لهم وانا املي لهم فيكون الواو دالا على البناء
للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود

الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين
سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة
في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه
الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف
يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه
يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك
اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامات نسمهم
بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف
ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن
الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم
بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها
ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب و
نبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا
بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته
وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها
الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن و
الاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح
نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا
فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان و
قرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم

ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر
شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وإن تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على
جزء يسير كربع العشر يفرضه عليكم إن يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة
وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم ويضغنكم
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل
لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها أنتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون بقوله لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى
الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية
المتقدمة ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن
وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغني وأ
نتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وإن تتولوا
عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا أمثالكم
في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلوة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه
فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح نزلت في مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الحديبية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة
كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى
سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسائر العرب فغزاهم و
فتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها
بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم
غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلوة والسلام في سورة الروم و
وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث
انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا
ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك وما

تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك
الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله
نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي أنزل السكينة
الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفوس عليها او انزل فيها السكون
الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات
والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته
وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من
معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب
الكافرين والمنافقين لما غاظهم به من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه
بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا
فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله عليه
الصلوة والسلام والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا
يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم
ولعنهم وأعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا و
الواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي وامته او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه
وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة
وأصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه
بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق أيديهم حال او

استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا
يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر
وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اسلم وجهينه ومزينه وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان لان ضعف العقيدة والخوف
من مقابلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم
من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة وخلل في المال والاهل
وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض
بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد
يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم
فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم
قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله
فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك
السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان
الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض
ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا
انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه الصلوة والسلام رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية
ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه
وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي
ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي

كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من
قبل تهيؤهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ
بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا
ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات للحسد والثاني رد من
الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة
في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم
ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون
اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل
حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم
ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
ليتناول الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج على التخلف نفي الحرج عن هؤلاء
المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على
سبيل التعميم ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب هاهنا انفع من الترغيب لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه الصلوة والسلام لما نزل الحديبية
بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان
فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة
او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة
فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او
الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف
ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون
هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعهم عن الحديبية او وعد المغانم

او عنوانا لفتح مكة والعطف على المحذوف وهو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او
لعلة محذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه
واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى و
يحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد
احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا
لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد
خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن
تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم
عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن
ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة
فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة
لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته بصيرا فيجازيكم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ذلك كان عام الحديبية والهدي ما
يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه المعهود وهو منى لا مكانه
الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث احصر فلا ينهض حجة
للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا
وطاء على حنق وطاءة وطاء الله بوج وهو بطايف وكان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين
بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في
رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك
ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم

لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات ولذلك ما روي انه عليه الصلوة والسلام لما هم بقتالهم
بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان
يخلي له قريش من القابل ثلثة ايام وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلي عليه السلام
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت و
ما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما
يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا
والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم
او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق
بها من غيرهم واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم انه واصحابه دخلوا مكة امنين
وقد حلقوا او قصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر
قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه ملتبسا به
فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر
محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان
يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جواب له وعلى
الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم
لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي لاصحابه امنين حال من الواو و
الشرط معترض محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون
حال مؤكدة او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل
من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب
المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين
الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا
واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون

وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات
محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف
او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء
جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد
السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ سيمياؤهم ومن اثر السجود
بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها
كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه
اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج
شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ
شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهو الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره كاجر في آجر
فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن
كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله
للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم
الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلعم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او
ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم ويؤيده قراءة
يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين
المسامتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب
اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم

يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا
اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم
بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه
باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء للاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام
به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل
المعلل باحدهما للمنادى لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه
قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه
الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال لست هناك انك تعيش بخير
وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم عند
يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك
كأخي السرار حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها
او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل
باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر
الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم
مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان
او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين و
المبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال
في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على
خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية
فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف
المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض
المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها
حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالوا يا محمد اخرج الينا وانما اسند
الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي
حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر
دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيى
بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول
نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب
وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في
اسارى بني العنبر فاطلق النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين
الادب التاركين تعظيم الرسول صلعم يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عليه الصلوة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة
متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين
على فسق المخبر يقتضي جواز قبول قول العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عنده عدمه وان
خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل و
ما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان
تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم
رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة و
المعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهو انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل
ذلك لعنتم اي لوقعتم في العنت وهو الجهد وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق
وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم على ذلك لما سمعوا قول
الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك

هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه الى مفعول
واحد فاذا شدد زاد له آخر لما تضمن معنى التبعيض نزل اليكم منزلة مفعول والكفر تغطية نعم الله بالجحود
والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره
او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله تعالى والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق وان طائفتان من المؤمنين تقاتلوا
والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى
فان بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه
او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين
فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل
ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب
المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه
الصلوة والسلام بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء
في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل
وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم و
وضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما
اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا
الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم
مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال
كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب
او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا
وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين
كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن
باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب اي بئس الذكر المرتفع ان يذكروا بالفسق

بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا
اذ روى ان الاية نزلت في صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان النساء
يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او
الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك
هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم
انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات و
حسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء
بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا
ولا تبحثوا عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ
بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الحواس وفي الحديث ولا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم
بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه عليه الصلوة والسلام عن الغيبة فقال
ان تذكر اخاك بما يكرهه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان
يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل
الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا
وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا
على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه
وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب
او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما
سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما
فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من
اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة

من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع
القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل
النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان
الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة
واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتيناك بالاثقال و
العيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة
وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه
آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة و
ترك المحاربة وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم
فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد
شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقوله قولوا فانه حال من ضميره
اي ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص
وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجوركم شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ
البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم
بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار
بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيما يستقبل فهي كما
في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة
بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين
صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه
لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان
اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا تستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن قل

لا تمنوا علي إسلامكم اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان
هديكم بالكسر واذ هديكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله
اى فلله المنة عليكم وفى سياق الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه
ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك
بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات و
الارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى
ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الاية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة الحجرات اعطى من الاجر سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية بعدد من اطاع الله وعصاه

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر
الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم انكار لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم مما ليس بعجب
وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب حكاية
لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم
هذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما
بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى
الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما
يشاهدون من صنعه أإذا متنا وكنا ترابا اى انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على
المحذوف قوله قد علمنا ما تنقص الارض ما تاكل من اجسادهم منهم وهو رد لاستبعادهم
بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء
بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القرآن لما جاءهم وقرئ لما
بالكسر فهم فى امر مريج مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا مرج وذلك قولهم تارة انه شاعر
وتارة انه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله فى خلقها

العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان
خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى
جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان
انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات
اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل
باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر
لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه
فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان
الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما
حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون اراد فرعون وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط
اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة سبق فى الحجر والدخان كل كذب الرسل
اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد
لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا
لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة
وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت
كذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه
وحبل الوريد مثل فى القرب قال والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان
والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمى وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اى
هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى

عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من
تشديد تثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم
الاشهاد **عن اليمين وعن الشمال قعيد** اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد
كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وان قيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد
والمتعدد كقوله والملئكة بعد ذلك ظهير **ما يلفظ من قول** ما يرمي به من فيه **الا لديه رقيب**
ملك يرقب عمله **عتيد** معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **وجاءت سكرة الموت بالحق**
لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن
قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته
الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة
الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل
الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها
له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل
وقرئ سكرات الموت **ذلك** اي الموت **ما كنت منه تحيد** تميل وتفر عنه والخطاب للانسان
ونفخ في الصور يعني نفخة البعث **ذلك يوم الوعيد** اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد
وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ملكان احدهما
يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال
من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من هذا** على اضمار القول
والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر **فكشفنا عنك غطاءك**
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات وقصور النظر عليها
فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن
فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة كسر التاء والكافات
على خطاب النفس **وقال قرينه** قال الملك الموكل عليه **هذا ما لدي عتيد** هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها

باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد
خبر او خبر محذوف **القيا في جهنم كل كفار عنيد** خطاب من الله للسائق والشهيد
او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا
ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة معاند للحق **مناع للخير** كثير المنع للمال عن حقوقه
المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه **معتد**
متعد **مريب** شاك في الله وفي دينه **الذي جعل مع الله الها آخر** مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره
فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر
يفسره فالقياه **قال قرينه** اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في
حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه **ربنا ما اطغيته** كان الكافر قال هو اطغاني فقال
قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع ملكين وقول قرينه **ولكن كان في ضلال بعيد** فاعنته عليه
فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال** اي الله **لا تختصموا لدي** اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه
وهو استيناف مثل الاول **وقد قدمت اليكم بالوعيد** على الطغيان في كتبي وعلى السنة
رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او
معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله **ما يبدل القول
لدي** اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب
ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد **وما انا بظلام للعبيد** فاعذب
من ليس لي تعذيبه **يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد** سؤال وجواب جيء
بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ
لقوله لاملان جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة
زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء
والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة
اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف **وازلفت الجنة للمتقين** قربت لهم **غير بعيد** مكانا
غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان **هذا ما توعدون** على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر

ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ
حافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا توصيف به او مبتدا خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم
ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة
بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب وهو غائب عن الاعين لا يراه احد
وتخصيص الرحمن به للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة
رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال
النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها
خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم
بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا فى البلاد فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او جالوا فى الارض كل
مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصله التنقير عن الشئ والبحث عنه
هل من محيص اى لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم
فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر
وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف
مراكبهم ان فى ذلك اى فيما ذكر فى هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع
يتفكر فى حقائقه او القى السمع اى اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او
شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب
لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام من تغير لا
وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون
ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام
منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن وعن الوصف بما
يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل
وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرا الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر

من الليل

من الليل العشاء والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع
لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المناد اسرافيل او جبرئيل
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابداء ويوم نصب بما
دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق
بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال
للعيد انا نحن نحيى ونميت فى الدنيا والينا المصير للجزاء فى الاخرة يوم تشقق
تتشقق وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته
الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما
يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار
بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه
لا ينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت و
سكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولودات فانهن يذرين
الاولاد او الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى
الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل
او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية فى البحر
سهلا او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف
اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها
او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات
مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى
به باسطا له حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب
للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره
على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات

الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها
النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق وشيه
جمع حبيك كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالعقل والحبك كالابل
والحبك كالسلك والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم
تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة
في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف
غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم او القرآن
او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله
تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه
كقوله ينهون عن اكل ومن شرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك
الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي
وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يوم هم على النار
يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع
ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين
في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن
مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم
ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل
او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون
فيه ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم و
استراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم
وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك
لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله
واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة

وفي الارض

وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من
الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع
تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم
آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة
والمناظر الحسنة والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب
رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من
الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه
مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون
له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما
انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق
او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته
الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على
صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد
والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا
في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته
اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما
قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من
تحيتهم وقرئ مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون
اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام
وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان
يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة
ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه وهو مشعر بكونه
حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان
قاله حينما رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه
انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله

منكرون

قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام
هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم
فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت فصكت
وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر
فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه
انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما
علم انهم ملئكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى
الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين
ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على
اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبع وذلك
لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها
اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود
فيها او ماء اسود منتن وفى موسى عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا
فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته
كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه فتولى بما كان يتقوى
به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم
فى اليم فاغرقناهم فى البحر وهو مليم ات بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى
فاخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت
دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شىء اتت عليه
موت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفى ثمود اذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله
فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق وهم
ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا

قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو
والكسائى بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها
مهدناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شىء من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب
بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة
الطاعة انى لكم منه من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان
يفر منه انى لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثانى على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر
او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها
اتواصوا به اى كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا
بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم
الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ
وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من امن
فانها تزداد بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة
الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل
يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم
بالعبادة او ليكونوا عبادا لى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان
اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان
شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون المعنى قوله لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذى
يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين
شديد القوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السابقة وهو
ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون جواب
لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي كانوا يوعدون
من القيامة او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات
بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة الطور مكية وآيها سبع او ثمان او تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من
اوج الايجاد الى حضيض المواد من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر
ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في
قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب
فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما
بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء
الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف
المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان
الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك
لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل
على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء
مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا
اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في
خوض يلعبون اي في خوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف
وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من
الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكي
هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي
هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا
تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم
كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامر

ان الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع
كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات ونعيم او
في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون
على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او جنات
او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا
اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او
بدله وقيل الباء زائدة وهنيئا فاعله والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر
مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او
الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين
او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم
ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح
في الذرية يقع على الصغير والكبير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في
الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي
للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة لما روي
مرفوعا انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم
عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا
الالحاق من عملهم من شيء فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء او باعطاء الابناء بعض
مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت
يالت وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يولت ولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل
واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا
اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون
من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم
محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في
اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل
قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان
لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده ان فضل

المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة و
التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
إنا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية إنه هو البر
المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا
تكترث بقولهم فما أنت بنعمت ربك بحمد الله تعالى وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون أم
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت
والمنون فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون
هلاكي أم تأمرهم أحلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون
ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام متسق متخيل ولا يتأتى ذلك
من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
وقرئ بل هم أم يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه
المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن إن كانوا صادقين
في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول
فان سائر الاقسام ظاهر الفساد أم خلقوا من غير شيء أم احدثوا وقدروا من غير محدث
ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة أم هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السموات والأرض وأم
في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم و
من خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته أم عندهم خزائن
ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمه
أم هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا أم لهم سلم مرتقى الى السماء
يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن
فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون فيه
تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا عن يترقى بروحه الى عالم الملكوت
فيتطلع على الغيوب أم تسألهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون
محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه

الغيبات فهم يكتبون منه أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير
للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او
يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله
غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه
به وإن يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم
هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرأ ابن عامر وعاصم
يصعقون على البناء للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا
من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وإن للذين ظلموا يحتمل
العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في
الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك
بامهالهم وابقائك في عنائهم فإنك بأعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين
لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت
او من منامك والى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد
من الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وإدبار النجوم اذا ادبرت النجوم من آخر الليل
وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت وخفيت عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان
حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه إذا هوى غرب او انتثر يوم القيامة او طلع
فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن
اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عليه
الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد
نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى إن هو ما القرآن
او الذي ينطق به إلا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له
وحسب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان
ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبرئيل فانه الواسطة

في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين **ذو مرة** حصافة في عقله ورايه **فاستوى** فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في السماء ومرة
في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر **وهو بالافق الاعلى** افق السماء والضمير
لجبرئيل **ثم دنى** من النبي صلى الله عليه وآله وسلم **فتدلى** فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله
وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلاه
دلوه والدوالي الثمر المعلق **فكان** جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما **قاب
قوسين** مقدارهما **او ادنى** على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق
استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس **فاوحى** جبرئيل **الى عبده** عبد الله واضماره قبل
الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها **ما اوحى** جبرئيل وفيه تفخيم للوحي به او الله اليه وقيل الضمائر
كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه رفع
مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس **ما كذب الفؤاد ما رأى** ما رأى ببصره من صورة
جبرئيل او الله تعالى اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه
كما رآه ببصره وقيل ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام
سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه **افتمارونه
على ما يرى** افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلا من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من
ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري
والجاحد يقصدان غلبة الخصم **ولقد رآه نزلة اخرى** مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت
مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام
في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به
نفي الريبة عن المرة الاخيرة **عند سدرة المنتهى** التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل
من فوقها ويصعد من تحتها اليها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون
في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة **عندها جنة المأوى** الجنة التي يأوي اليها
المتقون او ارواح الشهداء **اذ يغشى السدرة ما يغشى** تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا
يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها

ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وما طغى** وما تجاوزه بل اثبته
اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها **لقد رأى من آيات
ربه الكبرى** اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية ليلة المعراج وقد قيل انها
المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من
آيات ربه او من مزيدة **افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى** هي اصنام كانت لهم
فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها و
يعكفون للعبادة او يلتوون اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل
كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة
كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون بالانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة
الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة **الكم الذكر و
له الانثى** انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل
الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم **تلك اذا قسمة ضيزى** جائرة حيث جعلتم له ما
تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان
فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به **ان هي
الا اسماء** الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها
آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء
او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها
والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين **سميتموها** سميتم بها
انتم بهواكم **وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان** برهان يتعلق به **ان يتبعون**
وقرئ بالتاء **الا الظن** الا توهم ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا **وما تهوى الانفس**
وما تشتهيه انفسهم **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** الرسول والكتاب فتركوه **ام للانسان
ما تمنى** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد طمعهم في شفاعة
الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ونحوها **فلله الآخرة والاولى** يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان
يتحكم عليه في شيء منهما **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا** وكثير من

الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام
لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى
بان سموه بنتا وما لهم به من علم اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فان الحق الذى هو حقيقة الشيء لا يدرك الا
بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه
فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه
لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم
من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب
ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا ليجزى الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء
او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز
الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك ويجزى الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو
الجنة او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب
الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان
ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب
صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من
الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم
من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء
العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقى وغيره منكم
قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت الذى تولى عن اتباع الحق والثبات عليه
واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يحمل
عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى اعنده علم الغيب فهو
يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى وفر وقرأ اتم ما
التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر
على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل عليه السلام وهو فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه
كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التورية
كانت اكثر واشهر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل
الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأنه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
فى الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره وان ليس للانسان
الا ما سعى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء فى الاخبار من ان
الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه
الجزاء الاوفى اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون الهاء
للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر
على انه منقطع عما فى الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله
على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم او
تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده
وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية
وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا قنية وانه
هو رب الشعرى يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول
صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة
ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى
عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى
قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى
بادغام التنوين فى اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمود عطف على عادا لان ما بعده

لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير ألف فما أبقى الفريقين وقوم نوح أيضا
عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من الفريقين لأنهم
كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت
بأهلها أي انقلبت وهي قرى قوم لوط أهوى بعد أن رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل
وتعميم لما أصابهم فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
أو لكل أحد والمعدودات وإن كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ
للمعتبرين والانتقام للأنبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الأولى أي هذا القرآن إنذار من جنس
الإنذارات المتقدمة أو هذا الرسول من جنس المنذرين الأولين أزفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها
إذا وقعت إلا الله لكنه لا يكشفها أو الآن يؤخرها إلا الله أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله
إذ لا يطلع عليه سواه أو ليس لها من غير الله كشف على أنه مصدر كالعافية أفمن هذا الحديث يعني
القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وأنتم سامدون لا
هون أو مستكبرون من سمد البعير في سيره إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا أي واعبدوه دون الآلهة عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية
فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ويؤيد الأول أنه قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت
الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وإن يروا آية يعرضوا عن تأملها
والإيمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة ومعجزات
متتابعة حتى قالوا ذلك أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم أو مستبشع من استمر إذا
اشتدت مرارته أو مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا أهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان
من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة وكل أمر مستقر
منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة فإن الشيء إذا انتهى إلى
غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح أي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف
على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الأنباء أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة ما فيه

مزدجر

مزدجر ازدجار من تعذيب أو وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ
مزجر بقلبها زايا وإدغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ
بالنصب حالا من ما فإنها موصولة أو مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنه فما تغن النذر
نفي أو استفهام إنكار أي فأي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو المنذر منه أو مصدر
بمعنى الإنذار فتول عنهم لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع إسرافيل ويجوز أن يكون
الدعاء فيه كالأمر في قوله كن فيكون وإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون
أو باذكر إلى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ
ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث أي يخرجون من قبورهم
خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول وإفراده وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على
الأصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وإنما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لأنه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كأنهم
جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة مهطعين إلى الداع
مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت
قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد إجمال وقيل معناه كذبوه
تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل إنه من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته فدعا ربه أني بأني وقرئ بالكسر على إرادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر
فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر
مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر
منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الأبواب وفجرنا الأرض عيونا وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون منفجرة
وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الأرض وقرئ الماءان
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على أمر قد قدر على حال قدرها في الأزل من غير تفاوت أو على حال
قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
وحملناه على ذات ألواح ذات أخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع
الشديد وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث إنها شرح لها تؤدي مؤداها تجري بأعيننا

باضمار اذكر

بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان
كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير
وقرئ لمن كفر اى الكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها و
استمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف
كان عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان
عذابى ونذر وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا باردا او شديدا لصوت فى يوم نحس شوم مستمر استمر شومه او استمر عليهم حتى
اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر
الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح
منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض
وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ
والتانيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره للتهويل وقيل الاول
لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى
فى الدنيا والاخرة ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا
لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه
للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفى ضلال
وسعر كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه
ناقة مسعورة ءالقى الذكر الكتاب او الوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك
بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم
او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذى حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل
ام كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كقولهم حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة
مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون و
اصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب

العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم
قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها
والتعاطى تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لماشيته فى الشتا
وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى
ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما
منا وهو علة لنجينا كذلك نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاككين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى
انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابى ونذر فقلنا لهم ذوقوا
على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها
اولها معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابى ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول
مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه و
الايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما
ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها
يعنى الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم
يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم
براءة فى الزبر ام نزلت لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من العذاب ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اى الادبار وافراده لارادة الجنس او
لان كل يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر لما نزلت قال لم اعلم ما هى
فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع و
فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين
فى ضلال عن الحق فى الدنيا وسعر ونيران فى الآخرة يوم يسحبون فى النار على وجوههم

يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التالم بها وسقر
علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر
اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء
منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه
خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع
الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا
معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه
معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم
فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير و
كبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار اكتفى باسم
الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وجمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك
والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب
بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن
وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين
ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه
ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن
سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف
الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد
والشمس والقمر بحسبان بجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور
الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم والنبات
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما
يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى
الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما

وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان
وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية
بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه
ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق
حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت السموات والارض او ما
يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها
مصدر القضايا والاقدار وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق
والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا
على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه
المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح
التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل و
الارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه
به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم
كالجذع والجمار والثمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق
النبات اليابس كالتبن وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم
خرجت اطلب ريحان الله وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذو الريحان فحذف المضاف وهو
فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما
تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من
صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من
تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب جعله
طينا ثم حمأ ونحوه وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار
بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي آلاء ربكما تكذبان مما افاض
عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب
المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من
الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك
مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه

بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة
وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان
الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا
صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يُخرَج
وقرئ نُخرج ويُخرِج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار
السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقولها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او
اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء
ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في
البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وغيره كل من عليها فان من على الارض من الحيوانات
والمركبات ومن للتغليب او من الثقلين ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات
وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا
قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما ذكرنا على فناء الكل من الاعادة
والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم
وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان
او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق قضاؤه وفي
الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله
لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما
من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك
يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك
فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد
اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان
بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله
فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم

ذلك ولو قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا
تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان من التنبيه
والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية
فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس و
دخان قال يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤوسهم
وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في
رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا
انشقت السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب
التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن
وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا
على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار
اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده
المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما
تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم
آن ماء حار آن بلغ النهاية في حرارته يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف
فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد
المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف
الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة يثاب بها واخرى
يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما
تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة
التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما

تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى
السلسبيل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
ومعروف او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها
من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين
مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القائم
والقاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن
في الجنان فان جنتان يدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن
على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه
دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما
جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من
اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من
شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على
وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباي آلاء ربكما
تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين
وكذا ما بعده فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على
ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اي خيرات فخففت لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان
حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرن في
خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن
في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين
وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال
لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد
للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي

آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك
بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام
وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله
سورة الواقعة مكية عليه وآيها سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل
اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب
في نفيها او وقعتها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة
فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه
عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له خافضة
رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون
حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال
في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال
بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس
الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف
يكون مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل
او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها
بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما
التعجيب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد
ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدمو
اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى
الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم
ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم
الى محمد عليهما الصلوة والسلام ولا يخالفه ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان امتي يكثر

سائر الامم يجاز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم
ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية
احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة
خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة
من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم
للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب
وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر
لا يصدعون عنها بخمارها ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم ولا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما
يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم
حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور
او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون
حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى
الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة
على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد
الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة
تري بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا
يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه
لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه اهل اليمين باكمل ما يتمناه
اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة
لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة لا تمتنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر
او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا
انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن
اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد

كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع
عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلاث وثلثين
كذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل
هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في
الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا
نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في
الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم
وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث
مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله اوآباؤنا الاولون
للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن
في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه
مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم
ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة وامثالهم لآكلون
من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة
الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه
على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه بعضها فشاربون شرب
الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو
الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما
ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل
ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق
متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر
على الاعادة افرأيتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني

النطفة بعد امنائها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون نحن قدرنا
بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن بمسبوقين
لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا
غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما
نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل
صفاتكم على امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها
ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها
اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم
ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم
لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث
وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أإنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا
او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب
أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب
ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه
اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما
يتضمن معناه لعلم السامع بمكانها او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم
وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التي
تورون تقدحون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد
نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام
او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر
او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم
ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة
للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما
يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها
من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فلا اقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا

يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا
رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال
اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن و
مواقعها اوقات نزولها وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم
القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض
في اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن
كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه
في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون
من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا
بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره
بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين
متهاونون به كما يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم لنعمة
القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء فلولا
اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر و
الواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم اليه بحال المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو
اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير
مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب
للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا
الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم مملوكين مجزيين
كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون
الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى
من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم
وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك
واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا
عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد

في القبر من سموم النار ودخانها إن هذا أي الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق لهو حق
اليقين أي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة
شأنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والأرض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة
والتغابن بلفظ المضارع إشعارا بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته لأنه دلالة
جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر
بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وإنما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل
نصحت له ونصحته إشعارا بأن إيقاع الفعل لأجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال
يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والأرض فإنه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي و
يميت استئناف أو خبر لمحذوف وحال من المجرور في له وهو على كل شيء من الإحياء
والإماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها
ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو الأول الذي
تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن
الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم
بباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل
شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل
من السماء كالأمطار وما يعرج فيها كالأبخرة وهو معكم أينما كنتم لا ينفك علمه
وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل
عليه له ملك السموات والأرض ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما
وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من
الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم أو التي استخلفكم عن
قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس فالذين آمنوا
منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان في

الإنفاق وبناء الحكم عليه على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبير وما لكم
لا تؤمنون بالله أي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول
يدعوكم إليه بالحجج والآيات وقد أخذ ميثاقكم أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان
قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأه
أبو عمرو على البناء للمفعول إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا موجب
لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم أي الله أو العبد
من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرءوف
رحيم حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم
ألا تنفقوا وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة إليه ولله ميراث
السموات والأرض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم
من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق
وذكر القتال للاستطراد ومن أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح
مكة إذ عز الإسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق من الذين أنفقوا
من بعد وقاتلوا أي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى أي كلا من المنفقين
وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده ليطابق
ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والآية نزلت في أبي بكر فإنه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا
أشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله
في سبيله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري
أكرم المال وأفضل الجهات له فيضاعفه له أي يعطي أجره أضعافا وله أجر كريم
أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه ينبغي أن يتوخى وإن لم يضاعف
فكيف وقد يضاعف أضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام
باعتبار المعنى وكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا
وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات

ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم
وهدايتهم بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم
من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم
من الملئكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى
بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين
امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا
الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم و
قرا حمزة انظرونا على ان اتادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم
نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف
الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى
حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم من
المؤمنين والملئكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط
له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة
لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار
ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء
امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان والدنيا فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا
ظاهرا وباطنا ماواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد شعر
فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها * وحقيقته محراكم
اى مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه
لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقته
يقال انى الامر يانى انيا وانا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من

آن يئين بمعنى انى يانى ولما يان روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اى
القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر
ان يذكر الله وقرا نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل
الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى
فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وامالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست
قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون
عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون
كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ
بهما وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا
او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف
لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان
وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم اولئك عند الله بمنزلة الصديقين
والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله
ورسله والقائمون بالشهادة لهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء
عند ربهم مبتدا وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم
ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من
غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة
عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا
يعني ما لا يتوصل الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة
الزوال لانها لعب يتعب الناس فيها انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب
من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة و
المراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر
ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد
اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب
بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة
فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب
شديد ومغفرة من الله ورضوان تنفيرا عن الانهماك في الدنيا و
حثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا
مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها و
جنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض
كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت
للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده
كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل
به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل
بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة
ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة
في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او
الانفس لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من
نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان
عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه
اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما

من سبب يوجدها ويبقيها والمراد منه نفي الاسى المانع من التسليم لامر الله
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله ان الله لا يحب
كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به
غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه
محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء
من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع
وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء
الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليبين
الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال
ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز
ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه
بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب باستعمال الاسلحة
في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن
تعليلا او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في
ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما
امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا
وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا
اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد
دل عليه ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم و
العدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم
قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة

وقرئ رأفة على فعالة ورحمة ورهبانية اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
اى ورهبانية مبتدعة على انه من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما
كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى
ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم
بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد
حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ندبوها
بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها فما رعوا
جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها
ومن ذلك الايمان بمحمد صلوات الله عليه وآله منهم من المتسمين باتباعه اجرهم و
كثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد
ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى
الذين كانوا فى عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم
او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم
لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده قراءة لكى يعلم وليعلم ولان
يعلم بادغام النون فى الياء الا يقدرون على شىء من فضل الله ان هى المخففة والمعنى
انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسله وهو مشروط
بالايمان به او لا يقدرون على شىء من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصوها
بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شىء من
فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت و
ادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح عن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله روى ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال حرمت
عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله فنزلت
هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة متوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دال قد فى السين والله يسمع
تحاوركما تراجعكما وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والافعال الذين
يظاهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى
مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان
اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا
من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلوات الله عليه وآله وعن عاصم امهاتهم بالرفع
على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ
وزورا منحرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا
او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الى قولهم بالتدارك
ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك
المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها
عنه وهو اقل ما ينقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك
بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون
الظهار فكانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية
او معناه ان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها
او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها
الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة
القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ و
مقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم
الحكم بالكفارة توعظون به لانه دليل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه
والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شىء منه فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب عن الواجد

الشرع بخلافه

تمتعها

فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزم الاستئناف
وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة
ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله عليه وآله لم يرخص
للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله
عليه وآله وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او
لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان لتؤمنوا بالله و
رسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان
الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعادين في حد غير حد الآخر او يضعون
او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين
من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات لا يعوز بعدها
وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو يطرد بدل على صدق الرسول صلى الله عليه وآله
وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب
بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا
اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه
شيء ونسوه لكثرته وتهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى
يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة
لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان
يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها
والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة اي ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين
اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول
الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونا كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة
وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تاويل نجوى بمتناجين ولا
ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم
يعلم ما يتناجون بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت

لا النفي للجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل
شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون
باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤوك
حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما
نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها
فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر
والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلوات الله عليه وآله واتقوا الله
الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم
والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها
في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا
باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين آمنوا
اذا قيل لكم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة تفسحوا في المجالس توسعوا
فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فانهم كانوا يتضامون به تنافسا
على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما
امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجالس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين
فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل
فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا
يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب

والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا
الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق
ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم
وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي عليه السلام ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد
غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا
يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل
الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو
يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص في
المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات
اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه
وفيه اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منكم مما قام مقام توبتكم واذ على بابها وقيل
بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في
سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
ألم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم
لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم
المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه الصلوة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل
عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبيل المنافق وكان
ازرق فقال عليه الصلوة والسلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فجاء باصحابه
فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون
فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي
اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال
امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول
عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون

له اي لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء
في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب
على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب
حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم
ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب
الله لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على
نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس
اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل
على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح
لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على
العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب
اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه الصلوة والسلام
لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في
التورية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا
الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من
الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم
الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي

اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة
العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبله لانهم او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر
حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او فى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم يحشرون
اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب و
الحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله اى حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة
الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها و
يجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء
وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف فى قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها يخربون
بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدى المؤمنين فانهم
كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب
المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون
بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم
فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على
ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة
المقتضية له على ما قررناه فى الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من
اوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الآخرة عذاب النار
استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده
وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون و
يجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما و
تانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها فباذن الله فبامره وليخزى الفاسقين علة لمحذوف اى
وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلوة والسلام
لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله
على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه

تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم من بنى النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من
الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على
مركبه وذلك ان كان المراد فى بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك
لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة
بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف
سهم الله فى عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن
سهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المؤمنين على قول وقيل يخمس كالغنيمة فانه عليه الصلوة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفئ الذى حقه ان يكون
للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى
الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفئ ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم ودولة
بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفئ
او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه
منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب
لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى
فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او من الفئ بنى النضير الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله
بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم والذين تبوءوا
الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان و
تمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه
من الاول وعوض عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفته تبنا وماء باردا وقيل
سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدم

الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم
ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة
والحسد والغيظ مما اوتوا على المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون
المهاجرين على انفسهم حتى ان كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان
بهم خصاصة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما
يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل
والثواب الآجل والذين جاءو من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون
باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع
المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم
اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم
في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم
والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك
ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير
ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم
اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد
مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين
من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استشعار رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم
قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا انه الحقيق بان يخشى
لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب و
الخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم بأسهم بينهم شديد اي ليس ذلك لضعفهم
وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع
يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم
وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل

بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب
وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة
ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل
قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور و
الارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انه الخبر وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و
لتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده و
تنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل
والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا
تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل
بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة على السموات
ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة
اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة
تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها
وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب
نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة
المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى

اصله المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا سبحان الله عما يشركون
اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ
الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في
شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة
على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز
الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما
علم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلوات الله عليه
يريدكم فخذوا حذركم فارسل معه سارة مولاة بني مطلب فنزل جبريل به فبعث رسول الله عليه
الصلوة والسلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد ومرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان
بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
ثم جحدت فسل عليها السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاطبا
وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا
ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني
عنهم شيئا فصدقه رسول الله عليه الصلوة والسلام وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون
اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب المودة
والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير
لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد
الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لشانه ان تؤمنوا
بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة
على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة
للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة
بدل من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما
اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية

ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا
بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي
للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتكم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما
عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة و
الكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد
وهو بينكم وعاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة
حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من
المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان
انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي
بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان
تاسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من
تمام المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان تقولوه تتميما لما
وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان
كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث
على التاسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم
فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم
المشركين وتبرؤا منهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على
ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء

لان قوله أن تبروهم بدل من الذين وتقسطوا إليهم وتقضوا اليهم بالقسط اى العدل
إن الله يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسما
بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا
في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين أن تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن
يتولهم فأولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا أيها الذين آمنوا
إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان الله أعلم بإيمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فإن علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا
بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن إلى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل
لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع
على الاستئناف وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية على
ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه
عليه الصلاة والسلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل
زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلفت فاعطى
زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم أن تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن
الكفار إذا آتيتموهن أجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم
مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد
واسألوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور ازواجهم
المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآيات يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم
على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وإن
فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء
موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن إلى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم
اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء
هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل
ما أنفقوا من مهر المهاجرة ولا يؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان
يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل

الفايت

الفايت من الغنيمة واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه
يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم
الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا
يزنين ولا يقتلن أولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن
ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك
بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم يا أيها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض
فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او
لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المبعوث المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من أصحاب
القبور اى ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا أيها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا
فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة
من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتنائهما
في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض
ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة
في المنع عنه إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به
كأنهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه وإذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني
بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون أني رسول الله إليكم بما جئتكم من المعجزات
والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما
زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي
القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل

ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي في حال تصديقي لما تقدمني من التورية و
تبشيري برسول ياتي من بعدي اسمه والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه
لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلوات الله عليه وآله والمعنى ان ديني التصديق
بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته
سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر
حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية
آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله
لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان
يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا
لما في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم
والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون
لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان و
الجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك
ذلكم اي ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل
لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او
استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان دللتكم يغفر لكم و
يبعد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى
ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة
محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم

او يحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف
وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في
معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا
وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان
المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي
متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة
احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال او كونوا انصارا كما كان الحواريون من الحور وهو البياض
قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا
فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له
ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم
لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة والشرائع ومعالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي
يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام يدل عليها
وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى
يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لما لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله
ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو
الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية

حملوها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا
كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس
المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم
المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة
للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء
الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة
ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا
من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي
تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ
بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة
اذا اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة و
كانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة
وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان
السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا
البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة
خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت
الصلاة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما
حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله
ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا
واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا
رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت
عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان
المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد

سماع الطبل ورؤيته للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا
كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا راوا تجارة انفضوا اليها
واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير
من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير
الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور
والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم
الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل
والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من
النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا
او آمنوا اذا راوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا
على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم
وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كأنهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور
في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا
خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في
حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم وهلعهم
بعلمهم بانهم مفعول يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون
الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك

انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون
عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين لخروجهم
عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات
والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض
الغزوات على ماء فضرب الاعرابى راسه بخشبة فشكى الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرى لنخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن
بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القرآت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج
او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وساير العبادات
المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل
اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى و
انفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان ياتى احدكم الموت اى
يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق
فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو
واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرى بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله
نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر
بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المنافقين
سورة التغابن مختلف برئ من النفاق فيها وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله
الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شىء قدير

وان ز

وان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم
فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق
لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما
باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات
وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظاهركم
يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم
القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان و
الاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود
وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل
على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم فى الآخرة ذلك اى المذكور من الوبال
والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا
ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا
بالرسل وتولوا عن التدبر فى البينات واستغنى الله عن كل شىء فضلا عن طاعتهم والله غنى
عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم
ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما فى حيزه قل بلى اى
بلى يبعثون وربى لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة
وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله
عليه وآله وسلم والنور الذى انزلنا يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه
وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر
وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك
يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء و
بالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن فى الامور
الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته
ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون
فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه

جامع للصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل
له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه
للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب
على طريقة سفه نفسه ويهدا بالهمزة اى يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اى فان
توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين والدنيا فاحذروهم
ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب
عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل
ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده
اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم فاتقوا
الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى ائتوا خيرا لها وهو تأكيد
للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا
لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا
الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل
لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر
لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم
الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التغابن سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة دفع عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه
كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع
فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتأقيت
ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة

بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر
بالشيء يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد
صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة
واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم فى تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن
من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو
اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى
ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول
والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة
الحد عليها ومن الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله
الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب
لا تدرى اى النفس او انت ايها النبى او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة
فى المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن
فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق
واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوى عدل منكم
على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن
الشافعى وجوبه فى الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه
ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على الجميع فى الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا
من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان
الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا فى شأن الازواج من المضايق و
الغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن
مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر
المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل
فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن

يتوكل على الله فهو حسبه كافيه إن الله بالغ أمره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد
وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ وبالغا على أنه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء
قدرا تقديرا أو مقدارا أو وجدا أو أجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير
لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من
مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم شككتم في عدتهن أي جهلتم
فعدتهن ثلاثة أشهر روي أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة
اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن أي واللائي لم يحضن بعد كذلك وأولات الأحمال
أجلهن منتهى عدتهن أن يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن
والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لأن
عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثم ولأنه
صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر
بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يجعل
له من أمره يسرا يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأحكام
أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته
فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرا بالمضاعفة أسكنوهن من حيث سكنتم
مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم أي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث
سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن إلى الخروج وإن كن أولات
حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص
استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع
علقة النكاح فآتوهن أجورهن على الإرضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم
بعضا بجميل في الإرضاع والأجر وإن تعاسرتم تضايقتم فسترضع له أخرى امرأة أخرى
وفيه معاتبة للأم على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله أي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله
نفسا إلا ما آتاها فإنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا أي عاجلا أو آجلا وكأين من قرية أهل قرية
عتت عن أمر ربها ورسله أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا

بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير
الماضي للتحقيق فذاقت وبال أمرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة أمرها خسرا لا ربح
فيه أصلا أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في
قوله فاتقوا الله يا أولي الألباب ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في
صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا
يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لأنه مذكور في السموات أو ذو ذكر أي شرف أو
محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن وتبليغه وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحا
أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل عنه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر
مثل أرسل أو ذكرا والرسول مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات
حال من اسم الله أو صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي ليحصل
لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن من الظلمات إلى
النور من الضلالة إلى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد أحسن الله له رزقا فيه تعجيب
وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الأرض مثلهن
أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الأمر بينهن أي
يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن
الله قد أحاط بكل شيء علما علة لخلق أو يتنزل أو مضمرهما فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته و
علمه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية صلوات الله عليه وآله وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك روي أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم
عائشة أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا
عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له إنا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت
تبتغي مرضات أزواجك تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان الداعي إليه والله غفور
لك هذه الزلة فإنه لا يجوز تحريم ما أحل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على
عصمتك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة
أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه إذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم

مطلقا او تحريم المرأة يمينا وفيه ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال
انه عليه الصلوة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولى امركم وهو العليم
بما يصلحكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه واذ اسر النبى الى بعض ازواجه يعنى حفصة
حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر فلما نبأت به اى فلما اخبرت
حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الحديث
اى على افشائه عرف بعضه عرف الرسول عليه الصلوة والسلام حفصة بعض ما فعلت واعرض
عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده
قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف
بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير
فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة
الرسول صلوات الله عليه وآله وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه
وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملئكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل
رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملئكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد
ذلك تعظيم لمظاهرة الملئكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان
فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة والمعلق بما لا يقع لا يجب
وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او
منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سائحات صائمات
سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتأديب
وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها
الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملئكة تلى امرها وهم الزبانية

غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة
لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون
من قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار
لانه لا عذر لهم والعذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة
فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة
فى النصاح وهو الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح
كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا
نصوحا لانفسكم وسئل على عليه السلام عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب
الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربى نفسك
فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل و
التوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله النبى و
ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبى صلعم احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا
اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم
فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة و
اغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس
المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط
مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى صلى الله عليه
وآله وسلم والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به
تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما
بحق الزواج اغناء ما وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين مع
سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امرأت فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله
مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لى عندك قريبا من
رحمتك او فى درجات المقربين بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة

الجزو التاسع والعشرون

وعمله الشنيع ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران
عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها
وقرئ فيها اي في مريم او الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت
بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة
ويدل عليه البصريين وحفص الجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت
من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر
عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليها الصلوة والسلام وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وعنه صلوات الله عليه وآله من قرأ سورة التحريم اتاه الله
سورة الملك مكية وتسمى الواقية توبة نصوحا والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره
وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة
المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا
واورعكم عن محارم الله واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى
العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا
وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال
او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت
ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا
من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع
الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في
ابدائها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم او لكل مخاطب
وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها

مرارا فانظر

مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها وا
استجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر
كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك
وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب
كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السراج فيها
ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا
لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا
لشياطين الانس وهم المنجمون في الرجوم رجم بالغيب وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا
لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من
الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب
السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي
بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها
بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم
يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في
التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع
لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب
له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج
قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية الى الكفار على ارادة
القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقاب الذين يكونون فيه وقالوا لو كنا
نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات
او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم
ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع
لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم
من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون
ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي

منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذايذ الدنيا واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضماير قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا
الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته وهو اللطيف الخبير
المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد
بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول التقييد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم
باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو
الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة ليسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في
جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطاه الراكب ولا
يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شي لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا
من نعم الله واليه النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني
الملئكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم
العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها
وآمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم
فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في
المجي والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء
فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد
كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية
للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة
بين الاصيل في الطيران والطاري عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن
الشامل رحمته كل شي بان خلقهن على اشكال وخصايص هياتهن للجري في الهوا انه بكل شي
بصير يعلم كيف يخلق الغرايب ويدبر العجايب امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنايع فلم
يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل
عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من
ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم

وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم
ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وساير الاسباب
المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو في عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه
افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرايب كقشع الله السحاب
فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزايه ولذلك
قابله بقوله امن يمشي سويا قايما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد
تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة
على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان
معتاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي
مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو
الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنايعه
والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما جعلت لاجلها قل
هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر
او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين
والانذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة
ذا زلفة اي قريبا منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكابة وساءتها رؤية
العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون به تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء
او بانه تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن
معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم
احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم
اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره
بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال
مبين منا ومنكم وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غايرا في
الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة تبارك هي المانعة والمنجية من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذى عليه الارض او الدواة
فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويويد الاول سكونه وكتبته
بصورة الحرف والقلم هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوايده واخفى ابن عامر
والكسائى ويعقوب النون اجرا للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف
الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرأت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل
الى الآلة واجرايه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة
وحصافة الراى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون لان البا لا تمنع عمله فيما قبله لانها
مزيده وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون
مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ
تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسالت عايشه عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن
الست تقرا قد افلح المومنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى فتن بالجنون
والبا مزيده او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم
الجنون ابفريق المومنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفايزين
بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن ان تلاينهم
بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقه
والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفى بعض
المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل
مهين حقير الراى من المهانة وهى الحقاره هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على
وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد
متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد
ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها
وحلقها وقيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشر من مولده وقيل الاخنس بن شريق

اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال
اساطير الاولين اى قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع
من هذا مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام
غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان كان ذا مال وقرى ان كان بالكسر على ان شرط
الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرط للمخاطب اى لا
تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرط فى الطاعة سنسمه على الخرطوم على الانف
وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم
جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة
انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعا
بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقرا وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او
القته الريح او بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه
ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين
كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون ولا
يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور
والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله
واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف
بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم
ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار
باستضائها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل
بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء
ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفى
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة وقرى بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه
من الدخول كقولك لا ارينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا على

المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان
مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق
بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة
المغلة اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها
اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل اى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى نحن
محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم
لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك
ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمى
الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده فاقبل
بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه
ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا
وقرئ بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجعون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم
جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم
كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم
كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد
له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راى ام لكم كتاب من السماء فيه
تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم
بالفتح لانه المدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير
الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية
فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق
بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك
اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم
ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى

هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه
سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل على الاستحقاق
او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام
لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان
يكون مما يشركون بالله يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق
مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به
الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير
عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف على بناء
الفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم ان كانوا او
يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب
وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا
يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه
فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من
العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى
متين لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على
الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب
اى اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم
ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعنى يونس اذ نادى
فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه
يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته اى تتداركه على حكاية
الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار
وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية
دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحى اليه او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه
فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه
دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو على ثقيف
وقيل باحد حين حل بها حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك

بأبصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا
بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك في قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه
بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بني اسد عيانون فاراد
بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل
الرجل في القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك
من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك **لما سمعوا الذكر** اى القرآن
اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم **ويقولون انه لمجنون** حيرة في امره وتنفيرا عنه **وما هو
الا ذكر للعالمين** لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان
من اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه
ثواب الذين **سورة الحاقة مكية وايها اثنان او احدى وخمسون** حسن اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اى الساعة او الحالة التي يحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من
الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها **ما الحاقة** واصله ما هي اى اى شيء هي
على التعظيم **وما ادراك ما الحاقة** واى شيء اعلمك ما هي اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان
يبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره **كذبت ثمود وعاد بالقارعة** بالحالة التي تقرع
الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف
شدتها **فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية** بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة
لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت والبرد من الصر او الصر **عاتية** شديدة
العصف كأنها عتت على خزانها فلا تستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها **سخرها عليهم**
سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية
اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب **سبع ليال وثمانية ايام حسوما** متتابعات جمع
حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت
دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى
تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة حسوما بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء
الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في
الثامن فاهلكتها **فترى القوم** ان كنت حاضرهم **فيها** في مهابها او في الليالي والايام **صرعى** موتى

جمع صريع **كأنهم اعجاز نخل** اصول نخل **خاوية** متآكلة الاجواف **فهل ترى لهم من باقية**
من بقية او نفس باقية او بقاء **وجاء فرعون ومن قبله** ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي
ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه **والمؤتفكات** قرى قوم لوط
والمراد اهلها **بالخاطئة** بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ **فعصوا رسول ربهم** اى
فعصى كل امة رسولها **فاخذهم اخذة رابية** زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح **انا لما طغى
الماء** جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله **حملناكم** اى آباءكم
وانتم في اصلابهم **في الجارية** في سفينة نوح عليه السلام **لنجعلها لكم** لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين
واغراق الكافرين **تذكرة** عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته **وتعيها**
وتحفظها وقرأ ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء
ان تحفظ في غيرك **اذن واعية** اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واتباعه
واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته تسبب
لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف **فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة** لما بالغ
في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما
حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم **وحملت الارض و
الجبال** رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة **فدكتا دكة
واحدة** فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام
لها وارض دكاء للمتسعة المستوية **فيومئذ** فحينئذ **وقعت الواقعة** قامت القيامة **وانشقت
السماء** لنزول الملائكة **فهي يومئذ واهية** ضعيفة مسترخية **والملك** والجنس
المتعارف بالملك **على ارجائها** جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب
البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على ارجائها او فوق الثمانية لانها في نية
التقديم **يومئذ ثمانية** ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
ايدهم الله تعالى باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله
ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام
وعلى هذا قال **يومئذ تعرضون** تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم

وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار جعله ظرفا للكل **لا تخفى منكم خافية** سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل **فاما من اوتي كتابه بيمينه** تفصيل للعرض فيقول تبجحا **هاؤم اقرؤا كتابيه** ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان وامرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل **اني ظننت اني ملاق حسابيه** اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا **فهو في عيشة راضية** ذات رضا على النسبة بالصيغة او بجعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم **في جنة عالية** مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار **قطوفها** جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر **دانية** يتناولها القاعد **كلوا واشربوا** باضمار القول وجمع الضمير للمعنى **هنيئا** اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا **بما اسلفتم** بما قدمتم من الاعمال الصالحة **في الايام الخالية** الماضية من ايام الدنيا **واما من اوتي كتابه بشماله فيقول** لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة **يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها** يا ليت الموتة التي متها **كانت القاضية** القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانها امر من الموت فتمنيته عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا **ما اغنى عني ماليه** مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى **هلك عني سلطانيه** ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا **خذوه** يقول الله لخزنة النار **فغلوه ثم الجحيم صلوه** ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس **ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا** اي طويلة **فاسلكوه** فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينهما

في الشدة **انه كان لا يؤمن بالله العظيم** تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظيم فيها استوجب ذلك **ولا يحض على طعام المسكين** ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذله من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف تارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب **فليس له اليوم ههنا حميم** قريب يحميه **ولا طعام الا من غسلين** غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل **لا يأكله الا الخاطئون** اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها **فلا اقسم** لظهور الامر استغناء عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف **بما تبصرون وما لا تبصرون** بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها **انه** ان القرآن **لقول رسول** يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه **كريم** على الله وهو محمد او جبرئيل عليهما السلام **وما هو بقول شاعر** كما تزعمون تارة **قليلا ما تؤمنون** تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم **ولا بقول كاهن** كما تدعون اخرى **قليلا ما تذكرون** تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر بالياء فيهما **تنزيل** هو تنزيل **من رب العالمين** نزله على لسان جبرئيل **ولو تقول علينا بعض الاقاويل** سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول **لاخذنا منه باليمين** بيمينه **ثم لقطعنا منه الوتين** اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه باقطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال يمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة **فما منكم من احد عنه** عن القتل او المقتول **حاجزين** دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس **وانه** وان القرآن **لتذكرة للمتقين** لانهم المنتفعون به **وانا لنعلم ان منكم مكذبين** فنجازيهم على تكذيبهم **وانه لحسرة على الكافرين** اذا رأوا ثواب المؤمنين به **وانه لحق اليقين** لليقين الذي لا ريب فيه **فسبح باسم ربك العظيم** فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عليه الصلوة والسلام استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرى سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملئكة او السموات فان الملئكة يعرجون فيها تعرج الملئكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنين الدنيا وقيل معناه تعرج الملئكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملئكة وقرا الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء النصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن ولا يقع حينئذ يوم كذا او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او

او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استيناف او حال تدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف تدل على ان الاشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرى بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وقرا نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الوداد والقصة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او القصة ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرى حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر منها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الفقر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو

ان نعت تفقد ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون خايفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون حافظون وقرا ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون يعني لا يخفون ولا ينكرون
او لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرا يعقوب وحفص بشهاداتهم
لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرايطها ويكملون فرايضها و
سننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها
على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون
بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال
عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو فكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى
كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلقا حلقا ويستهزءون بكلامه
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله
لنكونن فيها افضل حظا منهم في الاخرة كما في الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع انا خلقناهم
مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل
بالايمان والطاعة ولم يتخلق باخلاق الملكة لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون
وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى
على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا
اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم
ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم وهو خير منهم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين
بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر تفسيره في
آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب
للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بالضم على التخفيف نصبا وجمع
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون
مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم
عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى وهو
اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه
المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو
كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم
شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دايما فلم يزدهم دعائي الا
فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما
دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم
عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة
دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر و
المعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا
ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا عظيما اي دعوتهم مرة بعد
اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع
بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا اي مجاهرا به او حالا فيكون بمعنى مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم
بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طال
دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء
يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات
البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا
على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له

عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم
اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم
اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم
انشاهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم
القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يوجه من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسبه اليها
اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء
لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة
الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على
ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا تتقلبون
عليها منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني
فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم
المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة
حصلت لهم باموالهم واولادهم اذت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده
بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى
مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على
اذى نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا
يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين ادم و
نوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب
وهو قبيلة وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير قبيلة وقرا نافع ودا بالضم وقرئ
يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام
كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على انهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين
في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم
اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد
بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع

وتنكير النار

وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ
الالهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار فعل به ما فعل باصل
سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب
اغفر لي ولوالدي ملك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي
او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين
الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين
تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية واياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل
وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب
عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه
دلالة على انه عليه السلام ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها واخبر الله
به رسوله فقالوا انا سمعنا قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به بالقران
ولن نشرك بربنا احدا على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا
قرا ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا
وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه
استئناف ومنقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف
على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في
عيني اذا عظم ملكه او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن
الصاحبة والولد لعظمته وسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك
وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطا ما اعتقدوه
من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا
قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار من اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم

ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف بمحذوف اى قولا
مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا
الوادى من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد
الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ وانهم وان الانس
ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله
تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولى ظنوا وانا
لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه
وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا
قويا وهم الملئكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار وانا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع
وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا
له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر
بيان ذلك فى الصافات وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم
ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اى قوم
دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوى طرائق اى مذاهب او مثل
طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد
اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله فى الارض كائنين فيها ولن نعجزه هربا هاربين
منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا
الهدى اى القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ لا يخف والاول
ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلة
او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا
منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن
اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان لو
استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب

والله ولله

لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة و
لم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم
فى كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا
شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل
المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله واراب السبعة او السجدات على انه جمع مسجد
وانه لما قام عبد الله اى النبى عليه الصلوة والسلام وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع
كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه
لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن
يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد
وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال
انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على
مقتى وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبى صلوات الله عليه ليوافق ما بعده قل انى لا املك
لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه
او مسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوءا ولن اجد من
دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد و
انفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله
دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو
اية ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على
فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون فى الدنيا كوقعة بدر او فى الاخرة
والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له
وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادرى اقريب ما
توعدون ام يجعل له ربى امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون
قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته عالم الغيب هو عالم الغيب
فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اى على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى بعلم بعضه حتى يكون له
معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك

والاظهار ربما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا
على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه
رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد
ابلغوا اى ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ
الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة عن التغيير واحاط بما لديهم
بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون محمدا او كذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم ومكسورها اى الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه الصلوة والسلام
تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا
له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه
لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل
اى قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة
الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل
من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير
بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه
على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام و
التخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة
وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما
على الرسول عليه الصلوة والسلام اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف
عليه بالتهجد ويدل عليه على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة
معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او
على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل

مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها
الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى واشرق منها مشرفات
القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اى تحدث او ساعات الليل
لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اى كلفة
او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة
لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات
ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة
الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه
ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل
وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد
نفسك عما سواه ولهذا الرمز ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل
اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم
ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم
فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم
قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا
غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب
مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح
فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم
المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب
بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا
انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من
كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا
يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا
يعني موسى عليه السلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره
فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم
فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا

من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء
به لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل
بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين
معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما
كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن
تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في
ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل
عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم
القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القران بعينه كيفما تيسر عليكم
علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك
كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء
للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه
واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر
الانفاقات في سبيل الخيرات او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في
قوله وما تقدموا لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
من الذي يؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو
تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على
الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور
رحيم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في
الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه الصلوة والسلم قال كنت بحراء فنوديت
فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني

الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر و
لذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تاذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي
فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصبه به قم من مضجعك او قم
قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او
قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه
بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وايقن انه الوحي وذلك
لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط فكانه قال وما يكن من شيء فكبر
او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة
الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من
النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن
النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر
نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره
باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة
الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرا
يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا
نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله
عليه الصلوة والسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن
على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياها
وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا
او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي
احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي
هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر
على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره
اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه

وتشديده على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال
من الياء اى ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه
احد او من العائد المحذوف اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه
الله تعالى به تهكما او اراده انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا
ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا
معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او
اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له
الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثم
يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما
هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع
عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعمة
المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلوة والسلم الصعود جبل
من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او
بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القران وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف
قدر تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما
اشجعه اى بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبي
عليه الصلوة والسلم وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما
ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه
حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه
كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر
اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل
كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اى في
امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرجل

عليه الصلوة والسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء
للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر
كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا
وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر و
العامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر
مسودة لاعلى الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا
من الملئكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى
الحيوانية الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار و
كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك
او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون بها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف
او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر بسكون العين كراهة
توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا
يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع
عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة
عشر فعبروا بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به
واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن
تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه و
وسلم وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او
تصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد
للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في
قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون
الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب
استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين
وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات

والاطلاع على حقايقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة **وما هي** وما سقر او عدة الخزنة او السورة **الا ذكرى للبشر** الا تذكرة لهم **كلا** ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها **والقمر والليل اذ ادبر** اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي **والصبح اذا اسفر** اضاء **انها لاحدى الكبر** لاحدى البلايا الكبر جمع الكبرى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم معترض للتاكيد **نذيرا للبشر** تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف **لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر** بدل من البشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير او التخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر **كل نفس بما كسبت رهينة** مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كان صفة لقيل رهين **الا اصحاب اليمين** فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملئكة والاطفال **في جنات** لا يكتنه وصفها وهو حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله **يتساءلون عن المجرمين** اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله **ما سلككم في سقر** بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها **قالوا لم نك من المصلين** الصلوة الواجبة **ولم نك نطعم المسكين** ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع **وكنا نخوض مع الخائضين** نشرع في الباطل مع الشارعين **وكنا نكذب بيوم الدين** اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة **حتى اتانا اليقين** الموت ومقدماته **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** لو شفعوا لهم جميعا **فما لهم عن التذكرة معرضين** اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال **كانهم حمر مستنفرة** شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة **فرت من قسورة** اي اسد فعولة من القسر وهو القهر **بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة** قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا **كلا** ردع عن اقتراحهم الايات **بل لا يخافون الاخرة** فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف **كلا** ردع عن اعراضهم **انه تذكرة** واي تذكرة **فمن شاء ذكره** فمن شاء ان يذكره **وما يذكرون الا ان يشاء الله** ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله تع وقرا نافع تذكرون

كالشتيمة

النار وقرئ بهما مشددا **هو اهل التقوى** حقيق بان يتقى عقابه **واهل المغفرة** حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم **ولا اقسم بالنفس اللوامة** بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرهن او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي عنه عليه الصلوة والسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ونفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقسامها مجازاتها **ايحسب الانسان** يعني الجنس واسناد الفعل اليهم لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ابي ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام **ان لن نجمع عظامه** بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول **بلى** نجمعها **قادرين على ان نسوي بنانه** نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون **بل يريد الانسان** عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام **ليفجر امامه** ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان **يسال ايان يوم القيمة** متى يكون استبعادا او استهزاء **فاذا برق البصر** تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح **وخسف القمر** وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول **وجمع الشمس والقمر** في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف **يقول الانسان يومئذ اين المفر** اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان **كلا** ردع عن طلب المفر **لا وزر** لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل **الى ربك يومئذ**

ع

المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل
من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها
لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانبا ولو القى
معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير
القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد
بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان
علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قراناه
بلسان جبريل عليه السلم عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض
بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة اذ كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره
او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى
كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد
جمع ما فيه من اعمالك وقراءته بالاقرار او التامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد
جنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول
وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند
الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى وقول الشاعر شعر
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطا
ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد
كلوحه تظن يتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار
الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام
عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به او قال ملائكة الموت ايكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به
فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه

او فلا صدق ماله اى فلا زكوة ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب
الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك
فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك
الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من ادون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار
ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى
مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي
الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين
الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا قراها قال
سبحانك بلى وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة
سورة الدهر مكية انه كان مؤمنا بها وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل راونا بسفح
القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا
مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف
لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او ادم بين اولا
خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة
به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض
وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه
في موضع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلا
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو كالمسبب من
الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اى
بنصب الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او
التقسيم اى هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم

كفوراً بالاعراض عنه اى من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب
ولعله لم يقل كفاراً ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعاراً بان الانسان لا يخلو عن الكفر
ان غالباً وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسلاً بها يقادون واغلالاً
بها يقيدون وسعيراً بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع و
تصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلاً للمناسبة ان
الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهى فى الاصل القدح الذى تكون
فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافوراً لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور
فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوج به عيناً بدل من كافوراً
ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص
او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله اى ملتذاً او ممزوجاً بها وقيل الباء مزيدة
او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيراً يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلاً
يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى
وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله
عليه ويخافون يوماً كان شره شدائده مستطيراً فاشياً منتشراً غاية الانتشار من استطار
الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى ويطعمون الطعام
على حبه حب الله او حب الطعام او الاطعام مسكيناً ويتيماً واسيراً يعنى اسارى الكفار
فانه عليه الصلوة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير
المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم
لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر
وعن عائشة انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً اى شكراً انا
نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوماً عذاب يوم عبوساً
يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته قمطريراً شديد العبوس كالذى يجمع ما
بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة
فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسروراً
بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب
المحرمات وايثار الاموال جنة بستاناً ياكلون منه وحريراً يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهم

ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ناس معه
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على عليه السلام وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلثة
ايام ان برءا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على عليه السلام من شمعون الخيبرى ثلث اصوع من شعير
فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين
فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياماً فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه
ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها
يا محمد هناك الله فى اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم فى جزاهم او صفة لجنة
لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً يحتملهما وان يكون حالاً من المستكن فى متكئين والمعنى انه
يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمى ولا بارد مؤذى وقيل الزمهرير القمر فى لغة طى قال
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر
ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة وجنة اخرى
دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها
والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلاً معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل
القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية
من فضة واكواب اباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اى تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلاً وهشام
وابن كثير الاولى لانها راس الآية والباقون لم ينونوهما اصلا وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير
قدروها تقديراً اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على
اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ و
يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذونه
الشراب الممزوج به عيناً فيها تسمى سلسبيلاً لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفى عنها لذع الزنجبيل
ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت كتأبط شراً لانه لا يشرب منها الا من سأل
اليها سبيلاً بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم
حسبتهم لؤلؤاً منثوراً من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى
بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع

بين ايديهم

رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف
عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا
الملك وخفايا الملكوت فيستضي بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر و
استبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم
او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ
ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة
عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان
حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء بما عملوه بايديهم حليا
وانوارا يتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان
يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين
المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات
الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد بمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما
عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك
بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا
اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه او للدلالة على انهما
سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما
فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا دوام على ذكره او دم على صلاة
الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له
ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم اماهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل
وهو كالتعليل لما امر ونهي عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم
بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة

ملكا

وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة
الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله
مشيتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما
لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد
لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها
وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله
جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله تعالى باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في
امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق
والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى
محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في
الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة
الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق
بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب
والالسنة الا ذكر الله تعالى او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن
فالقين ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته
وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف
الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او
جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاول
بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد بها الوحي او ما يعم التوحيد
والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص
بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة
فاذا النجوم طمست محقت واذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال
نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة

على الامر بحصوله فانه لا يتعلق لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت
على الاصل لاي يوم أجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل لجمعهم وهو تعظيم لليوم وتعجيب
من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل
وما أدراك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك
وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته ألم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى
اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك
فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى كذلك مثل ذلك
الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا
وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك
في الدنيا مع ان التكرير حسن شائع في كلام العرب ألم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة
ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى قدر معلوم من الوقت قدره الله
للولادة فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم
القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة ألم نجعل الارض
كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها أحياء وأمواتا منتصبان على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية فيكون المعنى
بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت
طوالا والتنكير للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير وأسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار
والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى
ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار
من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث
شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما
لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هي القوة
الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك
قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما
اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر

كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ كالشجر وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة
الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء
للشعب كأنه جمالات صفر جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون
اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون و
الكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي جمالة وعن يعقوب جمالات
بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفينة شبهه بها في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما
لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم
اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون
على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم
لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل
جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون
في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم انا كذلك نجزي
المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب
المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال
لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم
ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل
لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلاة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا وقيل هو يوم القيمة
حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب
وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون
اذ لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه الصلاة والسلام
من قرأ سورة والمرسلات سورة النبأ مكية وآيها اربعون كتب له انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما حذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه
كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراؤنهم اى يدعونهم ويرونهم

عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة

يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بالجزم بالنفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون

ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد

وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة والاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون

بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما

عاينوا من عجايب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا

اى انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا

نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه

احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء تستتر بظلمته

من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون فيه

او حيوة تنبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات

لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت

او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اى شارفت

ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت

ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ

للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة

ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى

وقرئ ثجاجا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من

التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق

او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل

كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا يؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حد الخلائق ينتهون اليه

يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر

روى انه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة

وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم

وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم

مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون

جبابا سابغة من قطران لاصقة بجلودهم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم

والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان

والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون

بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب او فصارت ذات ابواب

وسيرت الجبال اى في الهوا كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم

تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد

فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع

الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح

على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح

لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون

سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا

مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود

الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن

في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا

ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق

وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد

بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل

الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء

وفاقا اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال

من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا

تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم

او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة

او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى

كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة

للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر

لان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا

في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الاية
اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا
بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء
فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا
جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل
منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على
حسب اعمالهم وقرئ حسّابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة
ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا
يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتأكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل
الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف
يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل
او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه
مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان
كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من
خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة
الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت
يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حاله عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة
سورة والنازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا

فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا
في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون
ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي
يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون
امر عقابها وثوابها بان تهيأ لها ادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات
لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرونه او
صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى
الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في
الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها
من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة
فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغرق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت و
تسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع
عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من
المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي و
يسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى
العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف
الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض
والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء
والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة
شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها اي ابصار اصحابها
ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب والخبر خاشعة يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي في طريقته
التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل
وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة أإذا كنا وقرأ نافع و
ابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص

ورد نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها
ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق
بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة
فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة
او لان سالكها لا يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتيك حديثه فيسليك
على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ نادیه ربه
بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر
من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى
معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله فقولا له قولا لينا فاريه الاية الكبرى اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي
قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة
فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة
يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر
فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي
الدنيا بالاغراق او على كلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري والتكذيب فيهما او لهما
ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه
الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بنيها
ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في
العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب و
التداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش
الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله
والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج
منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن
العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال

بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا
لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اى تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي
اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط
الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت
لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم
كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم اى لمن تراه من
الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى
حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان
الجحيم هي الماوى هي ماويه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي
وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد
ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي الماوى ليس له سواها ماوى يسئلونك
عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى
السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اى شيء انت من ان تذكر
وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما
استاثره الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكرها
اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم
والجواب الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو
منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى في
الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك
اضاف الضحى الى العشية لانهما في يوم واحد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة النازعات
كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر الصلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده
صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله

بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آن بهمزتين وبالف
بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كأنه قال
تولى لكونه اعمى كالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله
يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه
الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره
بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا
للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض له بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ
ابن كثير ونافع تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في
ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما
من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى
لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهي للاشعار
بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع
عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضمير
للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او
خبر ثان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي
الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء
يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال
سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون
لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في
الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا
من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه
لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقته ثم السبيل يسره ثم
سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام

وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره
ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة الى الحيوة الابدية واللذات
الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين
في نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم
يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان
الى طعامه اتباع النعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية
احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي
بالنبات واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير
وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار
غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من
اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان
المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا
لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله
بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة
كأنه قيل يفر من اخيه بل من ابيه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن
يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر
الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور
فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة
ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او
لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه
مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب
الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء
فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللواتي على حملهن

عشرة أشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف وإذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد وإذا البحار سجرت أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بالتخفيف وإذا النفوس زوجت قرنت بالأبدان أو كل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وإذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن سئلت بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى أأنت قلت للناس وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت على الحكاية وإذا الصحف نشرت يعني صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير وإذا السماء كشطت قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت والقاف والكاف كثيرا وإذا الجحيم سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد وإذا الجنة أزلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما أحضرت جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا أقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس إذا رجع وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر والليل إذا عسعس أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر والصبح إذا تنفس أي أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم إنه أي القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل فإنه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم أمين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلوات الله عليه وآله بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو وما محمد صلعم على الغيب على

ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض مسترقة السمع وهو نفي لقولهم إنه لكهانة وسحر فأين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب إن هو إلا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم أن يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها إلا أن يشاء الله إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة فصار الكل بحرا واحدا وإذا البحار فجرت فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحرا واحدا وإذا القبور بعثرت قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل إنه مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل أو صدقة وأخرت من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب إذا يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان فإنه يقول افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على كرمه يستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء أو معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلق الحيوانات في أي صورة ما شاء ركبك أي ركبك في أي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي

في اعترائهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما
تفعلون تحقيق لما يكذبون ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراماً
عند الله لتعظيم الجزاء إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها
يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون
عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك
ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس
لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالاً ورفع ابن كثير والبصريان
يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف قال صلى الله عليه وآله من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل
المدينة كانوا اخبث الناس كيلاً فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا
سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس
عنهم القطر الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم اخذوها
وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم وإذا
كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كانوا مكيلهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة
ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات
الالف بعد الواو كما هو المصحف في نظائره ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون فان من ظن ذلك
لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه
لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة
بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام
الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا
ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب إن كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او
كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما أدراك ما سجين

كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به
الكتاب لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين
يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به إلا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة أثيم
منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها إذا تتلى
عليه آياتنا قال أساطير الأولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل
كما لم ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك كما قال
صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد كلما اذنب حصل في قلبه نكتة سوداء حتى تسود قلبه والرين
الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين إنهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلاً لاهانتهم باهانة من يمنع عن
الدخول على الملوك او قدر مضافاً مثل رحمة ربهم ثم إنهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون
بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب
بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعاراً بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب
إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر
في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة إن
الأبرار لفي نعيم على الأرائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات
تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول
ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك مختوم اوانيه بالمسك
مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي
خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيماً لارتفاع مكانها او
رفعة شرابها عيناً يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفاً لانهم لم يشتغلوا بغير الله
ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عيناً على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب
بها عباد الله إن الذين أجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا
يضحكون من فقراء المؤمنين وإذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون باعينهم

وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين
وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال وما
أرسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
فاليوم الذين آمنوا من الكفار أي المجرمين يضحكون حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار
وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون
بهم على الأرائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل أثيبوا ما كانوا يفعلون
وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام
تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد
المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت أي وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال
حق بكذا فهو محقوق وحقيق وإذا الأرض مدت بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وألقت
ما فيها ما في جوفها من الكنوز والأموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى
لم يبق شيء في باطنها وأذنت لربها في الإلقاء والتخلية وحقت للأذن وتكرير إذا لاستقلال
كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام أو الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير
والانفطار أو بدلالة قوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه عليه و
تقديره لاقى الإنسان كدحه أي جهدا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه فملاقيه أو يا أيها الإنسان
إنك كادح إلى ربك اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه فأما من أوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب إلى أهله مسرورا إلى
عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور وأما من أوتي كتابه وراء
ظهره بيسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا
وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلّى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه
جهنم إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة إنه ظن أن لن
يحور أن لن يرجع إلى الله بلى إيجاب لما بعد لن إن ربه كان به بصيرا عالما بأعماله فلا يهمله
بل يرجعه ويجازيه فلا أقسم بالشفق الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب وعن أبي حنيفة
أنه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب

وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا أو طرده إلى أماكنه من
الوسيقة والقمر إذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة
لأختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت
ومواطن القيامة وأهوالها أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
لتركبن بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ أو الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة
عالية بعد حال ومرتبة أو طبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس
وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أو حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق أو مجاوزين له فما
لهم لا يؤمنون بيوم القيامة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون أو لا يسجدون
لتلاوته لما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤوسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن أبي هريرة
أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر و
العداوة فبشرهم بعذاب أليم استهزاء بهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء
منقطع أو متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم أجر غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليهم عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه من وراء
ظهره

سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها
الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها
وأصل التركيب الظهور واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم
من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه
وصفهما أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي صلوات
الله عليه وآله وسلم وأمته أو أمته وسائر الأمم أو كل نبي وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه
فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة
والحجيج أو يوم الجمعة فإنه يشهد له كل يوم وأهله قتل أصحاب الأخدود قيل إنه جواب القسم على
تقدير لقد قتل والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن
أصحاب الأخدود فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم

والاخدود وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق وروي مرفوعا ان ملكا كان له
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية
قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأل الملك
عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل
الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا
فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ
سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس
فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن امير المؤمنين علي عليه السلام ان بعض ملوك
المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها
من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد **النار**
بدل من الاخدود بدل الاشتمال **ذات الوقود** صفة لها بالعظم وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في
الوقود للجنس **اذ هم عليها** على حافة النار **قعود** قاعدون **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين**
شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امره او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة
حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم **وما نقموا** وما انكروا **منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز**
الحميد استثناء على طريقة قوله لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله **الذي له ملك السموات**
والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد **ان الذين**
فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى **ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم**
بكفرهم **ولهم عذاب الحريق** العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب
الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم **ان الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما
فيها تصغر دونه **ان بطش ربك لشديد** يضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف **انه**
هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في
الآخرة **وهو الغفور** لمن تاب **الودود** المحب لمن اطاع **ذو العرش** خالقه وقيل المراد بالعرش
الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك **المجيد** العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود

تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته **فعال لما يريد**
لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره **هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود** ابدلهما
من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل و
اصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم **بل الذين كفروا في تكذيب** لا يرعوون عنه
ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا آثار هلاكهم وكذبوا
اشد من تكذيبهم **والله من ورائهم محيط** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط **بل هو قرآن**
مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة
اي قرآن رب مجيد **في لوح محفوظ** من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وفي لوح
وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر
حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا
بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه **وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب** المضيء كأنه
يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه
اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه **ان كل نفس لما عليها** اي ان الشان كل
نفس لعليها **حافظ** رقيب فان هي المخففة واللام هي الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم **فلينظر الانسان مم**
خلق لما ذكر ان كل نفس لها عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة
اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته **خلق من ماء دافق** جواب الاستفهام وماء
دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم **يخرج من بين الصلب**
والترائب من صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من
فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها تلك الاعضاء و
مقرها عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها
ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب
بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب **انه على رجعه لقادر** والضمير

الخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز ما طاب من الضمائر وما خفي من
الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه
يمتنع بها من الضمائر وما خفي من ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة
الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا
او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يكون المراد
بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات والشق بالعيون
انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم
يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في
استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم
او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في
سورة سبح مكية السماء عشر حسنات وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره
زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك
الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم
لك سجدت الذي خلق فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم والذي قدر
اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وقرأ الكسائي
قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب
الدلائل وانزال الآيات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته
غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبرئيل او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة
الحفظ مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ
تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم اسقط آية في
قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان القلة يستعمل

انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما
دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى
ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك
لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت
الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه
ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او
للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى
سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد
ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله
في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال ناركم هذه جزء من
سبعين جزء من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة ينفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر
للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز
ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته
بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات
او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى فان
نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة
الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى
بدل من الصحف الاولى قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد
سورة الغاشية مكية كل حرف انزل الله على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وآيها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة والنار من
قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما
تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها او
عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب
وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى
من عين آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه

الابل ما دام رطبا وقيل نبت يشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم
او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من
جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها
راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب
او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او
كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها
ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك والقدر واكواب جمع كوب
وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة
بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر
اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر
الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال
الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري و
المفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد
بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف
نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ
الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع
المخلوقات من البسايط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث و
لذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك
ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام
بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم
بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر
فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم
رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه
الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم حسابهم في المحشر وتقديم الخبر
للتخصيص والمبالغة في الوعيد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الغاشية

سورة الفجر مكية حاسبه الله حسابا يسيرا وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك
فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد
بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا
زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوات
ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرهما فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر
دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلهما او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة
والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي لقوله والليل
اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه
من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف
لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق
هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد
تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء والمقسم
عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد
على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى
باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او
الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد
وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع ذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها
ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى
لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه
منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم
التي يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود و
فرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالظلم والكفر فصب عليهم
ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب

به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه
بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف إن ربك لبالمرصاد
المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة
بالعقاب فأما الإنسان متصل بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا
يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها إذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى
باليسر فأكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي أكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي
هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فاما
الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله وأما إذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه
فيقول ربي أهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة
قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله
كلا مع ان قوله الاول مطابق لأكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه
لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير
ياء في الوقف والفصل وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل
على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين
فضلا عن غيرهم وتأكلون التراث الميراث واصله وراث أكلا لما ذا لمّ اي جمع بين الحلال
والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون ما جمعه المورث من حرام وحلال عالمين
بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم
وما بعده وعيد عليه إذا دكت الأرض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال
والتلال هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر
عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم
وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما
يتذكر الإنسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وأنى له
الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان
هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا

شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي جمع
مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده
جعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب
أن ماله أخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت
او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة
كلا ردع عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما
يطرح فيها وما أدراك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها
الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفيه التي تطلع على الأفئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل
عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة
ومنشأ الاعمال القبيحة إنها عليهم مؤصدة مطبقة من اطبقت الباب اذا اصدته قال تحن
الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة او صدت الباب اذا اطبقته موصدة
في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرئ بضمتين
وبسكون الميم وبفتحتين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من استهزأ بمحمد صلوات الله عليه وآله

سورة الفيل مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو وان لم يشهد تلك
الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها
من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها
وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من
قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد
فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى
فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او جهة
اخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا في منقار كل واحد حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
ترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم
وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام ألم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في
تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها وأرسل عليهم طيرا أبابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة
الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة

وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون **فجعلهم كعصف مأكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وآيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه **لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف** اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة واحدة وقرأ ابن عامر لإلاف قريش إلافهم رحلة الشتاء وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطلق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم **فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع** اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام **وآمنهم من خوف** خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة لإيلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وأرأيتك بزيادة الكاف **الذي يكذب بالدين** بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله **فذلك الذي يدع اليتيم** يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك **ولا يحض** اهله وغيرهم **على طعام المسكين** لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** اي غافلين غير مبالين بها **الذين هم يراؤون** يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها **ويمنعون الماعون** الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب [illegible] والتهم الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة [illegible] قنطرة الاسلام احق

صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه **فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد** الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول **يا ايتها النفس المطمئنة** على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها **ارجعي الى ربك** الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث **راضية** بما اوتيت **مرضية** عند الله **فادخلي في عبادي** في جملة عبادي الصالحين **وادخلي جنتي** معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعدت لك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح **ووالد** عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما السلام **وما ولد** ذريته او محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت **لقد خلقنا الانسان في كبد** تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلوات الرحمن عليه مما كان يكابده من قريش والضمير في **ايحسب** لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان **ان لن يقدر عليه احد** فينتقم منه **يقول** اي في ذلك الوقت **اهلكت مالا لبدا** كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول عليه الصلوة والسلام **ايحسب ان لم يره احد** حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله **الم نجعل له عينين** يبصر بهما **ولسانا**

يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها
وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم
العقبة اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق
فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله وما ادريك ما العقبة فك
رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما
من مجاهدة النفس والمراد بها حسن وقوع لا موقع لهم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا
فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع و
قرب فى النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم مسكينا على الابدال
من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان
من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك وثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة لاستقلاله
واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر وا... بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله و
تواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة ... اولئك اصحاب الميمنة اليمين او
اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم
اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شان
لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرا ابو عمرو
وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه
الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة
سورة الشمس مكية وآيها عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول
الشهر او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها
تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا
يغشيها يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق والارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو
الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث طرحه معها ربطن المجرورات و
الظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على
الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بنا
على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال

روى انه صلى الله عليه وآله وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم
بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا
ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه
لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو
جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه
او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل
او لقوى مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل
جمع محصلا فى الصحف او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم
بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال بهم
لاختلاف شانهم فى الحالين وقرئ ان بالفتح وخبير بلا لام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
من قرا والعاديات اعطى من الاجر سورة القارعة مكية وآيها عشر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه فى الحاقة يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب اليوم بمضمر دلت عليه
القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها
وتطايرها فى الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة
راضية ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ
بها او ترجحت على حسناته فامه هاوية فمأويه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما
ادريك ماهيه نار حامية ذات حمى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا القارعة ثقل الله
بها ميزانه يوم القيمة
سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهى بالكثرة حتى
زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر
الموتى بزيارة المقابر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال
بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى
عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى
ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لآخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة

عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة
ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من
غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند
الموت والقبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه
فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب
قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه ثم لترونها تكرير للتاكيد
او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين
اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن
النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة
والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره
وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم
الذي انعم الله عليه في دار الدنيا سورة العصر مكية وآيها ثلث واعطى من الاجر كانما قرا الف آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي
ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف
اعمارهم في مطالبهم والتعريف والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا
يصلح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده
وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه
انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر
ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة العصر
غفر الله له وكان ممن تواصى سورة الهمزة مكية وآيها تسع بالحق وتواصى بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن
فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون
على بناء المفعول وهو المسخرة التي تاتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس

ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات
مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما
سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنوين نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد
نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامها وتعريف حالها او التمكين من الاتيان بهما قد افلح
من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على
الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال
صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق في
شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس
والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم
صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض
كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى لقوله فاهلكوا
بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ
حين قام ظرف لكذبت او طغوى انبعث اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالاه
على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر
فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها
عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم
ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه
فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم او ثمود بالاهلاك
ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة الهلاك وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال
وقرا نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة والشمس فكانما
تصدق بكل شيء طلعت سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال
ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر
والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم
لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين
لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت

على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول
الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى
بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة
المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى لقوله وعلى الله قصد السبيل
وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين
او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها
مقاساة شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك
سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
الاتقى اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من
اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم من ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق
الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله
وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة
ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا
في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه
من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه ولان فيه كلم موسى ربه
والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل
اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة
المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك
وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما
لتركه الاستثناء ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب

وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا
وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في
الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر
واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ
والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون وجمعها مع سوف
للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه
تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله
الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي و
الالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا
فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ
فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث
فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد عليه الصلوة والسلام ان يشفع له وعشر حسنات
يكتبها الله تع له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم
نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك
وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار
نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل
الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما
ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من
ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا
لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته
طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون
ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر يسرا كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر

وضلال القوم وايقانهم يسرًا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء اوالطاعة فلا تيأس من
روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بها فى ان من المصاحبة المبالغة فى معاقبة
اليسر العسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استيناف وعدة
بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين ان للصائم فرحة اى فرحة عند
الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لن يغلب عسر يسرين فان
العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس ويسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير
لما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب فى العبادة شكرًا لما عددنا عليك
من النعم السالفة ووعدنا من النعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال
ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء
لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل
المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من
النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا
دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس
او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى موسى عليه ربه وسينين وسيناء اسمان
للموضع الذى هو فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه
يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل
بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات
ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل
ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون
لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اى فاى
شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى
من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب اليس الله
باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد احكم

الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى العافية واليقين ما دام
حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة وهى اول سورة نزلت وقيل الفاتحة ثم هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ
ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال
خلق الانسان او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته
من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى
نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة والاول مطلق والثانى
للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك
الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على
الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان
ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا و
قد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى
اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما
يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى اى راى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز
ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذى ينهى عبدا
اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره
للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى ارأيت ان كان على الهدى او امر
بالتقوى تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله
يرى والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له
والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او امرا
بالتقوى فيما يامر من عبادة الاوثان كما يعتقده وان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما

تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى
عبدا اذا صلى والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب
فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال
يا كافر اخبرنى ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى
فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر
الصلوة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها
محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة **كلا** ردع للناهى **لئن لم ينته** عما
هو فيه **لنسفعا بالناصية** لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ
وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبه فى المصحف بالالف على حكم الوقف
والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطئة** بدل من الناصية
وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء
وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة **فليدع ناديه** اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس
الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلى فقال
الم انهك فاغلظ له رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت
سندع الزبانية ليجره الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء **كلا** ردع ايضا للناهى **لا تطعه**
واثبت انت على طاعتك **واسجد** ودم على سجودك **واقترب** وتقرب بذلك الى ربك وفى الحديث
اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة العلق اعطى من
الاجر كانما **سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس** قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه فى ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية
عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله **وما ادريك ما
ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر** وانزاله فيها بان ابتدا بانزاله فيها او انزله جملة
من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله على رسول الله عليه الصلوة والسلام نجوما فى ثلث
وعشرين سنة وقيل المعنى انزله فى فضلها وهى فى اوتار العشر الاخر من رمضان ولعلها السابعة منها
والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها
لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة
هى خير من مدة ذلك الغازى **تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم** بيان لما له فضلت
على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين **من كل امر** من اجل كل
امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان **سلام هى** ما هى الا سلامة اى
لا يقدر الله فيها الا السلامة وتقضى فى غيرها السلامة والبلاء او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون على
المؤمنين **حتى مطلع الفجر** اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرا الكسائى بالكسر على انه كالمرجع او
اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة القدر اعطى من الاجر
كمن صام رمضان **سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان** واحيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله
والمشركين وعبدة الاصنام **منفكين** عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع
الحق اذا جاءهم الرسول **حتى تأتيهم البينة** الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول صلى الله
عليه وآله باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به **رسول من الله** بدل من البينة بنفسه
او بتقدير مضاف او مبتدا **يتلو صحفا مطهرة** صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما
تلى مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل
لا ياتى ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون **فيها كتب قيمة** مكتوبات مستقيمة ناطقة
بالحق **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد فى دينه او من [illegible]
بالاصرار على الكفر **الا من بعد ما جاءتهم البينة** فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على
شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى **وما امروا** اى فى كتبهم **الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين** لا يشركون به **حنفاء** مائلين عن العقائد الزائغة **ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة** ولكنهم حرفوا وعصوا **وذلك دين القيمة** دين الملة القيمة **ان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها** اى يوم القيمة او فى الحال لملابستهم ما
يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما **اولئك هم شر البرية** اى الخليقة وقرا نافع البريئة بالهمزة على الاصل **ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** فيها مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما

صحفا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بان من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة
ووصفا بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم
زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان
لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا لم يكن
كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او
اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت
الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان
ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المومن يعلم ما لها يومئذ
تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها
الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر
بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك بان احدث فيها ما دلت على الاخبار
وانطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها
اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم
ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية
مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة ومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله
اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا اذا زلزلت
اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه
بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او حال بمعنى الضابحة فالموريات
قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على
العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن
به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او متلبسات به جمعا من جموع الاعداء

بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة
على سوء معاملتهم مع الخالق والخلائق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة
مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلث وهي ثلث آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي انه صلى الله
عليه وآله وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين
من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او
القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله تعالى خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا
لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج
خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة
العيد والنحر بالتضحية ان شانئك اي من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى
منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك
في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في
الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه صدق رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا
يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا
يدخل الا على المضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا يدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد اي فيما تستقبلون لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا
انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ
وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن
موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم
الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد
ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين
بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع

القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين **سورة النصر مدنية وآيها ثلاث** وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك **والفتح** وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين
وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى
اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره
ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت **فسبح
بحمد ربك** فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على
نعمه روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون
حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام **واستغفره**
هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام
اني لاستغفر الله في اليوم والليل مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على
طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله **انه كان توابا** لمن استغفر منذ
خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت في فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه لما قرأها
بكى العباس فقال له ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها
على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل
ولهذا سميت سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن
شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة **سورة تبت مكية وآيها خمس**

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك **يدا ابي لهب** نفسه كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه صلوات الله عليه وآله لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته
وكناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بالكنية ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت
الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي ابن ابو طالب عليه السلام وقرأ ابن كثير
ابي لهب **وتب** اخبار بعد اخبار والتعبير الماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب
العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما كسب يداه والثاني
ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب

وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده
عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة
وترك ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه **سيصلى نارا
ذات لهب** اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه دلالة على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى
بالضم مخففا ومشددا **وامرأته** عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت ابي سفيان
حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلعم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها
توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول صلعم وقرئ بالنصب
على الشتم **في جيدها حبل من مسد** اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز
او تصوير بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث
يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال
او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين
ابي لهب في دار واحدة **سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع**

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد
لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله احد روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا
ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على
جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم
احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة
التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا
يناسب ان يكون منه ولما كان هذا توحيدا بقوله تارة ويقربه ان يدعو اليه اخرى **الله الصمد** السيد
المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل
ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار
بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها
لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار
على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله **ولم يولد** وذلك
لانه لم [illegible] يسبقه [illegible] **ولم يكن له كفوا احد** [illegible] يكافئه او يماثله [illegible]

صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا وخبر ويكون كفوا احدا لامر حيوا ولعل ربط الجمل الثلاث
بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية
كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف
الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد
والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سمع رجلا يقرؤها
فقال وجبت فقيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع
الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات و
الاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة
يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ به ما يخافه ولفظ الرب
هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية **من شر ما خلق** خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار
الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم **ومن
شر غاسق** ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان
انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها **اذا وقب** دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر
الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف **ومن شر
النفاثات في العقد** ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عليه الصلوة والسلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه
في بئر فمرض عليه ونزلت المعوذتان واخبره جبرئيل بموضع السحر فارسل عليا عليه السلام فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية
انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر
وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها
وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده
وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره ... ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات
فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان
فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزلت مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب و
ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم ... قل اعوذ ... [illegible]

برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهو يعم الانسان وغيره و
الاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها
بالناس ههنا فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم **ملك الناس
اله الناس** عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دليل على انه حقيق
بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم
الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره
منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا
لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار
من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان **من شر الوسواس** اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا
ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها
تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر
على الصفة او النصب او الرفع على الذم **من الجنة والناس** بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي
يوسوس في صدورهم من جهة الجنة وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد
به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

چاشتگاه جمعه بیست و نهم شوال سنه ١٢٤٣

تم اتفق الفراغ من تسويد هذه النسخة المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل الذي صنفه قاضي القضاة ناصر الدين
البيضاوي الشيرازي في ضحوة يوم الخميس الخامس العشر الثالث من الشهر العاشر من السنة الثالث من
العشر التاسع من المائة الحادي عشر من هجرة النبوية على مهاجرها افضل الصلوة واكمل
التحية حسب الامر بندگان عاليحضرت ... نيابت واقبال پناه
ومعدلت دستگاه ... مقرب الحضرة العلية العالية الخاقاني
نظاما لطف علي بيگ نايب وبرادر عاليجاه امير الامراء محمد زمان خان
بيگلربيگی کوه کيلويه در بلده بهبهان بيد الفقير الى
رحمة الله الغني عبد النبي بن عبد ...
غفر ... ولكاتبه ولقاريه
... على محمد وآله